نقطة
مجلة ثقافية اجتماعية فصلية
٥
العدد:5/ السنة الثانية/ ربيع 2013

ملف العدد

الحوزة العلمية
عطاء لا ينضب

فضائيات الأطفال
وتأثيرها على عقيدتهم وأفكارهم

مجلة ثقافية اجتماعية فصلية
تصدر عن مؤسسة الأنوار النجفية للثقافة والتنمية
برعاية مكتب سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير
الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله)

مؤسسة الأنوار النجفية للثقافة والتنمية

الهيأة الاستشارية.....
أ.م. د. ستار الأعرجي (رئيس الهيأة)
الباحث الإسلامي عبد الحميد الجاف (عضو)
رئيس التحرير.....
نصير سامي الحسناوي
مدير التحرير.....
مهدي صالح الفحام
سكرتير التحرير.....
علي الوائلي
أسرة التحرير.....
حيدر العبدلي
عمار الطريحي
حسنين الموسوي
علياء عبد الزهرة
التدقيق اللغوي.....
د. أحمد الشافعي
العلاقات.....
سجاد القتلاوي
محمد رحيم
تصوير.....
جابر الحلو
النشر والتوزيع.....
علاء عبد الحسين
النشر الالكتروني.....
مصطفى القيسي
تدوين.....
عباس شربة
تنضيد.....
علي المبرقع
التصميم والإخراج الفني.....
م. حيدر محمد الطريفي
طباعة.....
دار الضياء / النجف الأشرف
07801000603

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد
(1655) لسنة (2012م)
معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين بالرقم (1136)
لسنة (2011م).

في هـــذا العدد

المجلة ترحب بإسهاماتكم واقتراحاتكم عبر عناوينها الآتية:
جمهورية العراق ـ النجف الأشرف
http://www.anwar-n.com
Nq@anwar-n.com
الهاتف: 033 33345 / النقال: 07801297218
ص.ب: 732 مكتب بريد النجف
سعر النسخة: 1500 دينار عراقي
وفي باقي دول العالم: 2.50$ أو ما يعادلها
ماينشر في المجلة يعبر عن رأي الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القارئ....

نرحب بك أكثر مما ترحب بنا، لأنك الهدف الذي نتسابق في خدمته إرضاءه وتزويده بالثقافة الجاهزة وخلاصة العقول المفكرة.

وهذه من نعم الله علينا، ونتمنى ان تكون منظورة ومقدّرة عندك.

ولا يخفى عليك - وأنت متابع لنا- بأن المجلة تأخذ منحى تطوّرياً، فأصبحت المجلة أقرب إلى المجلات الثقافية الدورية أو الشهرية التي تزود المثقف من كل بستان وردة، ولكننا نعترف بأن ثقافتنا ملتزمة، ونريد لها ذلك بحيث تجمع بين التطوّر والالتزام.

إن مشكلة التنوع الثقافي في المجلات تواجه اشكالية الموازنة بين (المخاطب والخطاب والعرض)، وهذه يمكن حسمها فيما إذا كان هناك تخصص معيّن في الخطاب أو مستوى معيّن للمخاطب، فالمجلة الفقهية يتضح خطابها ومخاطبها، وكذا المجلات الطبية والفنية والاجتماعية، فهذه يمكن تحديد المستوى وتحديد المادة ويبدأ فيها الابداع في العرض بعد تحديد المستوى والمادة، ولكن مجلات ثقافية عامة موجهة لشريحة عريضة من الناس ومواضيع لا حصر لها من اجل تدعيم الثقافة العامة ودفع التنمية البشرية وتطوير الذات، وهي تواجه مشكلة حقيقية في مستوى الطرح، وفي انتخاب المواضيع والعلوم المطروحة، لأن هذه المجلة تفترض أن تكون مفيدة بكل حرف فيها فكيف تسيطر على المواضيع لتكون مفهومة لكل المستويات المستهدفة؟ وهي هنا مستويات متباينة.

هذه المهمة الصعبة لا يمكن حلها بكلمات بسيطة، وانما هي في معمل البحث الدائم والتطوير بطريقة المراقبة، والفعل ورد الفعل، فمجلة نقطة مثلاً كانت ذات بعد ديني صرف تقريباً في العدد صفر التمهيدي، غير أن الأخوة في الإدارة وصلتهم الكثير من المقترحات لتلبية حاجة المجتمع في ثقافة جامعة متنوعة لا تتعارض مع الدين بل تتآلف معه بوحدة علمية فنية تمتزج فيها عواطف الانسان مع عقله وخبراته.

وهذا التنوع الكبير الذي وصلت إليه المجلة كان بسبب تجربة الخطأ والصواب والنصيحة والنقد البنّاء.

غير أننا آثرنا أن نضيف إلى ما ضمناه في المجلة من العلوم والاستطلاعات ملفاً خاصاً في كل عدد يختص بموضوع معيّن كما في عددنا هذا إذ قدمنا ملفاً متواضعاً عن بعض جوانب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

وهذا الملف الخاص يبقى ذو طابع ديني وصبغة تنويرية، حتى لا نفقد هذا الجانب مهما اخترنا من مواضيع تقنية أو تاريخية أو نفسية أو رياضية وما شابه ذلك.

اذن نحن في هذا العدد قد حسّنا الانتخاب للمواضيع مع الحفاظ على نفس مستوى المخاطب وهو كل مثقف مسلم يريد تطوير مهارته الفكرية ومعلوماته العامة بما يدور حوله من تطورات وافكار وتأملات في التراث والتاريخ والمجتمع والعلماء وتوجهاتهم.

راجين من الجميع أن لا يبخلوا علينا كالسابق من النصح أو النقد البناء لتطوير هذا العمل الثقافي الذي يهدف إلى خدمة المثقف المسلم وزيادة وعيه في كل ما يواجهه في الحياة.

كما أننا لا يمكن أن نغفل شكر وتقدير كل العلماء والمفكرين والادباء الذين اسهموا في مواضيع هذا العدد، بما يدفع ثقافتنا نحو الافضل.

والى لقاء جديد مع عدد جديد أكثر تطوراً.

هيأة التحرير

في هذا الملف

أمة الصدمة

صلاح عبد المهدي الحلو

هوية الأمة بثقافتها لا بثرواتها فالثروة تصنع مدينة، والثقافة تخلق مدنيَّة والثروة لا تصنع امة، والثقافة تصنع حضارة وهيبة الأمة بقادة الفكر لا بساسة الحكم فالساسة يقودون جمعاً من الناس، والمفكرون يقودون أمة من العقول ولذا يزول الساسة بزوال الحكم، لأن الحكم لا بقاء له، ويعيش المفكرون بعيش الفكر لأن الفكر لا فناء له؛ وخلاصة الأمر أن ماهية الأمة مفكرون وحضارة. ونحن شعبٌ ينتج من الساسة أكثر مما يلد من المفكرين، ومناصب المسؤولين في العدِّ أكثر من بحوث الأساتذة في الحساب.

ويكفي في بلد كالعراق، ان يكون في جيبك وفرة من المال، و جنبك حشدٌ من الأعوان لتدخل الانتخابات فتكون سياسياً، أما ولادة المفكر فهو مخاض أمة لا مخاضِ أم لأنه يلد من رحم تراثها وتأريخها، آمالها وآلامها لأنه حين يولد يغدو أباً للأمة فيكون مصباح هدايتها الذي تستدلُّ به في ليلها الدامس، واوتار قيثارتها التي تعزف عليها لحنها الخالد، ومشعل نارها الذي تصطلي منه قبس العلم ولكن وا أسفاه حين انقطعنا عن تراثنا، انفصمت عرى هويتنا وحين استوردنا ثقافة غيرنا تغيرت كل مفاهيمنا ولأن اوتار قيثارتنا مقطوعة، ومصباح هويتنا منطفيء، ونار مشعلنا هامدة صرنا أمة الصدى، نرجِّع ما يقوله الآخرون كالببغاء، ونردِّد ما يلوكه غيرنا كالأطفال ولذا صرنا أسرى ثقافة غير ثقافتنا، ورهائن فكرٍ غير فكرنا وصرنا نستورد مشاكل حضارة غير حضارتنا.

أوليس العجيب أن أمة ترزح تحت ركام هائلٍ من المشاكل الاجتماعية، وتنوء بثقل احمال من الهموم الفكرية تستورد مشاكل غيرها من الامم، ممن يختلف معها في ألفكر ويتقاطع واياها في المفاهيم ويتعاكس معها في الاتجاه وتتجاهل همومها وتنسى مشاكلها؟

اقرأوا صحفنا ومجلاتنا، وصوِّبوا مرامي عيونكم نحو سطورها وكلماتها اين هي هموم امتنا وأوجاع شعوبنا؟ في أي احرفٍ ترى اوجاع محنتها، وفي أي عبائر تبصر تلألؤ عبراتها؟

أصغ السمع جيداً، هل سمعت زفير آهاتها في صرير الأقلام، أم تحسست الآم فؤادها في هسيس السطور؟ أترضون ونحن على ساحلِ ثرثارٍ بالقيم، موَّاجٍ بالأصالة ونعبٌ من كأس الآخرين؟

أتقبلون ونحن على شاطيء غني باللؤلؤ ثري بالمرجان ونأخذ من صدأ غيرنا؟

أي القضايا الإنسانية الكبرى لم تعالجها ثقافتنا؟ وأي الهموم الفكرية العظمى أهملتها حضارتنا؟

يذهبون إلى ثقافة غيرهم ليتحدَّثوا بزعمهم عن حقوق المرأة، وحقوق الإنسان، وحرية التعبير، وغير ذلك.

السياسي من على منبر السياسة يتحدث عنها، والصحفي في عمود مقالته يكتبٍ فيها، وتسألهما وغيرهما ما حقوق المرأة، وما حقوق الإنسان، فلا يتفقان جواباً.

إن ثقافتنا والإسلام جزء أصيلٌ منها، وركن وثيق فيها، تحدثت عن حقوق الإنسان قبل أن تتحدث أوروبا عن حقوقه، ودافع عنها بيده صادقاً، قبل أن يدافع الغرب عنها بلسانه كاذباً قال أمير المؤمنين (ع) لمالك الأشتر (رض) في عهده المشهور ((واشعرِ قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونَّن عليهم سبعاً ضارياً، تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)).

هكذا تكلم الإسلام عن حقوق الإنسان في وثيقة سياسية من قائد أعلى للدولةِ الإسلامية إلى أحد ولاتها، فلم يكن حديثاً للإعلام والصحافة ليكسب تأييداً، أو على منصة الأمم المتحدة ليكون ذريعةً للتدخل في شؤون الدول واحتلالها.

وقد روي عن النبي (ص) أنه قام لجنازة يهودي، فقيل له:- إنها جنازة يهودي؟! فقال: أليست نفساً؟

وإن ثقافتنا تحدثت عن حقوق المرأة قبل قرون من تحدث الغرب عنها يوم كان فلاسفة الغرب وعلماؤه يتساجلون على طاولة الحوار ويتجادلون على مائدة النقاش هل لها روح أم ليس لها روح! وإذا كان لها روحٌ بعد التفضل بالاعتراف بهذه الحقيقة، والانصياع للرضوخ إلى صدقها، فهل روحها إنسانية أم حيوانية؟ ولو قيل بأنها ذات روح إنسانية فهل وضعها الإنساني بالنسبة للرجل هو وضع الرقيق ام هو شيء ارفع قليلاً من الرقيق.

هكذا كان الفكر الأوربي يتناول المرأة، وكان الفكر الجاهلي قبل الإسلام يعتبرها وسيلة للذة، وغاية للشهوة، وهي بعد ذلك وعاء للنسل، وظهراً للخدمة.

وجاء الإسلام فحارب ذلك الفكر المحلي المجسَّم بجاهلية البداوة العربية، وهذا الفكر الوافد المجسَّد بجاهلية الحضارة الأوربية فقال إن ((المرأة ريحانة وليست بقهرمانة)) هذا تشبيه من الناحية المادية فإنها كالريحان جميلة المظهر طيِّبة الرائحة رقيقة الملمس، أما من الناحية النفسية فأوصى الإسلام بالرفق بهنَّ لأنهنَّ كالقوارير فالقارورة شفافة المنظر، رقيقة المظهر وهكذا فالمرأة شفافة النفس ولذلك صارت أماً، رقيقة القلب ولهذا كانت زوجة.

وفي الثورة الصناعية حين أعطت أوروبا المرأة الحق في العمل، فلأنها ارخص يد عاملة حيث الاستغلال بأبشع صورة، وأسهل مبتغى مبتذل حيث الحرام بأحقر حالة.

ولكن الإسلام الحنيف حين كانت المرأة في أوروبا تعمل في المصانع لقاء قوت يومها، أو أكلة تسدُّ بها رمقها قال للمرأة أنت سيدة بيتك ليس عليك واجب الطهي والطبخ، وغسل الملابس وتنظيف البيت بل وليس عليك إرضاع طفلك إلا بأجرة، ولك الحق في أن يكون لك خادم إن كان مثلك ممن يخدم ولك الحق أن لا تكوني وعاءً للنسل إن كنت لا تريدين ذلك ولك الحق على زوجك أن يشبع معدتك ويكسو ظهرك ويروي ظمأك.

هذا هو الإسلام مع المرأة باختصار.

إن ثقافتنا تحدثت عن حقوق الحيوان قبل أن تعرفها المدنيَّة المعاصرة، فجعل آداباً للذباحة وسنناً للصيد منها أن يعرض الحيوان على الماء قبل الذبح لعلَّ به إليه حاجة، وان يعامل عملاً يبعده عن الأذى بان يحدَّ الشفرة ويمرَّ السكين على المذبح بقوة ويجدَّ في الإسراع وان لا يسلخ جلد الذبيحة قبل موتها، أو يذبح حيواناً بمنظر حيوان أخر، وغير ذلك من أمور.

وأين هذا منه في أوروبا حيث يضرب الحيوان ضربةً قويةً على رأسه بحجة أن الضرب يفقد الشعور فلا يحسّ بألم الذبح ولا يدري بوجع النحر، ولكنه فيه آلام اشد للحيوان، وتعذيب أكثر منه.

على أنه ثبت علمياً أن الذبح على الطريقة الإسلامية أفضل وأحسن، وذلك أن الحيوان حين يؤخذ للذبح يفرز مادة الاندريالين عند الخوف والفزع وهذه تسبب طعماً في اللحم غير لذيذ لو مات خنقاً أو نحو ذلك أما لو مات ذبحاً فان هذه المادة تخرج مع ذلك الدم الخارج بقوة فيزكو اللحم ويطيب طعمه.

تعالوا يا إخوتنا نكتشف هذا المنتجع من تطلعات إسلامنا، ونغوص موج البحر من عمق تراثنا، ونسبر كنه الغور من تأريخ فكرنا، ثم نحصد من ربيع ذاك التطلع ما انبت الإسلام من آراء خضر، زاهية، ونخرج من ذاك الغوص ما أفاد التراث من لآلئ براقة صافية، ونأتي من ذاك السبر ما وهب التأريخ من عطايا خالدة، ثم نمزج هذا وذاك كما تمزج الخميرة بالعجين ونصب ما مزجناه في قالب معرفي خاص كما تصب الخمرة بالكأس ونمتحن هذا الخليط بالفكر الوافد ليتبيَّن الحق الصراح من الباطل المهيض كما يمتحن الذهب على النار ليميز الترب من التبر.

ثم بعد الفوز والفلاح، والظفر والنجاح نلاقح بين ما انتهى إليه فكرنا الأصيل مع الفكر الإنساني الأخر ليولد برعم الرؤية قوي العود، اخضر اللحاء، زاهي الأوراق، طيب المجتنى هاكم بعض همومنا واكتبوا فيها، وتحدثوا عنها وهي هموم استقيتها من معين لا ينضب، واصطليتها من نار لا تخبو أخذتها من معدن العلم والحكمة، وقبستها من شعلة النور والهدى الهمُّ الأوّل هو هم التفقه في الدين وهذا كان من هموم إمامنا أبي عبد الله الصادق (ع) حيث يقول ((ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام)).

وفي حديث أخر عنه (ع) ((لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته)).

هذا رد على الذين يحاربون الثقافة الدينية، والعلوم الفقهية خصوصاً، بحجة انه ماذا جنينا من هذه العلوم؟ وماذا استفدنا منها؟ انظروا إلى العالم كيف تطور، وكيف ترقَّى في سلم العلم التجريبي والتكنولوجي ونحن ما زلنا في أخر الركب وفي أسفل القاع.

ذلك لأن الدين لم يحارب التقدم التكنولوجي، وهو يحث على طلب العلم في مجالات الحياة كافة ولكن في معرفة الحلال والحرام ضمانة أن لا ينحرف التقدم العلمي عن مساره فبدلاً أن يكون مهندس التكنولوجيا مشغولاً في مختبره بصناعة آلة الموت فان الوازع الديني يأمره بصناعة الآلة التي تخدم الحياة ومن ثم فأي عاقل متزن الشعور، ثاقب الفكر، يزعم أن الله تعالى بعث نبيه على فترة من الرسل وقحطٍ من الأنبياء وجدب من الإصلاح ثم يلقي عليه القول الثقيل والعبئ الكبير ويرشدُ الناس إلى ما فيه صلاحهم وصلاح حالهم ليقول بعد ذلك إن التفقه مخصوص بجماعة من الناس، وهم العلماء، ومنصوص في رهطٍ من القوم وهم الفقهاء؟

كلا يا سيدي لا يختلط عليك الأمر، فتخلط بين الاجتهاد التفقه، فالاجتهاد للخصوص والتفقه للعموم ((والتاجر فاجر ما لم يتفقه في الدين)) إذ لو كان الله عفا عن احد من الناس في أن يفقه دينه، أو تغافل عن فرد من الورى في أن يجهل شريعته لكانَ التاجر أولى القوم بالعذر لانشغاله بعمله وكَان أجدر الناس بالعفو لاهتمامه برزقه، ولكنه كان في ربوة من العفو، ونبوة من العذر.

من همومنا الأخر انتظار المهدي الموعود الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظلماً وجورا، ماذا اعددنا لهذا الانتظار، على صعيد المجتمع والفرد؟ وهيأنا لهذا الوعد على صعيد الأسرة والطفل؟

أليس قد ورد ((إن أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج)) فأين مظاهر هذا الانتظار؟ وشواهد هذا الترقب؟ والكوفة، وهي عاصمته الموعودة بشرف قيادته، والمرجوَّة لوصال طلعته كم من مهرجان أقامت له على قاعات جامعتها؟ وكم من ندوة أشادت به على موائد حواراتها؟

من هموم مجتمعنا هذا التفسُّخ الأخلاقي والغزو الثقافي عن طريق الستلايت مرة والانترنيت أخرى الذي فلَّ عرى الأسرة وحطم سور التقاليد والذي جعل البيت بؤرة فساد والجامعة مستنقع رذيلة وعدم التعاون على إشاعة ثقافة العفة، والتصميم على بث روح الأخلاق ترى ما يكون على الدولة لو منعت هذا الجهاز وخلقت بديلاً له،من قنوات ثقافية هادفة ونشاطات رياضية مسليَّة وأفلام اجتماعية بريئة؟

ما يضر شبابنا وأبناءنا لو مُنِعوا من النظر إلى الصور الخليعة والأفلام الهابطة؟

إن الفرق بين ثقافة العفة وثقافة العري كالفرق بين سجادة صلاة السيد محسن الحكيم ومنديل المغنيَّة ام كلثوم وقد أرشدنا الإمام الصادق (ع) إلى الورع عن النظرة الحرام، والتوَّقي من المنظر الحرام فقال ((إياكم والنظر فانه سهم من سهام إبليس)).

من هموم مجتمعنا هذا التخلف في النواحي الأدبية فأين النجف من ترنيمتها وشذى عبق الحبوبي وروائع الجواهري أين أزقتها من السيد محمد باقر الصدر، وعبقرية آية الله العظمى السيد الخوئي (قدس).

لماذا معدلات الرسوب في مدارسنا بنحو متصاعد؟ ولماذا لا يعرف اغلب أبنائنا لغةً أجنبية ثانية إلى جنب لغتهم؟

من هموم مجتمعنا لماذا بعد تسع سنوات من سقوط النظام ورحيل الطاغية لم تبن مدينة صناعية واحدة ترفد البلد بصناعة ولم تحي الأرض الموات لتزوِّد الوطن بزراعة ولم ترتفع ناطحة سحاب واحدة تزيد العاصمة جمالاً؟

من هموم بلدنا لماذا فشلنا في صناعة نخبة حاكمة عادلة تحب الوطن ولا تعمل للأجنبي؟ إذ إن كل من يتسلط على الكرسي ويستوي على المنصب يسومنا خسفاً وهضما.

أفليس الاستبداد من همومنا؟

والفساد الإداري من همومنا؟

وبقاء الشباب بلا عمل، وبناتنا بلا زواج وكثرة اليتامى والأرامل أليس من همومنا؟

وهذا التخلف في الخدمات، والتراجع في الولاء للوطن، وتبدل القيم والمفاهيم، وتغير المباديء والتقاليد أليس من همومنا؟

ومن اكبر همومنا أن يطرح مثقفونا مشاكل مجتمعات أُخر ويسقطوها على مجتمعنا.

أيها الأخوة المثقفون لا تكونوا صدى لأصوات غيركم فتكونوا أمة الصدى،

كونوا أبناء ثقافتكم، واطرحوا هموم أمتكم، فانتم القادة، فعليكم بحسن القيادة والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق..

القانون

بين آليات التطبيق.. وواقع القبول

وسام الحجّاج

حين يسن القانون، فالقصد من ورائه تنظيم حياة المواطن، والسير به نحو النظام والمدنية والحضارة، والابتعاد به عن التخلف والفوضوية، والارتقاء به نحو الرفاهية من خلال تنظيم حياته اليومية، سواء على المستوى الاجتماعي أو الخدمي.

لكن عندما ينظر إلى القانون على أنه آلة للضغط على المواطن... وأن المسؤول عن تنفيذ وتطبيق القانون هو الإنسان القادر على إرهاب المواطنين بواسطة تطبيق القوانين فإن النظرة تنقلب رأساً على عقب فيتحول القانون إلى شيء مرعب يتهرب المواطن من تطبيقه، ويتجاوزه كلما سنحت الفرصة.

مشكلة المواطن العراقي مع القانون أنه عاش خلال حقبة طويلة من حياته تحت ضغوط قوانين تصدر ارتجالاً، ويقصد بها إيذاؤه وتقييده وتحديده وتكبيله لأجل تمرير مطامع أصحاب النفوذ والسلطة.

شهدت الحقبة البائدة التي سبقت أحداث عام ٢٠٠٣ إصدار قوانين من هذا القبيل، فقد كانت القوانين عبارة عن وجهات نظر المسؤولين فقط، فأي عمل يراه المسؤول ملائماً لرؤية أسياده أو مطابقاً لمطامعه ورغباته يفرض على المواطن الأعزل ويطبق رغم أنفه، وما (السخرة، والجيش الشعبي، وشراء وردة الشهيد القسرية.. وغيرها) إلا أمثلة على ذلك. واعتاد الناس خلال تلك السنوات العجاف أن يروا في القانون سلطة لتقييدهم والضغط عليهم، فالمواطن يعمل ما بوسعه للإفلات من قبضة القوانين وتجاوزها...

واليوم.. وبعد ذهاب تلك الأيام العصيبة حري بالمواطن أن يرى في القانون انتظام حياته اليومية، ومحاولة لتسهيل سير الأمور، والانضباط والمدنية والحضارة.

ويمكن للمواطن أن يعتاد على ذلك من خلال:

١) وضع قوانين تسترجع حقوقه المسلوبة، وتساعده في تنظيم حياته، ودفع عجلة الاقتصاد نحو التقدم والازدهار.. ولذا فهو - مثلاً- تقبّل (برحابة صدر) قانون رفع أسعار المشتقات النفطية حين علم بأن ذلك القرار سوف يوقف عمليات التهريب التي قصمت ظهر الاقتصاد العراقي.. وفي مقابل ذلك كان حرياً بالحكومة أن تهتم بشأن المواطن كرد إيجابي على قبوله للقرارات التي تصدرها بالرغم من ضرر تلك القرارات على وضعه الاقتصادي والاجتماعي الخاص. فقرار رفع أسعار المشتقات النفطية مثلاً غيّر في حياة المواطن الكثير، إذ رفع من نسبة الأسعار في السوق إلى الحد الذي صار المواطن يشتري (البطاطا) بسعر (الموز)، في كثير من الأحيان، ناهيك عن أجرة السيارات التي أصبحت أضعاف ما كانت عليه قبل صدور هذا القرار. فما الذي تقدمه الدولة لتكافئ هذا المواطن؟

٢) أن يتلمس المواطن واقعية هذه القوانين بسرعة فائقة من خلال تطبيقها على الجميع بالتساوي ودونما محسوبية أو تفرقة.. إن قانون الغرامات الذي طبّق من قبل جهاز شرطة المرور - مثلاً- كان ثقيل الوطأة على العاملين في مجال سيارات الأجرة.. فهل يضمن هذا القانون تطبيقه على السائقين كافة؟.. وهل سيطبّقه شرطي المرور على المخالفين من السائقين ذوي القرابة حين يخالفون أمام عينه؟

٣) أن تصدر هذه القوانين لحل أزمة ما، لا أن تصدر ترفاً وبذخاً، كما صدر من قبل قانون تفعيل إشارات المرور الكهربائية - مثلاً- والذي كان يقصد منه التفاخر والتباهي بالبصرة كونها أوّل محافظة - بعد السقوط - عملت بنظام الإشارات المرورية.. هذا القانون الذي ما لبث أن ألغي لأنه لا يستطيع أن يستوعب الاختناقات المرورية الموجودة في البصرة بعد أن أنفقت من أجله الملايين من الدنانير.

٤) يحترم المواطن القرار أو القانون الصادر حين يكون مصحوباً بالوعود الحقيقية والصادقة.. وعندما يرى صدق المسؤول من خلال العدل والمساواة في التوزيع، وفي تحسين الخدمات.

٥) يبدأ المواطن بتطبيق القانون حين يشاهد الموظف الحكومي والرجل المسؤول عن تطبيق القانون قد طبقه على نفسه أولاً، ويخالف المواطن القانون - عندما تسنح الفرصة - حين يشاهد الموظف يخالف القانون مستخدماً نفوذه وصفته الوظيفية في ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، ومنها مخالفة سيارات الدولة للإشارات المرورية واكتمال أضابير الموظفين في الدوائر الحكومية قبل أضابير المواطنين العاديين، و..و.. الخ. إن تطبيق القانون لا بد أن يعد صفة أخلاقية، وليس فرضاً حكومياً.. والدولة لا تفرض العقوبات إلا للشاذين، والغاية منها تربية الناس على الاعتياد على النظام، ولذا فعلى موظف الحكومة - في كافة الميادين - أن يحترم المواطن، وأن لا يشعره بأنه مطارد من قبل الحكومة، وأن الرجال المدججين بالسلاح انتشروا في الشوارع لغرض الإمساك به مخالفاً. إن الدولة مجبرة على أن تشعر المواطن بكرامته وإنسانيته وحقه في ممارسة الحياة الطبيعية، وعليها أن تربيه على احترام القانون بالوسائل العلمية والتربوية التي تحفظ للمواطن كرامته وإنسانيته.

٦) يحترم المواطن القانون الصادر حين تصل إلى سمعه أخبار سارة عن التطوير والإعمار. والمواطن يؤمن بالإشاعة أكثر مما يؤمن بالإعلام وكلام الصحف. ومع الأسف، هنالك جهات ذات سطوة ونفوذ في الشارع العراقي حملت على عاتقها مهمّة تضليل المواطن وإغراقه ببحر من الإشاعات المغرضة التي تُثبّط من عزيمته، فيتجه في ردة فعل سلبية إلى عدم احترام القوانين وتجاوزها.

إننا - كمواطنين عراقيين - نمتلك طبيعة غير محمودة، وهي أننا نريد أن يبدأ تطبيق القوانين بغيرنا أولاً وأن نكون آخر من يطبقه، لذا نسارع إلى الاعتراض وإلى رفض القوانين حين نشاهد مخالفاً واحداً.. وإنك لتجد طابوراً من المخالفين للقانون لمجرد أن شخصاً قام بالمخالفة أمام أعينهم، وقد يعترض الكثير منهم حين يقف رجل القانون في وجوههم ويعدّونه غير عادل بوصفه غاب أثناء مخالفة الشخص الأوّل وحضر أثناء مخالفتهم.

إن تطبيق القوانين يعتمد على كل الأطراف سواء المسؤولين وأصحاب القرار أو الموظفين التنفيذيين الموكلة إليهم مهمة تطبيق القانون أو المواطنين.

لذلك فالمدنية التي نطمح لها يجب أن تشترك في إرساء دعائمها جميع الأطراف، والمسؤول قبل أن يكون مسؤولاً وموظفاً حكومياً هو بالبداية وقبل كل شيء مواطن مثله مثل كل المواطنين وتجري عليه أحكام قانون لذلك فإن تطبيق القوانين يبدأ من شخصه بصفته مسؤولاً عن تطبيق القوانين، وليس من حق أي موظف حكومي أن يتملص من تطبيق القوانين بأي صفة، ولأي سبب ومهما كانت درجته الوظيفية أو نوع انتمائه للحكومة.

كما لا ننسى حقيقة أن تطبيق القانون ليس عملاً حكومياً بحتاً يقوم بتطبيقه مسؤولو الدولة من أجل فرضه، بل يجب إشراك المواطن في تثبيت هذا القانون ودعوته للاسهام في دعم القانون بشكل فعلي، لا كما نراه حالياً في التلفزيون على شكل إعلانات مدفوعة الثمن ولا تحمل في حقيقتها أي مضمون وواقع سوى أنها شعارات جوفاء من قبيل (العراق يختار الحياة، لعيون العراق فتح عيونك، يمضون ونبقى، وغيرها).

يقف المواطن مكتوف اليدين قبالة كل الأعمال التي تقوم بها الدولة من أجل تثبيت القانون لأنها لا تحاول إشراك المواطن في ذلك، وحين أشركت المواطن في تثبيت القانون في بعض المحافظات طليت هذه العملية بطلاء سياسي فحولت نشاطات المواطنين إلى عمل سياسي واختارت رمزاً له وجعلته جهة سياسية في مقابل الجهات الأخريات وضمت تحت سطوته كل من اشترك في دعم القانون بالرغم من أن الكثير ممن اسهموا في ذلك لم يقصدوا الانتماء السياسي وإنما قاموا بذلك من أجل فرض القانون ومن أجل حياة أكثر أمناً لا غير.

أبو ذر الغفاري..

رجل النزاهة في عصر صدر الإسلام

تحقيق: حسن كَاظم

لقد أبرزت دعوة رسول الله (ص) رجالاً أفذاذاً خدموا الرسالة المحمدية بالغالي والنفيس وتحملوا إبراز المبادئ الحقيقية لهذا الدين وهو ما يزال في مراحله الأول وقد امتدت الأيدي الخبيثة لكي تغير مبادءه التي نزل بها الروح الأمين على سيد الخلق أجمعين محمد (صلى الله عليه وآله) فكان لا بد من وقفة مع من حملوا أعباء الرسالة كي لا ينجرف الناس وراء مبادئ دخيلة على الإسلام الهدف منها تحقيق رغبات أشخاص معينين ممن حسبوا على الدين الا وهم الطبقة التي استأثرت بالسلطة امتثالاً لأنفسهم الأمارة بالسوء، فانبرى كثير من الصحابة بهذه المسألة أمثال سلمان المحمدي وعمار بن ياسر والمقداد الكندي وفي مقدمة هؤلاء هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ذلك الرجل الذي تفرد في عصره (بعد سيده ومولاه الامام علي (ع)) بخصال يندر وجودها جميعا في شخص ما كيف لا وهو القائل حين إسلامه أن يقول الحق ولا يخاف لومة لائم، وأن يقول الحق ولو كان مرّا.

كان أبو ذر قبل الإسلام راجح العقل وذا نظرة عميقة وإدراك وفهم وتفكر حيث قالوا فيه إنه كان يتأله في الجاهلية ويوحد ولا يعبد الأصنام، وكان ممن حرّم الخمر والأزلام على نفسه وجاء في مسند أحمد (أنه كان يصلي قبل أن يلقى رسول الله (ص) بثلاث سنين فسئل لمن تصلي قال لله) ومن المشهور عنه انه قال بيتا من الشعر يهزأ فيه بالأصنام بقوله:

أَرَبٌّ يَبُولُ الثَّعْلَبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

فحري بمن كان يحمل هذه الأخلاق في الجاهلية أن يذوب قلباً وقالباً في الدين الإسلامي دين الرحمة والتسامح وهذا ما حصل فعلاً لأبي ذر فقد عرف مبادءه وتشربت نفسه الطاهرة بها وقد أسس أبو ذر لمبادئ سامية أصبحت في يومنا هذا ينادى بها في كل محفل فقد كان رجل النزاهة الأوّل حيث كان يفضح المفسدين الذين كانوا يكنزون الذهب والفضة وكان معارضاً لنظام الحكم بما يعرف اليوم الحكومة والمعارضة فهو أيضاً كان المبادر الأوّل في هذه الخطوة، وقد كيّف نفسه في العيش حاله حال المسلمين، وهو أبو ذر الرجل الذي يشار له بالبنان كيف لا وهو زعيم قومه وفارسهم. فمن أهمية هذه المبادئ التي كان ينادي بها أبو ذر كانت لنا وقفات مع بعض الأساتذة والشيوخ والباحثين للتعرف أكثر على أهمية مبادئ أبو ذر التي صارت في وقتنا الحاضر مبادئ لا يمكن التغاضي عنها. حيث انه دفع حياته ثمنا لها من قبل عثمان بن عفان حيث نفاه إلى الربذة ومات فيها سنة ٣٢هـ.

إن أباذر نادى بمبادئ سامية أصبحت اليوم محط أنظار الشعوب المتطلعة إلى حياة يسودها العدل والإنصاف، فكان ينادي بالمساواة في العطاء بين أفراد العائلة الإسلامية من قبل الحكام الذين خلفوا رسول الله لأنه قد عاصرهم في حياته (رض)، فهو أوّل من طالب بمفهومنا المعاصر بالنزاهة وناضل من أجل ذلك بوجه الحكام من خلال تصديه لهذا المبدأ الذي يحفظ حقوق الشعوب من الخيرات التي تدر بها بلادهم، فتوجهنا إلى **الأستاذ الدكتور محمد حمزة الشيباني** الأستاذ بكلية الشيخ الطوسي الجامعة نسأله عن مدى أهمية هذه الخطوة التي أسس لها هذا الصحابي الجليل وما لها من أثر في تصحيح المسار الحقيقي لمبادئ الإسلام والتي أصبحت فيما بعد الشغل الشاغل لتطلعاتها. فقال: من المعروف أن تاريخ المسلمين مليء بالنقاط المضيئة التي تعكس تربية قيم الإسلام ومثله العليا والتي تجلت في مجموعة من الأشخاص جسدوها على ارض الواقع، وهم في تجسيدهم لهذه المثل أوصلوا رسالة إلى الإنسانية جمعاء أن الإسلام مشروع حضاري قابل للتطبيق، ويمكنه إنقاذ البشرية من كل أشكال الاستغلال ومصادرة الحقوق.

ومن هذه الشخصيات الإسلامية الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رض)، الذي عرفت عنه قوة مجاهرته بالحق والتصدي القوي للباطل حتى انه سبب إحراجا كبيرا لحكام عصره. إن سرّ قوّة أبي ذر أنه لم يهادن باطلاً، ولم يماليء حاكماً، وأبى أن يتزلف، وأنكر على المتزلفين مواقفهم. وسرّ قوّة أبي ذر أنه كان جريئاً في قول الحق، وفي تسميته الأشياء بأسمائها، وكان كل همّه أن يفتح عيون الناس على حقيقة واقعهم وواقع الانحراف الذي ينخر جسد الأمة، الانحراف الذي أسّس لسياسة جديدة يزداد فيها الغنيّ غنى، والفقير فقراً، وفي هذا انقلاب واضح على مبادئ الدّعوة الإسلامية التي عملت على حلّ مشكلة الفقر والفقراء. أما وأنّ هذا الانحراف يحصل تحت غطاء إسلامي، فهذا شكّل خطرا كبيرا على التجربة الإسلامية.

إن أبا ذر انطلق من الرؤية الإسلامية التي تحكم بمحاسبة المفسد لفساده مع غض النظر عن مكانته ومركزه الاجتماعي، وتطبيق مبدأ سريان حكم القانون على الجميع، لأن الحاكم أو القيادي إذا كان فاسدا ومفسدا وبيده مقدرات البلاد فالنتيجة الحتمية لذلك جر الأمة إلى دوامة من الفساد، لأن فساده سوف يتعدى إلى مساعديه بالضرورة فتقع مفاصل الدولة بيد مجموعة من المفسدين، وسوف يجر هذا الأمر بدوره إلى التهاون في محاسبة المفسدين بسبب التواطؤ الخفي أو المعلن بين هؤلاء المفسدين، لذا وقف أبو ذر بوجه هذا النوع من الفساد بحزم فقد كان يقف في مسجد رسول الله (ص) ويجتمع إليه الناس، فيحدّث ويذكر ما غُيّر وبُدّل من سنن رسولهم (ص)، وكان يرفع صوته في أي مكان في المدينة، حتّى ضاقت السّلطة ذرعا به، فنفي إلى بلاد الشام.

إن الذي أدى إلى ثورة أبي ذر عاملان رئيسان أولهما نزعته الثورية التي تحس بالمجتمع ومعاناته، وثانيهما السياسة الخاطئة لعثمان والتي كانت غير ملتزمة في توزيع النفقات والهبات وإنتاجية الدولة على المجتمع آنذاك، مما أدى إلى صعود القلة القليلة على حساب الأغلبية وأكثرية الشعب بمناصبهم وأموالهم الطائلة التي لا يعرف من مصدرها شيء وأخصهم بالذكر بنو أمية أقارب الخليفة وخاصة الذين كان يطلق عليهم الطلقاء (والطلقاء هم المسلمون الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة، أي إما جبرا أو رياءً وسمّوا بالطلقاء لقول النبي محمد (ص) إذهبوا فأنتم الطلقاء وعفى عنهم بعد فتح مكة). ففتح بيت المال على مصراعيه بخزائنه وأمواله وممتلكاته لهذه العصبة، وفي ليلة وضحاها ظهرت على السطح هذه القلة والتي تمتلك من المال الشيء الكثير والإسراف فيه والبذخ الجامح، في حين أن الاغلبية المسلمة حينها كانت تعج بالعوز والجوع تجعل من السماء لحافا والأرض بساطا، فكان يعطي عثمان على سبيل المثال لا الحصر، مروان بن الحكم أموالا طائلة ويعطي أخاه الحارث بن الحكم ثلاثمائة ألف درهم عطية واحدة ويعطي زيد بن ثابت مائة ألف درهم عطية واحدة.

وهذا إن دل على شيء فهو يدل إما على ضعف شخصية الحاكم أو هو غير مدرك بما أوكل إليه من الحفاظ على أموال الرعية والمجتمع أو أصلاً هو غير مقتنع بما يسمى بالحقوق والواجبات وتصرف بتصرف الدكتاتور واعتبر أموال الناس ملكه لا يشاركه بها احد، لذلك ثار أبو ذر الغفاري ورفع شعار ثورته العادلة في وجه عثمان وبدأت ثورته التي لم يستطع احد إخمادها وبدأ يندد بالسياسة الخاطئة المتبعة مثل كنز الأموال وإعطاء هذه الثروات لشخوص معدودة مقربة من الحاكم وعدم توزيعها على الشعب بالعدل، هذا الشعب الجائع الذي كان يفتقد إلى ابسط مقومات العيش وحاجياته، في كل مناسبة وغير مناسبة وفي كل محفل وحتى يدور في الشوارع ويندد علناً لا خائفا ولا وجلاً، فضجر منه عثمان وخاف من أن يقلب عليه العامة وحذره مرارا، لكن أبا ذر لم يستمع لهذا الحاكم، فبعثه إلى معاوية جبرا في الشام، ومعاوية هذا تقلد زمام الأمور في الشام في عهد عمر وضل على ما هو عليه لحين قيام الدولة الأموية وموته... فكان اليد الضاربة لعثمان والشخصية القوية التي يرتكز عليها في قمع كل تمرد والنزاعات هنا وهناك. جاء أبو ذر إلى معاوية ومع نظريته وفكره فوجد لديه الطامة الكبرى التي كانت أبلى من بلاء الخليفة نفسه في كنز الأموال والسرف والبذخ، فكانت إقامته عنده قصيرة لم تدم طويلاً حيث بدأ يناشد بأفكاره في الشام وفي حضرة معاوية علنا ويندد بسياسته وسياسة الخليفة المتبعة ولم يأبه لشيء وضل ينتقد سياسة الدولة، لذا تراه يقول لمعاوية، وهو الذي جمع الناس ليروا قصره، قصر الخضراء بدمشق: (يا معاوية، إن كان هذا من مال الله فهو خيانة، وإن كان من مالك فهو إسراف).

وقيل صبر معاوية، وصيحة أبو ذر ترنّ في أذنيه: (اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر الفاعلين له). وهكذا لم ينفع مع أبي ذر لا ترهيب ولا ترغيب، فلم يصبر عليه معاوية وبعثه مرة أخرى إلى المدينة والى عثمان، وضل يكرر أبو ذر: بشّر الأغنياء بمكان من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم...

وضل يطعن بعثمان لأنه أطلق يده من مال المسلمين واستعمل الأحداث وولى

وكان أوّل الصحابة الذين اعتبروا سقيفة بني ساعدة مخالفة لأمر رسول الله واعتبروه انقلابا على الشريعة الإسلامية وعلى ما جاء على لسان الرسول في وصيته من أن الإمام علي (ع) هو خليفة من بعده

الطلقاء وأبناءَهم على عامة الشعب حتى ضاق به عثمان، لذلك أمر بنفيه هو وابنته إلى الربذة (صحراء الربذة)، فأقام بها حتى مات غريباً وحيداً ومنفياً في سبيل مبادئه وفي سبيل العدالة التي انشد لها، وبعد موته ضلت ثورته وأفكاره تدوي الآذان في كل أرجاء الدولة والتي كانت احد الأسباب الرئيسة لثورة الشعب على عثمان والإطاحة به، وكان أبو ذر يعلم ويحلم باليوم الموعود التي تدوم فيه هذه الفكرة أو النظرية على كافة البشر ويرفع شعارها لخدمة الإنسان والمساواة بين البشر في توزيع الأموال بشكل عام ومنتظم ويعطى كل ذي حق حقه على حسب كفاءته وعمله وإنتاجه وعدم ترك الجياع المعدمين فبيت المال أو خزينة الدولة للشعب فهم أبناؤها ولهم تعود وليس لحاكم أو قلة قليلة تتصرف بمصير هذا الشعب ومستقبله.

أما الأستاذ الباحث والمحقق **(عبد الرزاق آل زعباك الزويدات)** فقد

توجهنا له بسؤال عن أهمية الخطوة التي كان رائدها أبا ذر الغفاري من انه كان يمثل الجانب المعارض للحكم لإطلاعه على خفاياه ومحاسبته للحاكم عن طريق التشهير به أمام الملأ فقال:

إن الصحابي أبو ذر كان رابع أربعة سبقوا إلى الإسلام وكان من المتألهين في الجاهلية والذين عبدوا الله وتركوا الأصنام ولما أسلم أجهر بإسلامه في البيت الحرام بمكة، فضربه رجال من قريش حتى ضرجوه بدمه وظنوا أنه قد مات، وهذه الخطوة بحد ذاتها تدل على شجاعته وإقدامه وقوة بأسه لذا ليس مستغرباً عندما يقوم أبو ذر الغفاري بمعارضة الأوضاع التي كانت مخالفة لما نزل به جبرائيل (ع) على رسول الله محمد (ص) وكان أوّل الصحابة الذين اعتبروا سقيفة بني ساعدة مخالفة لأمر رسول الله واعتبروه انقلاباً على الشريعة الإسلامية وعلى ما جاء على لسان الرسول في وصيته من أن الإمام علي (ع) هو خليفة من بعده، ثم بعد ذلك اخذ أبو ذر يوسع من معارضته لنظام الحكم لتوسع الفساد آنذاك حيث أخذ الحكام بإكتناز الذهب والفضة وتوزيعه على فئة معينة من الناس وحرمان أغلبية المسلمين من حقوقهم وخاصة معاوية بن أبي سفيان (لع) وقد خيف على معاوية كثيراً فشكاه إلى عثمان بن عفان وهو (الخليفة) فاستقدمه عثمان وعنفه ونفاه إلى الربذة وهي منطقة بين مكة والمدينة وتوفي بها سنة (٣٢) هـ، والدليل على معارضته انه لم يبايع الخلفاء بعد الرسول (ص) لأنه يعرف ويعي جيداً أحقية الإمام علي (ع) فيها، وهو يحمل أعظم شهادة من رسول الله (ص): (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر) ونظراً لصدقه ومعارضته اتهم أنه من أتباع عبد الله بن سبأ (الشخصية الوهمية).

وعن تأثير الرسول الأعظم محمد (ص) والإمام علي (ع) في تكوين شخصية أبي ذر قال زعباك:

إن أبا ذر (رض) كان زاهداً عابداً حافظاً للقرآن وهو رابع أربعة في الإسلام، وقد عده النبي من أهل البيت فقد أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي ذر عن الإمام علي (ع) عن النبي (ص) قال إن جبرائيل عليه السلام نزل فقال: (يا محمد إن الله يأمرك أن تحب عليا وتحب من يحبه). وقد أخرج الترمذي وابن ماجه موقف الخوارزمي عن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله أمرني بحب أربعة واخبرني انه يحبهم. قيل يا رسول الله من هم؟ قال علي منهم يقولها ثلاثا وأبو ذر وسلمان والمقداد بن الأسود الكندي)، وكان يأخذ العلوم من رسول الله (ص) ومن الإمام علي (ع) حتى وصل إلى منزلة رفيعة في العلم وقد ورد في الأحاديث أن الإمام علي ذات مرة كان يخاطب سلمان المحمدي وأبا ذر بقوله: (يا سلمان ويا جندب لقد كتمت عليكم علما لو أبحت به لقلتم جنّ ابن أبي طالب) نعم عد أبو ذر من أهل البيت، فعندما توفيت فاطمة (ع) خرج ثلة من الناس لتشييعها وهو ممن حضر دفنها (ع) مع الإمام علي (ع) وكان هذا الرجل من خلص شيعة الإمام علي (ع)، (وورد في تاج العروس٥/ ٤٠٥. وروضات الجنات/٨٨) قال أبو حاتم الرازي: (إن أوّل اسم ظهر في الإسلام هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة أبو ذر وسلمان وعمار والمقداد حتى آن أوان صفين فاشتهر بين موالي علي (ع)، وأهل البيت (ع) حتى أنه لم يترك فضيلة لهم (ع) إلا وحدّث الناس بها ولم يترك مثلبة لاعدائهم إلا أشاعها نصرة منه للحق وبغضا للباطل.. ليخرج من الدنيا كما أتى إليها لم تغره ولم يركن إليها.

أما **الشيخ علي الشبلي** بكالوريوس علوم إسلامية فتوجّهنا إليه بالسؤال عن الأسباب التي دعت الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري إلى حياة الزهد بعيداً عن الترف الذي من اجله كان العرب يضحون بأنفسهم في سبيله رغم انه كان شيخ غفار وزعيمها فقال:

إن أبا ذر كان فارساً من فرسان الإسلام وجندياً شجاعاً من جنود القرآن وفتىً أصيلاً من فتيان غفار، كان من سباق الناس إلى الإيمان ومن طلائع المبادرين إلى البيعة والطاعة والجهاد، من الثابتين على سنن الحق الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم، ولم تردعهم في كلمة الصدق هيبة حاكم أو بطشة سلطان غاشم.

ان الصحابي الجليل أباذر تأثر تأثراً شديداً بالرسول الأكرم (ص) والإمام علي (ع) فذاب فيهما وأخذ منهما كل شيء، وقد رأوه ذلك الرجل صادق الإيمان القوي الجنان فأعطوه الرعاية والتسديد فأخذها معياراً ومنهجاً سلك به حتى وفاته في الربذة، فبالرغم من أنه كان زعيم القوم القوي الجنان الواضح البيان إلا انه كان يعيش عيشة متقشفة متأثراً في ذلك بسيده ومولاه الإمام علي (ع) فبعد ان عرف أن الدنيا فانيّة لا محالة وأن نعيمها نعيم لا بد أن يذهب في يوم من الأيام وبعد أن عرف يقيناً أن كل سلطان زائل إلاّ سلطان الله تعالى (عز وجل) فلم يخش من أمير ولا حاكم بل يقول كلمة الحق ولا يخاف ولا يداهن لأن الله سبحانه وتعالى فتح قلبه للإيمان فشرب منه أبو ذر حتى فاض، فكان الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر كيف لا وقد واكب السيرة الإسلامية منذ انطلاقتها الأوّلى وجد نفسه لها في كل صعيد وضحى في سبيلها بالغالي والنفيس، وأمر بالمعروف في أحلك الظروف، ونهى عن المنكر تحت سيف البطش والإرهاب حتى ختم الله له بالسعادة، وقد نقل في نهج البلاغة ج٨ ص٢٥٧ أن أبا ذر كان آدمٌ، ضخماً جسيماً، كث اللحية والشعر طويلا، ثم صار بعد ذلك نحيفاً، أبيض الرأس واللحية، خفيف العارضين في ظهره جنأ (أي حدب)، وما كان ليحدث له ذلك لولا انه كان قد وهب كل شيء في حياته إلى ربه وأنه في عبادته يريد وجهه حتى قال رسول الله (ص): (من سره ان ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى ابي ذر).

وأخيراً لقد عانى أبو ذر من الظلمة وسيجتمع غداً بين يدي جبار السموات والأرض بكل من آذاه وظلمه فيقف معهم وقفة الحساب الصارم في محكمة العدل المطلق، وأمامهم الكتاب الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسيعض الظالمون حينذاك أصبع الندم ولات حين مندم، وسيتمنى كل واحد منهم الخلاص مما هو فيه ولات حين مناص.

إن أبا ذر كان مصداقا لقوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا).

وفي ظل ما تعيشه الشعوب الإسلامية اليوم، فنحن بأشد الحاجة إلى أن يقتدي كل فرد بهذه الشخصية في تشخيص الخطأ وعدم المجاملة في ذلك، وأن تتأسى المؤسسات (المعاصرة) بالصحابي أبي ذر (رض) وبدوره الذي أستلهمه من الرسول (ص) والإمام علي (ع).. فسلام على أبي ذر في الخالدين..

الإعدام...

العقوبة والهدف

المحامي مهدي كربول

إن الجريمة ظاهرة اجتماعية قائمة في جميع المجتمعات بمختلف القطاعات، فهي موجودة في العائلة والشارع والمحلة وهي منتشرة في كل مكان، فقد احترف البعض الإجرام وتأصلت الجريمة في نفسه تجري في عروقه مجرى الدم، كما نجد بعض المجرمين قد طرأت عليه الجريمة لدوافع شتى، ولأسباب معروفة نجد تفاصيلها في كتب أصول علم الإجرام وفق نظريات متعددة، وما يهمنا من كل ذلك أن تهتم السلطة بلزوم سيادة القانون حتى ينتشر الأمن وتطمئن النفوس ولا يتحقق ذلك إلا بالقضاء على أسباب الجريمة ومطاردة المجرمين واجتثاثهم بدون رحمة وفقاً للمذاهب الإنسانية المعروفة في معاملة الجناة وحسب أصنافهم ودرجة خطورتهم.

والإعدام لغة أن تجزي المرء بما فعل وذلك بإزهاق روحه وإحالته إلى العدم بطرق متنوعة.

وعقوبة الإعدام وفقاً للمفاهيم القانونية هي قتل شخص بإجراء قضائي من أجل العقاب أو الردع العام أو المنع، وعقوبة الإعدام تم تطبيقها من قبل كل المجتمعات البشرية تقريباً وعلى مر العصور، ولعل الخصومة السياسية هي الأكثر شمولاً بهذه العقوبة لتنفيذ أجندات سياسية طبقاً لرأي الحاكم أو الحزب وقد اتسمت هذه العقوبة بوحشية كبيرة في التنفيذ لدى المجتمعات القديمة فمن نزع الأحشاء إلى السلق حتى الموت وسلخ الجلد أو التكسير في العجلات الحجرية ولم يعرف لهذه العقوبة تقنين قبل شريعة حمورابي والتي أجازت استبدال العقوبة بالتعويض، كما أنها وكما تدل الدراسات التاريخية موجودة في شريعة موسى عليه السلام كما ورد في أسفار موسى الخمسة في العهد القديم التي نصت على عقوبة الموت جزاء القتل العمد وخطف الأشخاص وانتهاك حرمة يوم السبت بالإضافة إلى سلسلة من الجرائم الجنسية، وكذلك كانت هذه العقوبة معروفة في اليونان القديم على يد دراكر عام ٦٢١ قبل الميلاد، وكذلك استعملها الرومان لسلسلة من الجرائم من أجل حفظ أمن روما.

أما في الشريعة الإسلامية فإن لهذه العقوبة وجوداً، فالمرتد عن الدين يعاقب بالقتل وكذلك في جرائم القتل العمد، ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب وقال تعالى: (وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً) وكذلك في جرائم الزنا بالنسبة للمحصن كل ذلك إذا توفرت أركان الجريمة في حق الجاني وفق موازين لا يجوز تجاوزها بأي حال.

وذهب فقهاء الإمامية إلى أن الزنا في طرف الرجل والمرأة لا يثبت إلا بالإقرار أربع مرات مع كمال المقر بالبلوغ والعقل والاختيار أو بشهادة أربع شهود وفق شروطها وقد ذهب الشيخ المفيد (قدس سره) إلى عدم قبول شهادة النساء في الرجم مطلقاً.

ولولي الدم أن يعفو فتكون العقوبة التعزير وإلى ذلك ذهب مالك وحددها بمائة جلدة والحبس سنة، في حين أن الشافعي وأبا حنيفة وأحمد بن حنبل ذهبوا إلى أن التعزير يكون وفقاً لرأي الأمام دون تحديد، وفي حال تعدد الجناة أجاز الفقهاء لولي الدم أن يختار بين قتل الجميع أو قتل أحدهم والرجوع ببقية الدية على الباقين.

ويبدو أن المسيحية لا تدعم عقوبة الإعدام وكما ورد في أنجيل لوقا على لسان السيد المسيح (ع) (إذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له الأيسر) ولكن نجد الكنيسة الكاثوليكية تؤيد الإعدام ولكن بنطاق ضيق.

ولكن في عصرنا الحالي أصبحت عقوبة الإعدام قضية جدلية بين مؤيد لها ومعارض وكل يدعم رأيه بحجة خصوصاً بعد أن أيدت الأمم المتحدة مشروع قرار غير ملزم لمنع هذه العقوبة، فأوربا على سبيل المثال تدعم إلغاء هذه العقوبة لأن المادة الثانية من ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوربي تمنع تطبيق هذه العقوبة على الرغم من أن قسماً منها كبريطانيا مثلاً وخلال عام ١٧٢٢م كانت لديها ٢٢٢ جريمة عقوبتها الإعدام ومنها قطع الأشجار وسرقة الحيوانات وغيرها وتنفيذ العقوبة بربط الشخص المحكوم في أعلى سلم وتدليته من مؤخرة عربة متحركة مما يسبب له الموت وذلك في موقف مهيب ومحزن يحضره حشد كبير من الناس تقرأ فيه قبسات إنجيلية من قبل وعاظ، ثم تطور الأمر إلى استخدام الكرسي الكهربائي وحجرة الغاز باعتبارها طرقاً أكثر إنسانية ثم تم استخدام الحقنة المميتة التي لاقت معارضة كبيرة لأنها تسبب ألماً كبيراً، ومن الدول التي أبطلت حكم الإعدام استراليا ونيوزلندا وكندا وتيمور الشرقية قسم من دول أمريكا اللاتينية وبعض الولايات الأمريكية في حين أبقت تنفيذ هذه العقوبة ٣٥ ولاية أمريكية وكذلك الحكومة الفدرالية فيها.

وقد أقرت المنظمات العسكرية الحديثة عقوبة الإعدام كوسيلة لحفظ النظام العسكري، فعلى سبيل المثال أعدمت الحكومة السوفيتية في الاتحاد السوفيتي السابق ١٥٨,٠٠٠ جندي بسبب الهروب من الخدمة العسكرية في الحرب العالمية الثانية عن طريق الرمي بالرصاص وهي العقوبة الشائعة، وأصبحت هذه العقوبة وسيلة للقمع السياسي ولغرض فكر معين للتخلص من الخصوم والمعارضين لسياسات الاستبداد والقمع، ويبدو أن الصيحات المطالبة بإلغاء هذه العقوبة تحت ذرائع شتى بدأت بالتزايد ففي عام ٩٧٧ قامت ١٦ دولة بتأييد مبدأ الإلغاء وفي ٢٠٠٩/٥/١ بدأت ٩٣ دولة العمل على إلغاء هذه العقوبة مع أمكانية العمل بها في ظروف معينة.

وعلى الرغم من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونشاط المنظمات الإنسانية التي تعنى بالأطفال وحقوقهم وصدور التشريعات الخاصة بذلك إلا أننا نجد الكثير من الدول لا زالت تطبق عقوبة الإعدام بحق الأحداث تحت غطاء ديني كالصومال مثلاً تنفيذاً للعقوبات التي تصدرها المحاكم الإسلامية فيها متجاهلة الاتفاقيات ومنها اتفاقية حقوق الطفل.

وقد توسع المشرع العراقي وخلال الحرب العراقية الإيرانية وما بعدها وما أفرزته من تأثيرات سلبية، في تقنين العديد من القوانين المنضوية تحت جرائم تؤدي إلى عقوبة الإعدام، فقانون العقوبات العسكري السابق عاقب بالإعدام جرائم الهروب من الخدمة العسكرية والجبن والتخاذل والشروع بالانتحار للتخلص من الخدمة العسكرية والالتحاق إلى الجانب الآخر وكثير من الجرائم حتى الفكرية منها على الرغم من أن العراق من ضمن الموقعين على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ فالإعدام مخالف لأحكام المادة الثالثة فيه التي نصت على (لكل فرد الحق في الحياة والحرية والأمان على شخصه).

وفي أحكام قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ٩٦٩ وتعديلاته نجد أن الكثير من مواد هذا القانون قد تم تعديلها لتكون عقوبتها الإعدام منها الجرائم الماسة بحياة الإنسان وسلامة بدنه ٤٠٦/ ١و٢ ق.ع وكذلك الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة ٣٩٣/ ١و٢ ق.ع وكذلك جرائم السرقة للمواد ٤٤٠ و٤٤١ و٤٤٢ و٤٤٣ لبعض فقراتها وكذلك جرائم

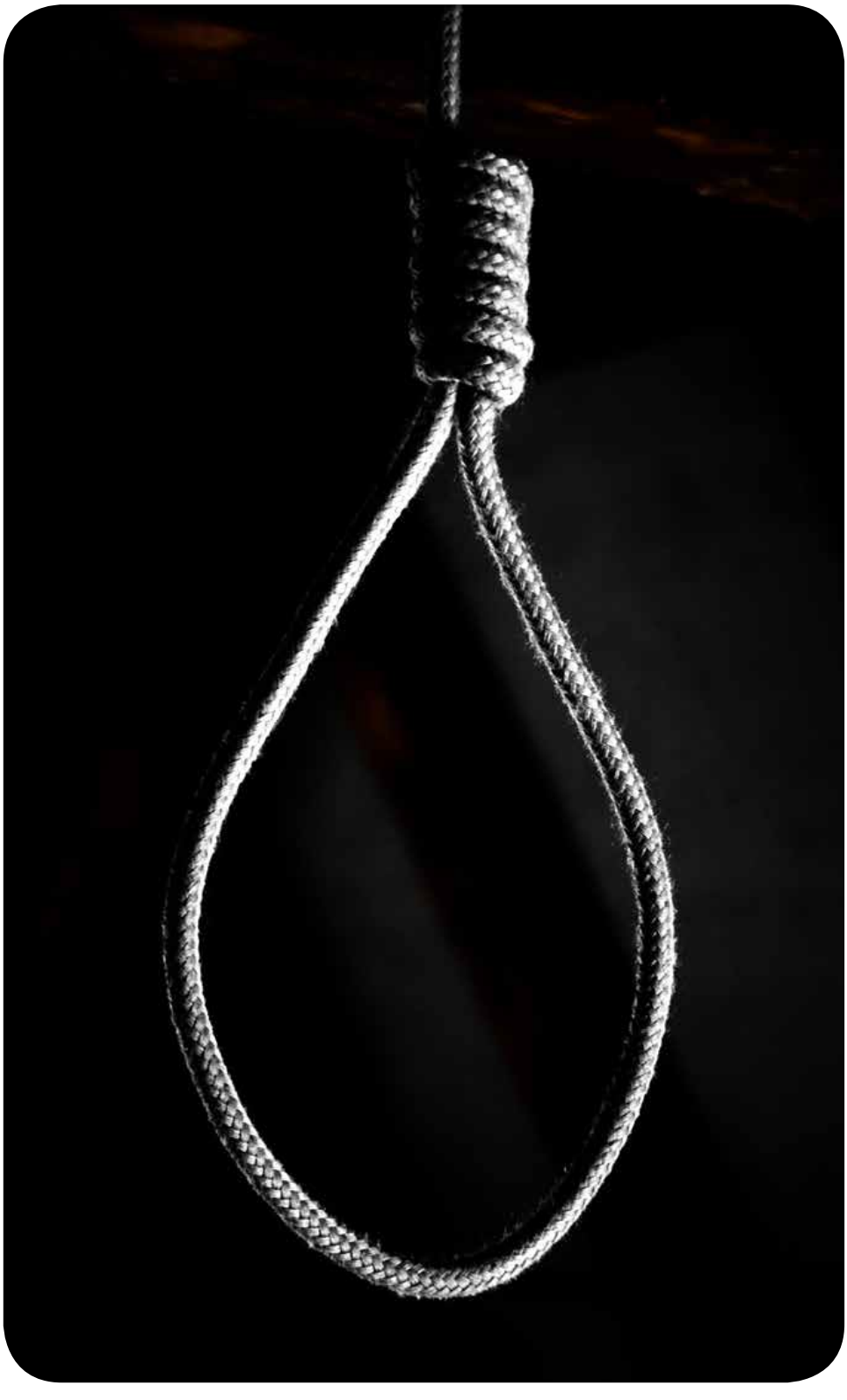

الاتجار بالمخدرات والجرائم الماسة بأمن الدولة الخارجي المنصوص عليها في المادة ١٤٦ ق.ع والتي توسع في تطبيقها لتكون إرادة فعالة للتخلص من المعارضين وكذلك جرائم تزوير جوازات السفر أو الوثائق الصادرة عن السلطة المختصة وأصدر مجلس قيادة الثورة المنحل الكثير من القرارات بذلك على الرغم من أن بعضاً من هذه القرارات كانت تقتضيها طبيعة المرحلة ومنها جرائم السرقة والاتجار بالمخدرات.

واليوم **ونحن نعيش ظروفاً صعبة تتمثل في محاولة إجهاض العملية السياسية من قبل العديد من الأنظمة الشمولية في المنطقة بعد أن هالها ما تحقق في العراق من تجربة ديمقراطية ومن أجل الحفاظ على نظامها التسلطي تسعى بكل إمكاناتها من أجل إفشال هذه التجربة تحت دوافع وذرائع شتى ولعل أبرزها رفع الشعارات الطائفية مستغلة تأييد بعض الكتل السياسية لهذه الأجندات التي تتطابق مع رؤيتها الفكرية وجذورها الطائفية والفئوية الضيقة وبعد أن استشرى عمل المنظمات الإرهابية وتسترها بغطاء ديني أدى إلى حرف المسار الصحيح للدين وما يدعو له من تسامح وأخوة وحفظ الدم كان لابد من تشريع قوانين خاصة لمكافحته فضلاً عن قوانين العقوبات** لأنه يحتاج إلى وقفة جادة من الجميع لمكافحته بعد أن أصبح مدمراً لا يختص بفئة أو مذهب فشرعت الكثير من الدول التي أكتوت بناره العديد من التشريعات لمكافحته واتخذت من الإجراءات ما يحفظ سلامة أمنها وأمن مواطنيها، ففي العراق وبعد معاناة وتدمير قام به تنظيم القاعدة في العراق وبعض التنظيمات الأخر وتحت مسميات عديدة تم تشريع قانون مكافحة الإرهاب، لكننا وللأسف الشديد نجد أن الصيحات قد تعالت لإلغاء بعض مواده ومنها المادة ٤ إرهاب متناسين مئات الآلاف من الضحايا التي خلفتهم الأعمال الإرهابية وما أفرزته من جيوش من الأرامل والأيتام، وهذه الصيحات مدعومة من دول في المنطقة تطبق أحكام قوانين خاصة لمكافحة الإرهاب في بلدانها وبقساوة، ونحن نعتقد بأن لا مجال لإلغاء المادة ٤ إرهاب لأنها وإن كانت مصدراً ولو بنسبة لمنع العمليات الإرهابية إلا أن فيها بعض العزاء لدماء الضحايا ولنفوس عوائلهم، ونأمل أن يفكر الجميع بمصلحة الوطن الموحد لا أن تكون الصيحات السياسية وخطاباتهم رسائل شر موجهة إلى الشارع لتحدث شرخاً متنامياً ومتسعاً يدب في أوساط النسيج الاجتماعي الذي لا سامح الله ربما يتمزق لتخرج منه فتنة حقيقية أكبر من أن تستوعبها صيحات اعتدال وعقل.

الكيميائي النووي العراقي أ.د بهجت محيي الدين

يغير 15 مفهوما وقانونا ومبدأ في الكيمياء والفيزياء النووية

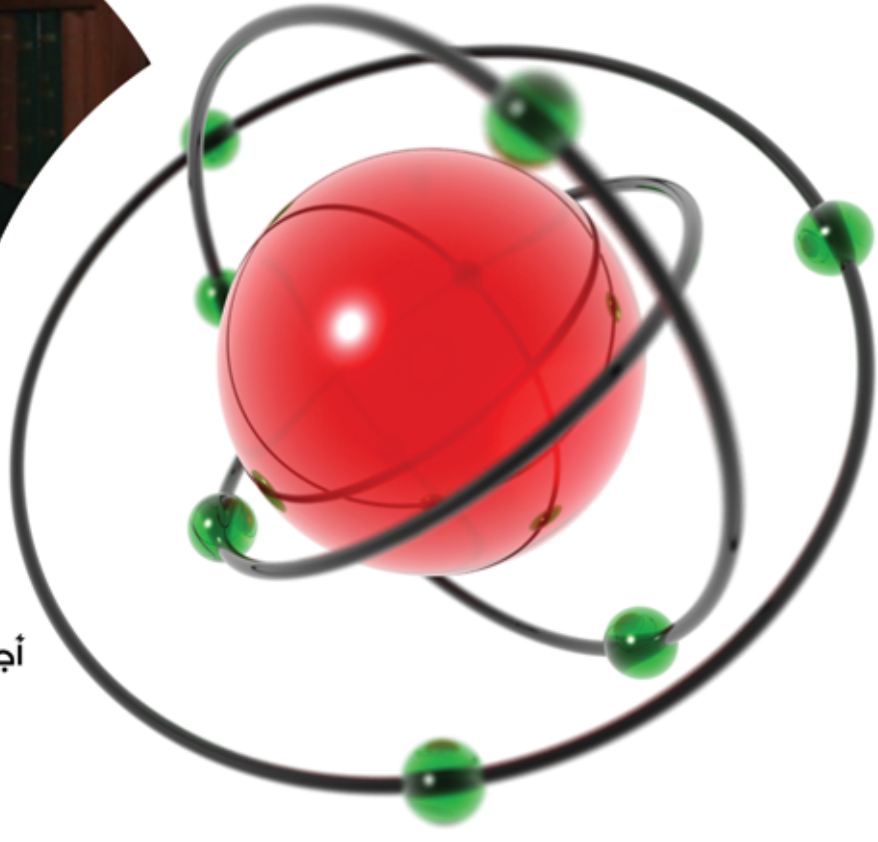

أجرى اللقاء: المهندس علي محيي الدين

العالم النووي العراقي البروفيسور بهجت محيي الدين، قدم نظرية كمومية جديدة في مجال العلوم النووية (الكيمياء و الفيزياء النووية) تضمنت أكثر من خمسة عشر قانوناً ومبدأً ومفهوماً نووياً جديداً بالإضافة إلى العديد من المعادلات الجديدة التي تستخدم في حسابات التفاعلات النووية وإيجاد مقدار النشاط الإشعاعي والطاقات المرافقة لها ومن أهم هذه المفاهيم هو تكميم الكتلة على غرار تكميم الطاقة وتوحيد القوى الأربعة ومبدأ تطابق الكتلة مع الطاقة والمعادلة اللانسبية للكتلة والطاقة التي تم تطبيقها في الحاسبات النووية فأعطت نتائج باهرة. وهو يحاول أن يجد تفسيراً جديداً للكون ولطبيعته وكيفية تكوّنه من المادة الأساسية، والاهم هو فهم موضوع الطاقة والكتلة. وقد وضع معادلات وتفسيرات عدّلت من معادلة الطاقة التي صدح بها العالم ألبيرت إينشتاين، كما نقد نظريتي النسبية الخاصة والعامة التي كانت حلم العلماء منذ إينشتاين، وأوجد بديلاً عنهما لا ينطلق من منطلقاتها التي يراها غير سليمة. كما صحح أكثر من سبعة مفاهيم في علم الكم النووي والذري. جاء بها ابرز علماء القرن الماضي وهم حملة جوائز نوبل ومنهم (ماكس بلانك، والبرت إينشتاين، ونيلز بور، وكمبتون، وفيرنر هايزينبيرغ، وانريكو فيرمي، ولويس دي برولي، وايرفن شرودنكر، وماكس بورن.. وغيرهم). مجلة نقطة التقته فدار هذا الحوار:

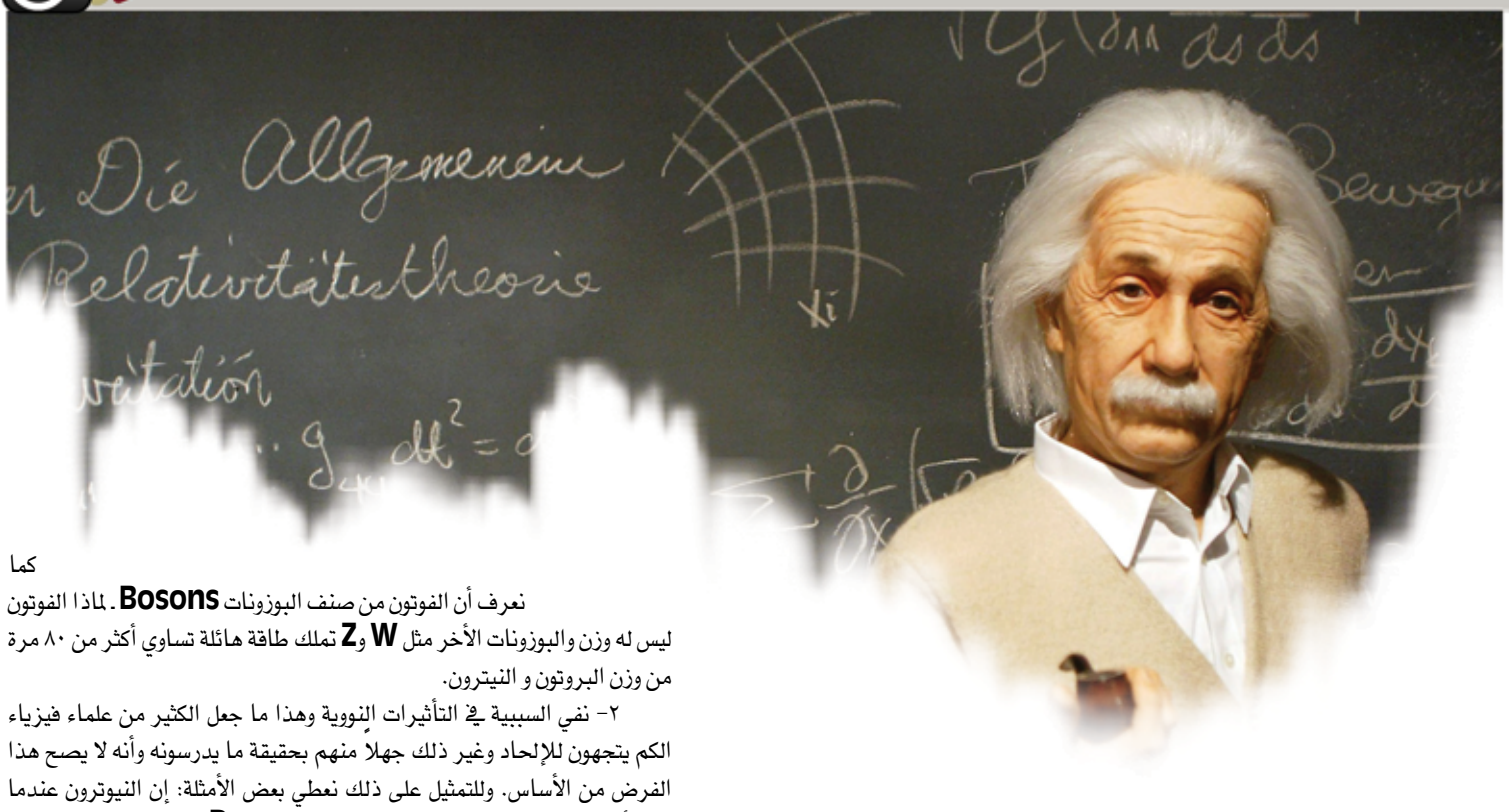

البروفسور بهجت محيي الدين، وأنت في النجف الأشرف ما هو شعورك؟

إنني افتخر حيث ولدت في مدينة بطل الإسلام وقديسه في منطقة الجديدة الشارع الثالث قرب شارع الرسول (ص).

وفي الحقيقة إنني لم أغب عن مدينتي عقلاً وتعلقاً إطلاقاً فهي في قلبي وعقلي ووجداني، ولا تفارقني أبدا منذ أن درجت ماشيا حتى مشقت القلم والى أن تدرجت في مراتب التعليم. فهي مدينة العلم وأهلها اغلبهم من سلالات علمية يحملون في جيناتهم شغف العلم والتفكير السليم.

ما هي الأسباب التي جعلتك تشكك في بعض معطيات علم الفيزياء النووية وتحاول إيجاد حلول لها؟

أحسنت على هذا السؤال، فإن بعض التفسيرات النووية مبنية على أسس باطلة عقلاً وعلماً وهي:

١- الإيجاد من العدم، وبالتالي فلا يمكن أن يكون هناك جسم كتلته صفراً وله زخم، فإن الصفر إذا دخل في معادلة يجعلها صفرا وهذا من بديهيات الحساب. فكيف يكون له زخم؟ وتصور الفوتون الذي اقترحه العالم إينشتاين متأثراً بالنظرية الدقائقية للعالم نيوتن في القرن الثامن عشر. أنه لا كتلة له وله زخم اعتمد على أن الصفر أو العدم ينتج قيمة ايجابية، وهذا غير ممكن في الواقع، ولهذا عاب العلماء ك: ماكس بلانك، ونيلز بور على هذه النظرية التي تصطدم بكون الضوء ذي طبيعة موجية أصلاً وليست كتلية، فقد قيل (واقترح - أي إينشتاين - أن الضوء يسلك سلوك الموجة في ظواهر معينة ويسلك سلوك الجسيم (الفوتون) في ظواهر أخر وبذلك تعارض إينشتاين في أوّل الأمر مع مبدأ النظرية الموجية للضوء للعالم جيمس كلارك ماكسويل والتي حققت نتائج مختبرية عظيمة ومنها تم حساب سرعة الضوء رياضياً وليس تجريبيا) وذلك لعدم معرفة خصائص الضوء الكهرومغناطيسية ومثال على ذلك أن إينشتاين فسر الظاهرة الكهروضوئية بأن كل فوتون من الضوء يعطي طاقته إلى إلكترون واحد، ويستفاد من هذا أن الفوتون حين يصطدم بالإلكترون يمنحه الطاقة، فكيف يمنح الصفر أي العدم، وهو لا يملك زخماً مقداراً من الزخم التابع للكتلة وقيمتها؟ فهذا تضاد واضح. أن إينشتاين لم يبين من إين جاء هذا الجسيم الفوتون هل من مصدر خارجي (فالسؤال لماذا صاحب موجة الضوء) أم تولد من نفس جنس الموجة الكهرومغناطيسية (فالسؤال كيف الموجة تلد جسما). وهناك سؤال آخر.

كما

نعرف أن الفوتون من صنف البوزونات **Bosons**. لماذا الفوتون ليس له وزن والبوزونات الأخر مثل **W** و**Z** تملك طاقة هائلة تساوي أكثر من ٨٠ مرة من وزن البروتون و النيترون.

٢- نفي السببية في التأثيرات النووية وهذا ما جعل الكثير من علماء فيزياء الكم يتجهون للإلحاد وغير ذلك جهلاً منهم بحقيقة ما يدرسونه وأنه لا يصح هذا الفرض من الأساس. وللتمثيل على ذلك نعطي بعض الأمثلة: إن النيوترون عندما يريد أن يتحول إلى البروتون فإن احد الكواركات من نوع **D** (٤,٨ ميكافولت) يتحول إلى **U** (٢,٤ ميكافولت) من خلال مساعدة البوزن من نوع **W** (السالب) ذي كتلة ٨٠ كيكافولت والذي ينبعث من العدم ثم يختفي، أي كتلة **W** بوزون التي تساوي عشرين ألف ضعف من كتلة الكوراك من نوع **D**، خلقت من دون مؤثر خارجي ثم اختفت، وهذا نفي للسببية بالإضافة إلى أنه إيجاد من العدم. ونحن نعرف أن نفي السببية سيؤدي إلى نفي المعرفة نفسها، فلا يمكن أن يكون هناك علم أصلاً إذا قررنا نفي السببية، ومثال آخر: افترض العالم البريطاني ستيفن هوكينغ. الذي أعلن إلحاده مؤخراً أن الانفجار الكبير حدث من دون سبب وأن نفس قوانين الفيزياء هي المسبب للانفجار مع أنها قوانين تفسيرية وليست فاعلة، فهنا نواجه قدرة خيالية على تخيل خلق الأشياء بدون مؤثر وعلى الإيجاد من العدم فيمكن في الكون أن تكبر الكتلة عشرين ألف مرة بلا سبب ومن دون استعارة وزن من غيرها وإنما من العدم. فهذان اتجاهان لا بد من تعديلهما ليكون علم ميكانيكا الكم علما منطقيا غير معرض للهزات الخيالية والكلفة الهائلة التي تصرف على افتراضات لا أصل لها ليجدوها بكلف مليارية.

٣- ضعف نظرية الكوركات النووية للعالم جيلمان (منح جائزة نوبل لنظريته) إن هذه النظرية تفترض أن كلاً من البروتون والنيوترون يتكون من ثلاثة كواركات علماً إن مجموع كتل هذه الكوركات تساوي ١٪ فقط من وزن كل منهما (وزن البروتون هو٩٣٨,٣ **MeV** ووزن النيوترون هو٩٣٩,٦ **MeV**) لذا تقول هذه النظرية: إن باقي الوزن يأتي من الطاقة الحركية لكل من البروتون والنيوترون. هذا يعني أن هذه النظرية تؤمن بأن للطاقة وزناً (كتلة) وهذا غير موجود في العلم. فمثلاً نحن نجد مقدار الطاقة الرابطة للنواة من خلال فرق كتلة المكونات لها وكتلتها طيفياً ولو كان للطاقة وزن لتساوت كتلة المكونات مع كتلة النواة المتكونة. كما أن هذه النظرية لا تستطيع أن تبين مصدر النيوترون المتحررة من انحلال البروتون والنيترون باعتبار كليهما مكونة من ثلاثة كواركات.

٤- الإيمان الخاطئ بتحول الكتلة إلى طاقة و الطاقة إلى كتلة فقد تولدت هذه الفكرة في عام ١٩٣٢ عندما فسر علماء النووية التفاعل **Energy +** خطأ حيث قالوا: إن (البروتون والليثيوم) تحولت كتلتهما إلى أشعة ألفا وتحرر جزء منها إلى طاقة. وأن هذا التفسير غير الدقيق سرعان ما أثر في شخص إينشتاين وساقه إلى القول بأن قليلاً من الكتلة يتحول إلى طاقة هائلة حسب المعادلة **E=mc2**

والتي نسبت إليه كونه تعاطى معها أكثر من غيره. وإن هذه المعادلة كانت موجودة في عام ١٨٧٥ قبل ولادة إينشتاين بأربعة أعوام (ولد البرت إينشتاين عام ١٨٧٩)، وقد ظلت هذه الفكرة لدى الكثير من العلماء ولازال أكثر العلماء يؤمن بها رغم عدم مصداقيتها.

ويضاف لما قلناه من المفاهيم الخاطئة والباطلة مشكلة خطأ التفسير (وقد يكون نتيجة ضعف البنية التحتية للعلوم في ذلك الوقت وهذا لا يشكل عيباً على العالم . خصوصاً العالم إينشتاين الذي بذل الكثير من وقته خدمة للعلم . وإنما العلم يُبنى صخرة بعد صخرة)، فإن التفسير الخاطئ يمكن أن يؤدي إلى خطأ تكوين المعادلة، ومن الأمثلة إن تفسير العالم إينشتاين لمعادلته في الطاقة تحسب على أساس مربع سرعة الضوء مضروباً في الكتلة غير دقيق. كما ادخل إينشتاين عامل لورنس في هذه المعادلة من اجل إدخال مفهوم الكتلة الثابتة والكتلة المتحركة النسبية فوجدها العالم إينشتاين مناسبة لما يريد من معادلة بينما هي عبارة عن معايرة وليست كما فهمها العالم إينشتاين. ولهذا عملت على اشتقاق معادلة غير نسبية لحساب الطاقة وهي **E=mbc** حيث أن **b** هو ثابت سرعة للجسيم النووي وليس للموجة الكهرومغناطيسية وقيمته تساوي خمس سرعة الضوء تقريباً وأن نتائج هذه المعادلة تتطابق مع الواقع الاختباري في المفاعلات، وهو قريب من أدق عمليات الرصد للتحويل. والفرق بين معادلة إينشتاين ومعادلتي هي بنفس الفرق بين الواقع العملي للتحويل في المفاعلات النووية وبين معادلة إينشتاين أي حوالي ٤٠ مليون إلكترون فولت مقابل نتيجة معادلة إينشتاين التي تنتج ٢٠٠ مليون إلكترون فولت، وهذا خمسة أضعاف القيمة التجريبية الفعلية في المفاعلات، وكل التجارب أثبتت قيمة اقل مما في معادلة إينشتاين.

نفهم من كلامك إن التجارب خالفت نتائج المعادلات؟

بعضها نعم وبكل تأكيد، ولهذا نحتاج إلى إعادة النظر للمعادلات والنظريات حتى لا تفترق عن النتائج التجريبية، فإن هناك نتائج تجريبية تعد موضع شك في العلم، ويجب تنقية هذا العلم الشريف من المغالطات من أجل خدمة العلم والإنسان.

ما هو الشرف في هذا العلم حيث أطلقت عليه (العلم الشريف)؟

هذا العلم مهم جداً للعقيدة وللواقع. أما في العقيدة فإن هذا العلم يحاول تفسير الكون وتوصيفه، وهو من هذه الناحية يشكل خطراً كبيراً على فكر الإنسان فإذا قبل بالمغالطات فإنه سينكر الخالق وسيؤدي به إلى الكفر بالله وبالوجود وبكل ما يحيط بالإنسان، وعليه فإن أي علم يمكنه إثبات وجود الله ومغالطته تثبت عكسه فيجب أن يحوطه المؤمن بالرعاية من أجل كشف المغالطات التي تؤدي إلى نكران الحقائق واختلاط الحق بالباطل. وأما من الناحية العلمية فإن التفسير الصحيح والمعادلة الصحيحة تمكن العلماء من الناحية التطبيقية من الوصول إلى نتائج كبيرة جداً في التطبيقات العلمية.

ذكرتم إن هذا العلم مفيد جدا للعلم التطبيقي وقرأنا في منشور شركة الهوية للدراسات إن نظريتكم صححت التفسير العلمي للكون ونشأته ولبعض الظواهر الفلكية فهل يمكنكم، توضيح ذلك؟

بالنسبة للعلاقة بين العلوم الصرفة والعلوم التطبيقية، نحن كعلماء فيزياء وكيمياء الكم والنووية مهمتنا نظرية بحتة وليس من مسؤوليتنا العلوم التطبيقية، ولكننا نلاحظ أن النظرية الصحيحة تنتج تطبيقات سهلة وصحيحة وغير متعبة بعكس النظريات المشوبة بالتشويش العلمي، وعلى العموم فإن أغلب العلوم النظرية والنظريات يوظفها علماء آخرون في مجالاتهم التطبيقية، فمثلاً ميكانيكا الكم يمكن تطبيقها في وضع أسس لمعادلات كيميائية معقدة يصعب الوصول إلى نتائجها بغير تلك النظريات، وقد وظف العلماء النظريات البحتة في إنتاج الطاقة الرخيصة والتحويلات المعقدة، كما مكنت المعادلات من برمجتها لإيجاد المحاكيات التصورية للعمليات الكيميائية والفيزيائية بما يختصر على العلماء الزمن والمال لإنتاج التطبيقات المطلوبة، وقد حاول العلماء إنتاج الطاقة الاندماجية من وقود رخيص وهو الماء المتوفر في الأرض بكثرة عظيمة ولكن التجارب الأساسية واجهت مشاكل عملية حيث إن الطاقة الناتجة من تفاعل الاندماج كانت أقل من الطاقة اللازمة للاندماج مما يعني الخسارة، وما ذلك إلا لأن هناك عنصراً خفياً لم يحسب جيداً ولم يفسر جيداً أيضاً وهو وصول المادة إلى الحالة الخامسة وهي: (حالة الشفافية النووية) ليسهل الاندماج بصرف القليل من الطاقة حتى نتمكن من كسب الطاقة الهائلة من وقود رخيص وآمن وهو الماء وهذا ما تكفلت به نظريتي، وبالنسبة للمنجزات في العلوم الفضائية **فإن الرياضيات وعلوم الكم هي التي مكنت العلماء من حسابات دقيقة جداً لتفسير ظاهرة نشوء الكون بما يشبه الوصف القرآني في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ)**، فإن نظرية الانفجار الكبير تقول أن الكون كان رتقاً فتفجر ليصبح كوناً متناثراً، وفي الآية إشارة إلى أن هذه النظرية وهي جواب على الكفر والإلحاد فإنها وجهت عناية الملحدين لهذه الحقيقة، وهذه النظرية وغيرها كلما كان تفسيرنا للجزء الأساس من المادة كلما كان التفسير اقرب للواقع واقرب للنفس في الإيمان بالخالق العظيم.

ونظريتي . نظرية الماغنتون النووية لتكميم الكتلة وتوحيد القوى . تكفلت بتوصيف اصغر جسيم خلقه الله وخلق منه زوجه بطريقة الزوجية العجيبة التي أشار إليها الله بقوله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)، وإن بتوصيف الماغنيتون وضديده وكيفية تكوين الأجزاء الأخر منه مثل الفرميون وطريقة تفاعلها يمكن تفسير النواة وانحلالها والذرة والكون على أساسين: الأوّل على أساس فيزيائي. والثاني على أساس اعتقادي تصويري وتصويري صحيح لنشأة الكون. ومن خلال هذه النظرية يتبين أن الله سبحانه خلق الكون بقدر ودقة لا يمكن تصورها ويستحيل معها فرض أي من فروض الصدفة والعشوائية.

هل تطرقتم لكيفية خلق الماغنيتون ومبتدأه؟

يستحيل الوصول إلى معرفة ذلك لأنه لا يوجد آليات تسمح بمراقبة وتقييس ذلك بل حتى فرض التقييس لما قبل المادة؛ نعم إن الجمع بين الدقة والعظمة يجعلنا نخضع لحقيقة إن ذلك الجسيم لم يأت من فراغ وإنما هو مُصنّع بطريقة عظيمة ومعقدة نجهلها وخارج حدود مداركنا الحسية والعقلية، وذلك هو صنع الله اللامحدود في قدراته وعلمه ووجوده. فلا بد أن يكون ذلك الجسيم المليء بالكتلة والمجال المغناطيسي والذي يدور فيولد طاقة جاء من عالم غير عالمنا المادي وبطريقة تركيبية لا نستطيع الوصول إليها.

هل يمكن إعطاؤنا فكرة عن نظريتكم الشاملة لتفسير تكوين الجسيميات النووية والنواة و الذرة.

لقد تم التوصل إلى نظرية نووية جديدة و هي نظرية المغانيتون النووية **NMT** والتي تتضمن تعديلات جوهرية على النظرية النووية المعمول بها حالياً وهي نظرية الانموذج القياسي الموسع **SMET** أوّلاً من حيث عدد وحدات البناء الأساسية في الكون حيث تقول هذه النظرية الجديدة **NMT** إن وحدات البناء في الكون هي٢ (المغانيتون وضديده) بينما تقول النظرية النووية الحالية **SMET** عدتها١٢ (و هي ٦ البتونات و٦ الكواركات). وثانياً من حيث عدد القوى إذ أن هذه النظرية الجديدة **NMT** تقول إن القوى الأربعة موحدة داخل النواة وهي القوى النووية الضعيفة والقوية والكهرومغناطيسية والتثاقلية بينما النظرية النووية الحالية **SMET** تقول هناك ثلاث قوى فقط (عدم وجود التثاقلية) داخل النواة. وثالثاً من حيث مفهوم تكميم الكتلة أن النظرية الجديدة **NMT** أوجدت تكميم الكتلة وعملت به ونجحت نجاحاً جيداً في تطبيقه، بينما النظرية النووية الحالية **SMET** تفتقر لمثل هذا المبدأ. لقد نجحت هذه النظرية **NMT** بتوحيد القوى الأربعة التي طالما انتظرها العلماء حيث حاول الآف الفيزيائيين على مدى قرن ولكن لم يتحقق ذلك لهم. فإن هذه النظرية النووية الجديدة طرحت مفهوم تكميم الكتلة على غرار تكميم الطاقة التي قام بها العالم ماكس بلانك في عالم١٩٠٠. حيث تقول هذه النظرية: **"إن الكتلة في الكون مكممة على غرار تكميم الطاقة وهي مكونة من وحدات كتلوية أساسية منفصلة تدعى الماغنيتونات".**

وقد شرحت هذه نظرية **NMT** كيف أن الكتلة المكممة تبني الفرميونات وهي

الإلكترون والبروتون والنيوترون. وأن كلاً من الإلكترون والبروتون يتكون من ثلاثة أغلفة من الماغنيتونات **K،L،M**. وإن الماغنيتونات داخل النواة ضمن الفرميون عند دورانها وفتلها تولد مجالا مغناطيسيا والذي بدوره يولد مجالا كهربائيا وبالتالي تتولد الشحنة الكهربائية السالبة عند الإلكترون والشحنة الموجبة عند البروتون حسب قانون فرداي. أن الماغنيتون يولد الشحنة السالبة وضديده يولد الشحنة الموجبة. إن النيوترون يتكون من أربعة أغلفة **K,L,M,N**. وأن شحنة **K** و **N** (الغلاف الأوّل والرابع) هي شحنة سالبة بينما شحنة الأغلفة الوسط **L** و **M** هي موجبة. وأن الغلاف الأوّل **K** لهذه الجسيمات هو الأكثر كثافة وأن هذه الماغنيتونات تدور في هذه الأغلفة. إن هذه الأغلفة النمتونية سوف تؤسس لمجال جديد في العلوم النووية.

طالما أن الغلاف الرابع للنيوترون هو ذو شحنة سالبة فهو يتأثر مع الغلاف الثالث الموجب للبروتون وبالتالي سوف يحصل هناك تأثر كولومبي بينهما مما يزيد في استقراريتهما بالإضافة إلى جسيم الكونزرفون الذي يربط بين هذه البروتونات والنيوترونات والذي يعد نوعاً من أنواع القوى التثاقلية. كما تفترض هذه النظرية أنه في حالة تواجد بروتونين قريبين فأن أحدهما يغير اتجاه دوران غلافه الثالث مما يعطي قيمية فتل مغايرة وبالتالي يزيد من الاستقرارية. وفي حالة نواة الهيليوم فأن كل بروتون ونيوترون يمتلكان فتلاً باتجاه مغاير للبروتون و النيوترون الآخر.

إن كلاً من الإلكترون والبروتون يمتلك كتلة مكممة معينة واحدة (أي له عدد ثابت من المغنيتونات) بينما النيوترون يمتلك كتلاً مكممة عدة يعتمد على مقدار وفرته وشحته في النواة. إن كتلة النيوترون في النظير المستقر تعد كتلة مكممة وان أي زيادة أو نقصان في كتلة النيوترون عن الكتلة المستقرة تؤدي إلى الانحلال، كلما زاد الفرق بين الكتلتين كلما أصبح عمر النصف اقصر. إن النظرية النووية الجديدة **NMT** تعتمد على الفائض في كتلة النيوترون في إجراء كافة الحسابات النووية لحساب قيمة **Q-value** على خلاف الطريقة المعمول بها من قبل النظرية النووية الحالية **SMET** و التي تعتمد كتل كل من البروتون والنيوترون في الحسابات النووية والتي تسمى بنقص الكتلة.

لقد نجحت هذه النظرية النووية الجديدة **NMT** في حساب الطاقة الرابطة و حساب قيمة الطاقة المتحررة **Q-value** من عمليات الانحلال كافة مثل **+, -, EC, ,cluster** وتفاعلات الانشطار والاندماج كافة والنتائج كانت باهرة. كما أدخلت هذه النظرية مفهوماً جديداً وهو حساب الطاقة القياسية لتكوين النويدة. لقد استخدمت هذه النظرية الجديدة **NMT** معادلة **E=mbc** بدلا عن **E=mc**٢ لأن هذه النظرية لا تؤمن بتحول الكتلة إلى طاقة بل تؤمن أن كتلة الماغنيتون تولد طاقة نووية عند دورانها وفتلها بقدر وزنها حسب مبدأ التطابق الذي وضعته. عندما تستخدم هذه النظرية النووية الجديدة مبدأ الفائض في كتلة النيوترون وتطبيق معادلة **E=mc**٢ فإن النتائج تتطابق مائة بالمائة وهذا يدل على صحة مفاهيم النظرية النووية الجديدة **NMT**؛ أي أن كلا النظريتين **NMT** و**SMET** يعطيان نفس النتيجة تماماً إذ يتم استخدام **E=mc**٢ رغم أنهما يختلفان في المبدأ ولكن نظرية **NMT** تستخدم معادلة **E=mbc** لذلك تكون النتيجة مختزلة إلى الخمس.

وإن النظرية الحالية **SMT** تؤمن بتحوّل الكتلة إلى طاقة بينما النظرية الجديدة **NMT** تؤمن بأن الكتلة تنحل إلى الوحدات الأساسية ـ لأن الكتلة مكممة ـ مع تحرر الطاقة المخزونة من داخل النواة. وأن نظرية الماغنيتون **NMT** طرحت مبدأ جديداً وهو مبدأ التطابق بدلا من مبدأ تحول الكتلة إلى طاقة أي تحول الكتلة إلى طاقة.

بعد أن قرأنا المنشور عن ملخص نظريتك فهل تسمح لنا بان ننقل الملخص الذي نشرته شركة الهوية للدراسات.

ج: لا مانع عندي وهي خلاصة إنها بالعربية لبعض النقاط التي طرحتها وهناك المزيد من الأفكار والاكتشافات العلمية التي يجب أن تدرس من قبل العلماء لتجد طريقها إلى البحث العلمي والافادة منها في المجال العملي فأن هذه النظرية ستسهل على الإنسان أهم مشكلة تواجهه وهي مشكلة الطاقة وكلفتها العالية، وآثارها السلبية على البيئة فلهذا ينبغي على كل عالم عاقل أن يفيد من الأساس النظري الذي يسهل الوصول إلى النتائج بدقة اكبر وبسرعة أكبر. كما تسهل بناء الانموذج التصويري للجزيئات بدقة لإنتاج اختبارات في الحاسوب قبل أن تحدث في المختبرات والفائدة هي في استبعاد النتائج الفاشلة من التجارب.

وهنا رأت مجلة نقطة أن تنقل الكثير مما ورد في ذلك المنشور:

فكانت خلاصة البحث:

عالم كيمياء نووية عراقي يغيّر معادلات ونظريات بعد قرون من التصورات و الجدال حول مفاهيم الطاقة والكتلة والضوء. لقد اشتق معادلة وضعية لمطابقة الطاقة مع الكتلة صيغتها:**E=mbc** (حيث ان الثابت الجديد **b** هو ثابت كوني يمثل سرعة الجسيم و قيمته تساوي **m/s x108** (٠,٦٢٥ بدلا من معادلة إينشتاين (التأملية **speculative**) التي وضعها عام ١٩٠٥ و التي أفرطت في تقييمها للطاقة بدلالة الكتلة:.**E=mc2** أن هذا العالم قد غيّر مفاهيم غابت حقائقها عن عباقرة التاريخ. لقد بيّن أن الكتلة لا تتحوّل إلى طاقة كما أن الطاقة لا تتحول إلى كتلة، وإن الطاقة مكممة منذ بدء الخليقة (التكمم: يعني ان الطاقة تمتص وتنبعث من الذرات أو الجزيئات بمقدار معين ومحدد من الطاقة)، و أن العالم بلانك قد اكتشف هذه الحقيقة من خلال معالجته للطيف الحراري للجسم الاسود عام ١٩٠٠ و قد تم الاعلان عن تكميم الطاقة.

كما أكد عالم الكيمياء النووية العراقي أن الضوء له طبيعة موجية، وهو لا يمتلك أية صفة جسيمية كما قال إينشتاين في عام ١٩٠٥، وأن تفسير الظاهرة الكهروضوئية وفق مفهوم سلوك الضوء الجسيمي من خلال الفوتون غير صحيح لأن الفوتون لا يمتلك (كتلته تساوي صفر) فكيف يمنح الالكترون زخماً عندما يصطدم به، وأن جسيم الفوتون الذي فرضه إينشتاين غير موجود في الواقع بل مجرد وهم.

كما بين العالم العراقي ان مبدأ اللادقة للعالم فيرنر هايزنبيرغ غير سليم والذي طرحه عام ١٩٢٧، (ومفاده أن حاصل ضرب الخطأ في تعيين موضع الجسيم في الخطأ في تعيين زخم حركته لا بد وأن يكون أكبر من المقدار) لأن هايزنبيرغ يعتقد أن عدم الدقة الحاصلة في القياس هي خاصية متأصلة في خصائص جميع الانظمة التي تملك السلوك الموجي وفق معالجة الميكانيكا الكمي هذا من جهة ومن جهة اخرى نتيجة لعملية القياس نفسها، والتي تؤثر فيها أجهزة القياس على الكميات المقاسة، بما فيها الضوء المستخدم نفسه وهو مبني على سلوك الفوتون الجسيمي الوهمي. ومعنى هذا المبدأ أنه مهما كان الإحكام وتطوير وسائلنا في القياس فلن يمكننا ذلك من التوصل إلى معرفة كاملة للطبيعة من حولنا.

كما اقترح العالم العراقي بان الغلاف الكهرومغناطسي المحيط بالنواة له دور فاعل في التفاعلات النووية و ان النواة تحتوي على جسيمات اسماها الكنوزرفون conservon التي تنتقل بين البروتونات والنيوترونات من اجل ربطها مع بعضها وهي تحافظ على قوانين حفظ الكتلة والطاقة والشحنة لهذه النويات والمسؤول عن تحول البرتون إلى النيوترون والنيوترون إلى البرتون عند الانحلالات والتفاعلات النووية. كما تنبأ العالم العراقي بأن هناك حالة خامسة للمادة موجودة في النجوم، وهي: الشفافية النووية وبوساطة تقليد ظروفها يمكن اختراع أو التوصل إلى مفاعلات اندماجية حديثة أفضل وأكثر فاعلية من المفاعلات الحالية، قد تحل مشكلة الطاقة للبشر بشكل رخيص جداً، وتنبأ العالم العراقي بحالة سادسة للمادة وهي: الثقب الاسود وهو تجمع الحطام النووي المتكون من المغانيتون. لقد اعطى تفسيراً علمياً للثقب الأسود، ولأول مرة في تاريخ العلم وخصوصا علوم الفضاء المعقدة، وبيّن أن الثقب الأسود مكوّن من الأجسام النووية الأصغر من الكواركات، وإنها كتلة باردة ذات مجال مغناطيسي عال والتي اسماها المغانيتون **magnetons**.

لقد بيّن هذا العالم أن النقط السود على سطح الشمس هي بداية للجسم الأسود، وهو أوّل تفسير علمي يطرح على علماء الفلك حيث هم حائرون في تفسيره. كما بين أن الضوء ينحني قرب الثقوب السود بسبب التداخلات الكهرومغناطيسية لهما وليس بسبب جاذبية الكتل بواسطة الكارافيتون كما صرح به العالم إينشتاين في النسبية العامة. كما بين العالم العراقي أن الفهم الخاطىء لمعادلة الطاقة الحركية **E=2mv2/1** والمعادلة المنسوبة إلى إينشتاين **E=mc2** ساق العالم إينشتاين إلى طرح النظرية النسبية الخاصة وهي لسوء حظه أيضاً كانت خاطئة بسبب اعتمادها على عامل لورنس. أي أن هذا العالم فند النظرية الخاصة والعامة.

السيارات في العراق...

بين الامتلاك ومخاطر القيادة

أجرى اللقاء: حيدر العبدلي

بعد سقوط النظام في العراق عام ٢٠٠٣ دخلت السيارات إلى العراق بشكل غير نظامي وبدون رقابة أو سيطرة على أعداد هذه السيارات وموديلاتها، فدخلت أنواع غير ملائمة لقواعد السير والمرور في العراق وهي ذات المقود الأيمن وأخر من مناشيء غير معروفة والأسوأ من ذلك هو دخول سيارات قديمة قد اسقطت عن العمل في بلدان المنشأ وأجريت عليها الصيانة وأرسلت إلى العراق لتعود إلى العمل، ولمعرفة مخاطر ومضار تلك السيارات..

كان لنا هذا اللقاء مع المختص في مجال هندسة السيارات المهندس احمد قاسم محمد الاستاذ في المعهد التقني في النجف الاشرف قسم هندسة السيارات.

/ هل تعتقد أن جميع السيارات المستوردة تحمل مواصفات تؤهلها للعمل في العراق؟

لا، ليست جميع السيارات المستوردة ذي مواصفات جيدة ومؤهلة للاستخدام في الشارع فمنها ذي موديلات قديمة ومنها مستهلكة وأخريات تعرضت لحادث مروري أو لعطل جسيم منعت على أثره من العمل في البلد الذي استوردت منه لكن تمت صيانتها بشكل سريع ودخلت إلى العراق بدون

رقابة لتكون عيوبها ظاهرة لدى المختصين بشأن قطاع السيارات، وحتى السيارات الحديثة فهي ذي مواصفات رديئة ومن مناشئ غير معروفة وسيئة حيث لا تمتلك وسائل الحماية والأمان والحداثة والتطور التكنولوجي الذي وصل إليه قطاع السيارات من أنظمة متطورة لجعل هذه السيارات صديقة للبيئة واقتصادية من ناحية استهلاك الوقود.

/عدم وجود مراكز للخدمة و الصيانة للشركات المصنعة للسيارات هل يؤدي إلى أخطاء في صيانتها من قبل مراكز الخدمة والصيانة المحلية؟

في اغلب دول العالم هناك مراكز خدمة وصيانة لأكثر الشركات المصنعة للسيارات وعند شراء سيارة جديدة تحصل على بطاقة ضمان وصيانة لفترة معينة تختلف من شركة إلى أخرى وحال القيام بالصيانة خارج هذه المراكز يسقط الضمان لهذه السيارة لان الشركة المصنعة تضع أجهزة

السيارات الحديثة الداخلة بكثرة للعراق كالإيرانية والصينية لا تحتوي على أي وسائل سلامة وأمان..

المهندس احمد قاسم محمد

ومعدات خاصة وكذلك المهندسون والعمال مدربون على هذه الأجهزة هم الذين يقومون بعملية الصيانة، أما في العراق فهذه المراكز قليلة أو معدومة فعند حصول أي عطل في السيارة يلجأ السائق إلى إصلاحها في محلات الصيانة التي تفتقر إلى الأجهزة الحديثة لفحص السيارات وقلة خبرة العاملين فيها، مما يؤدي في بعض الأحيان إما إلى أعطال أخر أو تكرار نفس العطل بعد فترة وجيزة.

/هل تختلف مواصفات الزيوت والوقود الموجودة في العراق عن ما موجود في دول العالم؟ وهل تتسبب النوعية في عطل السيارات؟

أكثر أنواع الزيوت المتداولة في العراق هي من مناشئ رديئة وأنواع مقلدة وغير أصلية فيتعمد التجار إلى استيرادها لرخص ثمنها ولعدم وجود وكالات لمناشئ زيوت عالمية ومعروفة كلها أسباب تؤدي إلى تعطل محركات السيارات أو قصر عمرها وكذلك اختيار الزيت الذي يلائم هذه المحركات فلكل محرك زيت خاص به محددة اللزوجة والمسافة التي تقطعها السيارة حتى يستبدل هذا الزيت.

/ هل قطع الغيار المستخدمة في صيانة السيارات هي من مناشيء عالمية وموثوقة؟

إن قطع غيار السيارات الموجودة في الأسواق حالياً يمكن أن تقسم على ثلاثة أقسام، الأوّل هي قطع غيار أصلية ومن منشأ معروف وتكون هذه القطع ذات أسعار مرتفعة نسبياً وهذه وجودها قليل نسبياً في الأسواق العراقية، والنوع الثاني قطع غيار غير أصلية أي مقلدة أو مجهولة المنشأ وهذه القطع تكون أسعارها رخيصة وبدون ضمان وموجودة في الأسواق بكثرة، أما النوع الأخير فهو الأكثر رواجاً وطلباً في الأسواق وهو ما يعرف بالمستعمل (تفصيخ) حيث السعر المناسب والاهم من السعر هو منشأ هذه القطعة حيث يضمن المشتري إنها أصلية ويحصل على ضمان وإن كان ضماناً تشغيلياً فقط.

/ السيارات الداخلة إلى العراق هل تمتلك مواصفات السلامة والأمان وضمان للصيانة؟

أكثر السيارات التي دخلت إلى العراق بعد عام ٢٠٠٣ من موديلات قديمة فهي منتهية الضمان أصلاً ولكنها من منشأ جيد من السيارات الألمانية واليابانية والكورية أما التي تدخل في الوقت الحاضر أي السيارات الحديثة فهي لا تحتوي على أي وسائل سلامة وأمان مثل السيارات الإيرانية والصينية لا توجد بها وسائل حماية للسائق مثل الوسائد الهوائية أو أنظمة تمنع انزلاق السيارة.

/ كيف للفرد أن يقتني سيارة من منشأ معروف ومعتمد تبعده عن إشكاليات الصيانة المتكررة؟

نحن في العراق نفتقد إلى المتخصصين في مجال صيانة السيارات الحديثة حيث أن أكثر الذين يعملون في هذا المجال هم لا يمتلكون المؤهل العلمي أو الشهادة التي تؤهلهم للعمل في هذا المجال فنجد أكثرهم يحصلون على خبرة بسيطة من أبائهم أو عملهم في احد المحال في صغرهم وهذا غير كاف مع وجود السيارات الحديثة التي دخلت التكنولوجيا في صناعتها فهنالك أجهزة حديثة تربط على عقول هذه السيارات لتشخيص الأعطال وهذه العملية تحتاج إلى أناس مدربين وحاصلين على مؤهل علمي تمكنهم من قراءة هذه الأعطال وتحديد مكانها وإجراء صيانة علمية دقيقة لهذه السيارات.

/هل نوعية السيارات الداخلة إلى العراق لها علاقة بالحوادث المرورية؟

إن السبب الرئيس لكثير من الحوادث المرورية هي السرعة الزائدة عن المقرر وكذلك عدم الانتباه والتركيز وقيادة الأحداث هي كذلك من أهم الأسباب للحوادث أما نوعية السيارة هي الأخرى لها علاقة بالحوادث حيث أثبتت التجارب أن هناك الكثير من السيارات تحتوي على أخطاء في التصنيع والتصميم وخاصة السيارات ذي المنشأ السيئ فهي لا تحتوي على أنظمة متطورة مثل أنظمة الاتزان وموانع الانزلاق حيث أن التطور في هذا المجال سريع فهنالك أنظمة جديدة في السيارات الحديثة من أنظمة الاستشعار بالطريق وتحديد المسافات بين المركبات حيث يطلق عليها حاليا بالسيارات الذكية.

أكثر أنواع الزيوت المتداولة في العراق هي من مناشئ رديئة وأنواع مقلدة وغير أصلية..

حديث خاص مع الدكتورة الصيدلانية (مي المؤمن) حول:

نبات الكركم .. علاج لأخطر الأمراض

حوار: بهاء الكناني

الكركم نبات يتجاوز عمره الـ (٥٠٠٠) عام، يُستخلص من خلال غلي الجذور بعد حصادها، ثم تجفيفها، وتُطحن لتُعطي مسحوقاً بلون مزيج البرتقالي والأصفر، وينتمي إلى فصيلة الزنجبيليات، وإستخداماته تنوعت فيما بين الإضافات إلى الأطعمة كأحد البهارات، وبين الاستخدامات الطبية والتجميلية كأحد العلاجات الطبيعية، الموطن الأصلي للكركم هو المناطق الواقعة فيما بين اندونيسيا وجنوبي الهند.

وبالتحليل لكمية ملعقتي شاي من مطحون الكركم، والتي تزن حوالي ٤ غرامات ونصف، نجد أنها تحتوي على ١٦ كالوري (سعر حراري)، وتُمد الجسم بحاجته اليومية من المنغنيز بنسبة ١٨٪، ومن الحديد بنسبة ١١٪، ومن فيتامين بي-٦ والألياف والبوتاسيوم بنسبة تُقارب ٤٪.

كثيراً ما تتناقل وسائل الإعلام فوائد هذه التتبيلة أو النبتة وضرورة استخدامها في أنواع الأطعمة المتعددة ولمعرفة تفاصيل هذه الدراسات وحقيقتها التقينا بالدكتورة الصيدلانية مي المؤمن في حوار خاص عن الكركم.

بداية للحوار يا حبذا لو تعرّفوا القراء الكرام بنبات الكركم ؟

الكركم نبات استوائي ينتشر في الهند واندونسيا يعرف علمياً بإسم كركوما لونجا **Curcuma longa**، وهو مسحوق جذور (ريزومات) لونه أصفر بني. ومن هذا المسحوق تحضر الخلطة المعروفة بإسم الكاري ذات التاريخ الطويل في بلاد الشرق كأشهر التوابل حيث يعطيها الطعم الحاد والمر نسبياً والرائحة المميزة نتيجة وجود زيت الكركومين الطيار **Curcumins oil**، والكركم يوجد منه عدة أنواع تنمو في أماكن متعددة من العالم. يسمى بعدة أسماء بالعربية منها الكركم والكركب وعقيد الهند والزعفران الهندي والجدوار والزرنب وعروق الصباغين وبقلة الخطاطيف والورس والعصفر.

ما هي فوائده الصحية؟

يستعمل الكركم كلبخة للجلد وتفيد في الكدمات والورم، ويوضع على الشعر الزائد فيقلل نموه، ينشط الكبد لإفراز الصفراء ويزيد حركة المعدة، ويزيد ذوبان حصوات المرارة، لأنه مدر للصفراء، به زيوت عطرية وأصباغ تذوب في الماء، يمنع المغص وطارد للأرياح وينظم العادة الشهرية وبه مادة **Curcumin** الصبغة الصفراء ولها تأثير يفوق الكورتيزون في الأمراض الجلدية وهي مضادة للأكسدة وأشد من فيتامين **E** ويقلل. ويخفض ضغط الدم.

المساعدة في حل مشاكل سوء الهضم حيث يعمل على إنسياب العصارة المرارية التى تقوم بتكسير الدهون، كما إنه طارد للغازات ويشتهر الكركومين أيضاً بأنه مضاد للإلتهابات عن طريق خفض لمستوى الهستامين ويخفف من الآلام المصاحبة لها خاصة التهاب المفاصل، إضافة إلى ذلك فهو علاج تقليدي لليرقان (الصفراء) والاعتلال الجسدي المزمن، ومطهر للمعدة والأمعاء من الطفيليات، وعلاج للإسهال والحمى والصداع والإنتفاخ والزكام والإلتهاب الشعبي ومقوٍ عام.

تعمل الزيوت الطيارة الموجودة في الكركومين على منع الإصابات البكتيرية في الجروح ويحل في ذلك محل المضادات الحيوية، ونظراً للفوائد السابقة فقد اهتم الباحثون في أماكن عديدة من العالم بهذا النبات، وفي السنوات الأخيرة استطاعوا إكتشاف العديد من الفوائد الصحية الأخريات لهذا النبات منها تخفيف آلام الروماتويد في المفاصل والتخفيف من آلام الطمث المصابة للدورة الشهرية في السيدات كما أنه قاتل للميكروبات المعوية واليروتوزوا والديدان وعلاج جيد للدسنتريا وقد ثبت دورة الهام كمضاد قوي للأكسدة ويحمي الكبد من آثار الملوثات ويحسن أداءه كما يحمي من حدوث السرطانات.

فضلا عن كون الكركم مضادا قوياً للأكسدة وللفيروسات وللالتهابات وللسرطان ويتمتع بخصائص خافضة للكولسترول، يَنصح العلماء به لعلاج مرضى التهاب الكبد الوبائي سي.

هل هناك دراسات علمية تؤكد الفوائد الطبية العلاجية لهذا النبات؟

أظهرت الدراسات أن الكركم أكثر فعالية من خلاصة الشاي الأخضر في تثبيط التلف الفيروسي لخلايا الكبد، وذلك بعد أن ثبتت قدرته على تحفيز الانتحار الذاتي المبرمج للخلايا السرطانية. وتوصل الباحثون بعد دراسة العناصر الطبيعية التي تشجع الانتحار الذاتي للخلايا الخبيثة وتطويرها كجيل جديد من أدوية السرطان مثل السيلينيوم وفيتامين (أ) والشاي الأخضر وفيتامين (د٣) إلى أن مادة (كركيومين) وهي خلاصة مضادة للأكسدة مستخلصة من بهار الكركم ذو الخصائص الصحية المتميزة ويرى الباحثون أن على مرضى السرطان أن يتعاطوا ما بين ٢٠٠٠ و٤٠٠٠ مليغرام يومياً من خلاصة كركيومين مع وجبة غنية بالمغذيات، حيث تعمل هذه المادة على تجديد وظائف الكبد وحمايته من الأمراض التي تصيبه.

فتتناول الدراسات والتجارب العلمية أربعة جوانب رئيسة لتأثيرات تناول الكركم، وهي:

- عمليات الالتهابات وتداعياتها كمرض السكري والتهابات المفاصل وغيرها.
- تنشيط قوة القلب وخفض الكولسترول الخفيف الضار.
- نشوء الأمراض السرطانية ونموها وانتشارها.
- الإصابات بمرض ألزهايمر العصبي.

أحد جوانب أهمية معرفة تأثيرات الكركم بشكل علمي واضح، أن هناك حديثاً يدور حول فوائد تتناوله لدى موروثات طب شعوب الهند والصين ومناطق شتى من آسيا.

في خصوص مرض السكري والالتهابات هل هناك دراسات علمية سلطت الضوء على تأثير الكركم في علاجه؟

ما قاله عدد من الباحثين الأمريكيين، من مركز مرض السكري بالمركز الطبي لجامعة كولومبيا، بسان فرانسيسكو، ضمن فعاليات المؤتمر السنوي لمجاميع طب الغدد الصماء، مفاده أن للكركم خصائص مضادة للالتهابات ومضادة للأكسدة. وهذه الخصائص يُمكنها أن تُخفّف من حالة)مُقاومة مفعول الأنسولين)، وبالتالي الوقاية من الإصابة بمرض السكري.

فتوصلوا إلى هذه الملاحظة العلمية بعد دراستهم تأثير الكركم على حدة عمليات الالتهابات في الأجسام السمينة لحيوانات تجارب المختبرات من نوع الفئران.

وقال الباحثون في فذلكة عرض نتائج دراستهم، إن الكركم له تاريخ طويل في الاستخدام كمادة مُخففة للالتهابات ولتسهيل التئام الجروح.

وهو ما أثار لديهم الرغبة في معرفة تأثيره على نشوء الإصابة بمرض السكري.

أظهرت الدراسات أن الكركم أكثر فعالية من خلاصة الشاي الأخضر

❖ الكركم يعيد لعضلة القلب حجمها وقوتها الطبيعية، وثمة قليل من الأدوية التي تُسهم في هذه الأمور

وذلك باعتبار ما هو معلوم من أن (عملية الالتهاب) إحدى الآليات المهمة في نشوء أمراض عدة، كالسكري مثلاً.

وأشار الباحثون إلى أن من غير المعلوم تسبب تناول الكركم بأي تأثيرات سلبية على الجسم البشري، وبإمكان المرء أن يتناول إلى حد ١٢ غراما يومياً منه.

وبالجملة، لاحظ الباحثون بالمقارنة لتناول فئران بدينة لكميات متفاوتة من الكركم، أن الفئران التي تناولته أقل عُرضة للإصابة بالسكري، وأدنى من ناحية مستوى عمليات الالتهابات في الأنسجة الشحمية وفي الكبد.

وإن سبب قلة الإصابات بالسكري ناجمة عن تأثيرات الكركم في خفض نشاط عمليات الالتهابات.

وبالرغم من هذه النتيجة المُشجعة، قال الباحثون بأنه من المُبكر جداً إخبار الناس بأن زيادة تناول البدينين للكركم سيكون له نفس التأثير الإيجابي، المُلاحظ على حيوانات التجارب.

وتذكر المراجع العلمية أن المواد ذات القدرة على مقاومة الالتهابات في الكركم تشمل خلاصة من الزيوت الطيّارة **volatile oil**، ومادة الصبغة الصفراء أو ما تُسمى علمياً بـ(كركمين).

ومما يُميز هذه المادة الصفراء أنها لا تتسبب بتفاعلات سُمّية في الجسم، وكانت الدراسات على الحيوانات والتجارب قد أفادت بأن مادة (كركمين) تُخفف من حدة الالتهابات التقرحية للقولون **ulcerative colitis** وحالات مرض (كرون) **Crohn** في الأمعاء.

وذلك عبر ظهور تتبع علامات الالتهابات في أنسجة الأمعاء بالفحص الميكروسكوبي، كما أفادت دارسة أخرى أن تناول مرضى الروماتويد لالتهاب المفاصل **rheumatoid arthritis** لمادة (كركمين) يُخفف من تورم المفاصل الملتهبة ومن تيبس الحركة فيها خلال فترة الصباح.

وهل هناك دراسات على تأثير الكركم على القلب وأمراضه؟

هناك جانبان تدور الدراسات العلمية حولهما في موضوع الكركم والقلب، الجانب الأول يتعلق بتأثير مادة (كركمين) على قوة عضلة القلب، والثاني يتناول تأثير الكركم على كولسترول الدم.

ومن أحدث الدراسات العلمية حول القلب والكركم، ما طرحه الباحثون الكنديون من مركز بيتر مينك التابع للمستشفى العام بتورينتو وفي دراستهم، التي تمت على حيوانات تجارب من الفئران المُصابة بتضخم عضلة القلب، وجد الباحثون أن الكركم أعاد لعضلة القلب حجمها الطبيعي وقوتها الطبيعية وقلل من تكون الأنسجة الليفية للندبات في عضلة القلب.

ومعلوم أن فشل القلب، ومحاولات الجسم للتكيف معه، تتم على مراحل.

وفي ضعف القلب، تتكون أنسجة ليفية ضعيفة داخل الأنسجة العضلية القوية، ويبدأ القلب بالتضخم.

ومعالجة الحالة تتطلب وسيلة تُخفف من تكون تلك الأنسجة الليفية، وتُعيد للعضلة حجمها وقوتها الطبيعية، وثمة قليل من الأدوية التي تُسهم في هذه الأمور.

وما يقوله الباحثون الكنديون إن للكركم هذا المفعول العلاجي، على الأقل فيما ثبت على حيوانات التجارب حتى اليوم.

واعتمد الباحثون في دواعي إجراء الدراسة، المدعومة من المؤسسة الكندية للأبحاث الصحية، على تلك المعلومات المتوارثة في الطب الهندي والطب الصيني القديمين.

وفيهما أن وضع الكركم على الجروح يُقلل من تكوين ندبات **scar formation** عليها بعد التئامها.

ولأن الدراسة اقتصرت في إثبات هذه الجدوى للكركم على القلوب المتضخمة للحيوانات، قال الباحثون بأنهم لا ينصحون الناس المرضى بفشل القلب بتناول الكركم بشكل روتيني لعلاج حالة ضعف القلب لديهم، حتى تُثبت الدراسات على الإنسان جدوى ذلك، أي كما ثبتت على حيوانات التجارب.

والجانب الآخر لتأثيرات الكركم على الشرايين هو ما يطول فعله العمل على منع أكسدة الكولسترول وترسيخ ترسبه على جدران الشرايين.

ومعلوم أن أكسدة الكولسترول إحدى الخطوات المرضية المؤثرة على حصول تصلب الشرايين، وبالتالي ترسيب الكولسترول في جدرانها، وهو ما يظهر في النهاية على شكل تضيقات لمجرى الدم من خلالها.

وهناك باحثون تحدثوا عن تأثير الكركم على خفض نسبة مركب (هوموسستين) **homocysteine** في الدم.

ومما لا يزال يُنظر إليه بجدية لدى باحثي طب القلب، إن لارتفاع نسبة مادة (هوموسستين) في الدم تأثير سلبي على الشرايين القلبية، وذلك بتحفيز نشوء ترسبات الكولسترول داخل جدرانها.

وتُعزى فائدة الكركم في هذا الجانب إلى محتواه من فيتامين بي-٦.

ولم يقتصر الأمر على تلك الفوائد غير المباشرة، بل ثمة دراسة أُجريت في الهند تقول بأن تناول الكركم خافض للكولسترول الخفيف الضار، ورافع للكولسترول الثقيل الحميد.

وعزا الباحثون الهنود تلك الفائدة للكركم بتنشيطه نوعيات معينة من مُستقبلات الكولسترول الخفيف **receptors LDL** في الكبد، وبالتالي خفض إنتاج الكبد للكولسترول.

ومعلوم أن ٨٠٪ من الكولسترول في الجسم لا يأتي من الطعام الذي نتناوله، بل يأتي من إنتاج الكبد لهذه المادة الشمعية الدهنية.

❖ يساعد على وقف نمو الخلايا السرطانية وتحفيز انتحارها

ولكنها تظل في منظور التقييم الطبي، دراسة صغيرة وقصيرة الأمد، ولذا لا يبدو إنها مما يُعتمد عليه في إستخلاص نتائج طبية واضحة.

وهل هناك دراسات أعدت لتأثر هذا النبات على الأمراض السرطانية؟

ضمن فعاليات مؤتمر تطبيقات علاج السرطان، الذي عقدته الرابطة الأميركية لأبحاث السرطان، قال الباحثون اليابانيون لطالما تمت ملاحظة مادة (كركمين)، المُكون الأصفر للون ونكهة جذور الكركم، كعامل ذي قدرات واعدة في محاربة الأورام السرطانية. وما قام به باحثو جامعة توهوكيو في اليابان هو اختبار فاعلية مركبين كيمائيين مُستخلصين من مادة (كركمين). وتبين للباحثين بالتجارب الحية على نماذج من الإصابات السرطانية لدى الفئران، أنهما أكثر عنفاً في القضاء على الخلايا السرطانية.

ومما قام به الباحثون لإختبار تلك المركبات الكيمائية المستمدة من مادة (كركمين) هو تدني الوجود الحيوي **(low bioavailability)** لمادة (كركمين) الطبيعية بعد ابتلاعها، ومرورها بالمعدة والأمعاء الدقيقة، ووصولها إلى القولون.

وبعد اختبار ٩٠ نوعاً من المركبات الكيميائية (الكركمية)، تبين أن مُركب **GO-Y**٠٣٠ ومُركب **GO-Y**٠٣١ أكثر فاعلية من مادة (الكركمين) الطبيعية.

وتحديداً كانت فاعليتهما في كبت نمو الخلايا السرطانية في سرطان القولون أكبر بمقدار ٣٠ ضعفاً، مقارنة بالكركم الطبيعي حال تناوله بالفم.

وكان قد سبق للباحثين اليابانيين، في عام ٢٠٠٦، نشر نتائج دراستهم لاكتشاف تركيب ومدى أمان تناول هذين المُركبين.

ويأمل الباحثون، وفق ما صرحوا به، أن يستكملوا دراستهم حول كيفية توفير هذين المُركبين كوسيلة من وسائل الوقاية أو المعالجة الكيميائية للسرطان.

ومنْ يقرأ كلامهم في دراستهم يستشف مدى الثقة التي يُولونها للخطوات البحثية التي توصلوا إلى نتائج منها حول الكركم.

وكان الباحثون من جامعة تكساس قد نشروا لمجلة السرطان **CANCER**، الصادرة عن مجمع السرطان الأميركي **American Cancer Society**، نتائج اختباراتهم الإيجابية لاستخدام مادة (كركمين) في وقف نمو الخلايا السرطانية وتحفيز انتحارها. واستخدموا سرطان ميلانوما **melanoma** الجلد.

وكانت المنتجات المُحتوية على كل من مادة (كركمين) ومادة (فينيثايل أزوثيوسيانات) **phenethyl isothiocyanate (PEITC)** محل دراسة للباحثين في ستيت يونيفرسيتي بنيوجيرسي.

وشمل البحث في تأثير تناول الكاري، المُحتوي على الكركم وخاصة مادة (الكركمين) فيه، وتشكيلة من الخضار المحتوية على مادة(فينيثايل أزوثيوسيانات)، تشمل كل من القرنبيط **cauliflower**، والبروكلي **broccoli**، واللفت **turnips**، والملفوف **cabbage**، ومجموعة أخرى من الخضار. وبالنتيجة، ووفق ما تم نشرته مجلة أبحاث السرطان **journal Cancer Research**، أعلن الباحثون اكتشافهم فاعلية تناول المادتين الكيميائيتين الطبيعيتين في مكافحة تطور نمو خلايا سرطان البروستاتة.

وأمّل الباحثون آنذاك أن يستكملوا تجاربهم على حيوانات المختبرات، بتطبيق ذلك على مرضى سرطان البروستاتة لمعرفة مدى تأثيرهما عليه.

وكانت دراسة للباحثين من جامعة تكساس، تم نشرها لمجلة بايوكيميكل فارماكولوجي **Biochemical Pharmacology**، قد قارنت تأثير الكركم بتأثير عقار (تاكسول) **Taxol** في محاولات وقف انتشار سرطان الثدي بعد إجراء عملية استئصال الثدي، وتبين أن الكركم كان أقوى من (تاكسول).

وهناك أكثر من عشر دراسات أخر، بحسب ما توفر لي من استقصاء في البحث، تتحدث عن مقارنات لفاعلية وتأثيرات الكركم على أنواع أخر من السرطان، لا مجال للاستطراد في إعطاء نبذة عن كل منها.

وماذا عن جهاز المناعة والكركم، كما لمسنا ذلك من حديثكم، وماذا عن باقي الأمراض؟

عرض الباحثون من مؤسسة أبحاث الجزيئات الحيوية البشرية بسان دييغو ومن كلية ديفيد غيفن للطب بسان فرانسيسكو نتائج بحوثهم حول تأثير مادة باي-سيدميثوكسي-كركمين **bisdemethoxycurcumin**، الموجودة في الكركم، على تنشيط عمل جهاز مناعة الجسم في تنظيف الدماغ من مادة أمايلويد - بيتا **amyloid beta**.

وكما هو معلوم ففي مرض ألزهايمر العصبي **Alzheimer disease**، تتراكم مادة أمايلويد البروتينية في مناطق الدماغ وتُشير بعض المصادر الطبية، أن في الهند تذكر الإحصائيات قلة الإصابات بمرض ألزهايمر.

ويعزون ذلك إلى تأثير إكثارهم من تناول الكاري ووجد الباحثون في دراستهم أن لهذه المادة الموجودة في الكركم تأثير برفع نشاط خلايا مناعة الجسم في تخليص الجسم من تراكم تلك المادة البروتينية.

وبلغ التفاؤل بالباحثين درجة توقع أن يكون في المستقبل (دواء) لتطهير الجسم من تلك المادة البروتينية، المتسببة بمرض ألزهايمر بدلاً من (لقاح) **vaccine** أمايلويد- بيتا.

وعلى حد قولهم، ذكر الباحثون أنهم تلقوا بالفعل دعماً مادياً من رابطة مرض ألزهايمر **Alzheimer s Disease Association** لاستكمال البحث في هذا الجانب العلاجي.

والواقع إن هذه الدراسة الأميركية الأخيرة ليست الوحيدة، بل ثمة دراستان لباحثين من إيطاليا نُشرت في المجلة الإيطالية للكيمياء الحيوية **Italian Journal of Biochemistry** في عدد ديسمبر ٢٠٠٣. وأخرى لباحثين من إيطاليا والولايات المتحدة تم عرضها في واشنطن العاصمة خلال مؤتمر عام ٢٠٠٤ للمجمع الأميركي للفسيولوجي **American Physiological Society**.

وكلاهما عرضتا نتائج إيجابية لتأثير مادة (كركمين) الصفراء على بعض آليات مرض ألزهايمر في جانبي المناعة وعمليات الأكسدة.

فضائيات الأطفال

وتأثيرها على عقيدتهم وأفكارهم

إستطلاع: حيدر عبد الرضا العبدلي

أفـــلام الرســـــوم المتحركة برامج تحـــظى بمتابعة كبيرة منذ منتصف القـــــرن الماضي وأصبحت جزءاً من دروس بناء وتكوين المجتمع وأفراده.

المختصـــــون والمراقبون يحملونها ما يحصل اليوم من تدهور على الصعيد الأخلاقي والثقافي وآخرون يرونها مصدر الهام ورقي للجيل القادم وبين هذا وذاك ارتأت (مجلة نقطة) أن تستطلع آراء الأطفال وأولياء الأمور والمختصين في المجال التربوي للوقوف على الحقائق في مدى تأثير أفلام الرسوم المتحركة في بناء شخصية الطفل.

وعلى هذا تباينت آراء الأشخاص الذين استطلعت آراؤهم حول هذا الموضوع، فاتفقوا في بعض الأجوبة فيما اختلفوا في البعض الآخر. فالأطفال ذهب كل منهم نحو الشخصية الكارتونية المفضلة لديه وبدأ يشرح إمكانية التوفيق بين متابعتها وأداء فروضه المدرسية والعبادية، أما أولياء أمورهم فقد عرضوا تجربتهم في مشاهدة تلك الأفلام والشخصيات وسعيهم لكي يشاهد أبناؤهم البرامج الهادفة، وبدورهم الأساتذة التربويون تحدثوا عن تشخيصهم لقدرة الأطفال على بناء شخصية قوية.

لعرض كل هذه التفاصيل سنضع بين يدي القارئ الكريم جملة من التساؤلات والأجوبة المصحوبة بالدراسات العلمية التي أعدت لهذا الغرض ليحدد ويشخص مكمن الخطأ ومركز القوة في التأثير الايجابي والسلبي لأفلام الرسوم المتحركة.

تغيير المفاهيم

إن تغير المفاهيم عند أفراد المجتمع واحد من قضايا الغزو الثقافي الذي يعاني منها أكثر المجتمعات في بلدان العالم وهو يمثل خطراً حقيقياً على جميع الأفراد لاسيما الأطفال الذين يمثلون عنصراً مهماً وحيوياً منه وعن مدى تأثر الأطفال بهذه الرسوم؛ بداية لنتوقف مع آراء بعض الأطفال الذين بينوا لنا آراءهم في تعلقهم بها؛ **حسين** (١٠) سنوات في الصف الرابع الابتدائي قال لنا: إنني أتابع باستمرار أفلام الرسوم المتحركة وبالخصوص (هورس لآند، وسلام دانك) وأحب أن أكون احدى هذه الشخصيات في المستقبل، كأن أكون فارساً أو لاعباً لكرة السلة، وشاركته في الرأي الطفلة سارة وهي في الصف الأوّل الابتدائي بخصوص أمنياتها فتمنت أن تكون مثل الأميرة الجميلة في فلم بياض الثلج وأضافت لنا لقد تعلمت منها طيبة القلب وحب الناس. الطفل **كرار** (٦) سنوات الأوّل الابتدائي تمنى أن يكون (pen) في المسلسل الكارتوني (pen ١٠) ويصفها بالشخصية الرائعة.

ومن خلال ملاحظة أجوبة الأطفال الذين التقيناهم فإن طموحهم أن يكونوا إحدى هذه الشخصيات التي يتابعوها بإستمرار والتي ستتغير في المستقبل لاختلاف نوع الفلم أو المسلسل المتابع وبالتالي فإن المثل العليا والقدوة سيكونان واحدة تقريباً بتغيير الاسم والشكل وثبات المواصفات والأعمال وبالتالي فإن هناك تنمية مستمرة لصفات معينة (خصوصاً العنف) عند الأطفال من المداومة على هذه الأعمال الدرامية إذ تفرض المؤسسات الإعلامية المختصة القدوة أو القيم والمثل من خلال رسومها المتحركة وترسخها في فكر وشخصية الأطفال دون الشعور بذلك.

تقول الباحثة ليلى الصفدي في كتاب لها بهذا الخصوص: إن برامج الأطفال هي في أغلبها ليست إلاّ مصدراً للعنف، لأن ما يميزها التمحور حول الصراع والحرب والشر والتهديد وتغليب مفاهيم القوة على مفاهيم الضعف، وبالنتيجة سيطرة السلوك العدائي على سلوك أطفالنا، وخاصة أطفالنا في عمر السنتين وما فوق ففي هذا الجيل يحاول الطفل التقليد ويتعلم قواعد السلوك ويميل إلى علاقات المحبة والمودة، فالجدير بنا كأهل تأكيد ودعم الصفات الخاصة بالحب.

وأيضاً يقول الباحث الدكتور محمد عبد الغفور (الحاصل على دكتوراه في التربية الخاصة من المملكة المتحدة): إن إنتاج هذه الأفلام الكرتونية مصدرها دول غير عربية وغير إسلامية (وفي الغالب اليابان) الأمر الذي يجعلها مليئة بالقيم التي لا تتناسب مع قيمنا العربية الإسلامية، مما يجعل فائدتها لأطفالنا محدودة أو في كثير من الأحيان عكسية.

وتقول الأستاذة إيمان الشيخ (الكاتبة والمترجمة الإسلامية): نجد أطفالنا في جميع أنحاء دولنا العربية يتخذون قدوتهم من شخصيات الكرتون الخيالية الوهمية!! والتي دست إليهم عن طريق قنوات الكرتون المعروفة! فأطفالنا يحدث لهم عملية غسيل مخ!! على أيدي أباطرة أفلام الكرتون الشهيرة بوالت ديزني walt disny . والذي يحدث أن هذه المؤسسة وغيرها يصدرون لأطفالنا أفكارهم السامة، من تحرر وانفلات!! عن طريق تقديمهم لشخصيات كرتونية، كشخصيات سوبر مان، وبات مان، وتوم وجيري ..إلى غير ذلك. هذه الأفلام التي تقدم هذه الشخصيات التي تبدو لنا للوهلة الأوّلى أنها بريئة!! بيد أنها تدس لأطفالنا السم في العسل! عن طريق أفكارهم الخاطئة عن الكون والحياة عموماً.

من كان يودّ أن يحيا أطفاله نشطين فليقلل من أوقات مشاهدتهم للتلفزيون.

يقول الطفل محمد رضا (٧) سنوات في الصف الثاني ابتدائي أنه يتابع في اليوم ثلاثة مسلسلات للرسوم المتحركة وبمعدل ساعة في اليوم أما كرار الذي يصغره بسنة فهو يتابع لعدة ساعات لم يحددها وسارة تتابع في اليوم خمسة أفلام وبشكل إجمالي لا تقل المشاهدة اليومية عن ساعة أو ساعة ونصف والأكثر فهناك تصل لساعات متعددة من المشاهدة اليومية قد تصل لأربع أو خمس ساعات أي بمعدل (٢٨-٣٥) ساعة في الأسبوع.

وبلا شك أن هذه الساعات تكون عادة على حساب ساعات الدراسة والمتابعة العلمية والابتكار والتواصل الأسري بل أن في بعض المجتمعات أصبح التلفزيون والأفلام المتحركة يطلق عليه (جليس الاطفال) وهذا لم يكن في السابق خلال العقود الماضية فأصبح الطفل اليوم أقل نشاطاً رياضياً وأقل لتنمية المواهب إذا ما قمنا ساعة في السابق بعدة ساعات اليوم.

حذّر باحثون من جامعتي ميتشيغان في الولايات المتحدة ومونتريال الكندية من أنه كلما شاهد التلاميذ التلفزيون، كلما تراجع تحصيلهم في المدارس تأثرت صحتهم سلباً عندما يكونون في العاشرة من العمر.

وقال الباحثون الذين شملت دراستهم (١٣٠٠) طفل، إن النتائج السلبية على الأطفال الصغار تزداد مع كل ساعة إضافية يشاهدون خلالها التلفزيون، وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن أداء التلاميذ في مدارسهم يسوء بسبب كثرة مشاهدة التلفزيون، بينما يزداد استهلاكهم للأغذية ذات القيمة الغذائية المتدنية لنفس السبب، وقد طلب الباحثون من ذوي التلاميذ تسجيل عدد الساعات التي كان يمضيها أطفالهم يومياً أمام شاشة التلفزيون عندما كانوا في الشهر التاسع والعشرين من العمر، وكذلك عندما بلغوا سن الرابعة وخمسة أشهر.

وأما بخصوص ساعات المشاهدة ومعدلها فقد جاءت الإجابات لتقول إن معدّل مشاهدة الأطفال للتلفزيون في سن الثانية من العمر كان دون التسع ساعات في الأسبوع، بينما ارتفع الرقم إلى حوالي (١٥) ساعة أسبوعياً لمن هم في سن الرابعة، ورافق ذلك اكتساب عادات غير صحية.

كما ومن المهم الوقوف عند التأثير السلبي للمشاهدة والتي تتضمن زيادة في أوزان الأطفال، فقد **أشارت دراسة طبية إلى أن الأطفال الذين يفرطون في قضاء ساعات أمام التلفزيون يعانون من سوء التغذية وتردي مستوى نظامهم الغذائي بصورة ملحوظة**، بالمقارنة بالأطفال الذين ينظمون ساعات مشاهدتهم.

وأضاف الباحثون أن التأثير السلبي لمثل هذه العادات السلبية تزداد حدته وسوءه مع تضافر عوامل اختفاء مراقبة أولياء الأمور لأطفالهم حول ما يشاهدونه وما يتناولونه من طعام، بالإضافة إلى التأثير السلبي لأصحاب السوء على الطفل، فقد أجريت على ما يقرب (١٢) ألفا و(٦٠٠) طفل تراوحت أعمارهم مابين الخامس والثالثة عشرة عاماً، حيث تم تتبعهم خلال الفترة من عام (٢٠٠٩ وإلى ٢٠١٠م).

شخصيات الأفلام المتحركة.. رفقاء الأطفال في المدرسة

مع تعلق الأطفال بهذه الأفلام المتحركة وشخصياتها فقد سارعت شركات الإنتاج حسب صناعته على الترويج لهذه الشخصيات لزيادة نسبة مبيعاتها حتى دخلت إلى المدارس وأصبحت هذه الشخصية لا تفارق الأطفال حتى في مدارسهم وخلال دروسهم اليومية، فهم يحبون اقتناء حقائب ومستلزمات دراسية عليها صور أبطال المسلسلات التي يتابعوها يومياً.

٧٣ ٪ من البرامج احتوت العنف دون تأنيب أو نقد أو جزاء له

علي عبد الرضا عبد (٣٦) سنة مهندس حاسبات لديه (٤) أطفال: المشكلة لا تكمن في وجود قنوات مخصصة للأطفال فهذه القنوات تعرض برامج فيها كم كبير من المعلومات وهي مفيدة جداً للأطفال كما أن هناك بعض أفلام الرسوم المتحركة التي تحمل معاني هادفة كالصدق والإخلاص والتضحية في سبيل الوطن والأهل، ولكن التأثير السلبي هو في بعض الأفلام التي تطرح مواضيع العنف غير المبرمج واللامحدود، وهنالك بعض المسلسلات التي تحاول تغيير بعض القضايا التي تعتبر من المسلمات في مجتمعنا الشرقي.

وفي هذا الصدد كتب ناثان سيبا **Nathan Seppa**، عضو هيأة تحرير نشرة مونيتور التي تصدرها الرابطة الأمريكية النفسانية ـ مقالة بعنوان يبقى تلفزيون الأطفال غاطساً بالعنف! مشيراً إلى نتائج دراسة أجريت في الولايات المتحدة عام ١٩٩٦ للعنف التلفزيوني وغطت برامج ٢٣ قناة وبناءً على تلك الدراسة تظهر الأرقام الآتية: إن (٥٨٪ من البرامج احتوت على العنف، و٧٣٪ من البرامج احتوت على العنف دون تأنيب أو نقد أو جزاء له، و٥٨٪ من البرامج ذات سلوك عنف مكرر).

وأشارت السيدة وفاء محسن عبود (٣٠سنة) بكالوريوس لغة عربية ربة بيت ولديها أربعة أطفال إلى **عدم قناعتها ببعض ما يعرض عبر الفضائيات من رسوم متحركة لاستخدامها عبارات غير أخلاقية وإنها حاولت أن تغير ما يشاهده أطفالها من برامج لا تتلائم مع القيم والمبادئ المتعارفة في مجتمعاتنا معربة : إن أطفالها متعلقين بشدة بهذه البرامج.**

الطفل كقطعة الإسفنج.. يمتص كل ما حوله

ومما تبثه بعض القنوات المتخصصة للأطفال فترات الإعلانات الخاصة للأطفال ففضلاً عن تشجيعها على اقتناء الألعاب الممثلة لشخصيات الأفلام المتحركة، وفي معظمها قتالية كما هو واضح من أصل الإعلان أولاً كمشروع ومن ثم نسب مشاهدة أفلام ذات مشاهد عنف بينتها الدراسات المختصة، تشجعهم على تجسيد ادوار هذه الشخصيات؛ ويجمع خبراء الإعلام على أن الإعلانات بصورتها الحالية التي تُبث بها على القنوات التلفزيونية المتعددة لها تأثيرات سلبية جسيمة على الطفل، منها أنها توظف مشاعره في اتجاه غير مشروع، وتشجع القيم المادية لديه على حساب القيم الدينية، وتغرس في نفسه ثقافة الإستهلاك، والميل إلى الترف والإسراف، الأمر الذي يُسهم في النهاية في إنتاج جيل لا يتسم بالإعتدال في سلوكه الإنفاقي أو الحياتي.

ومن هنا يشدد هؤلاء الخبراء على ضرورة إحكام الرقابة على مثل هذه الإعلانات، مع دعوة المؤسسات العربية والإسلامية إلى إنتاج إعلانات تحمل قيماً ومضامين إيجابية، بإعتبار أن الطفل كقطعة الإسفنج.. يمتص كل ما حوله.

قنوات رائعة ولكن..؟

يقول الدكتور محمد جاسم (٤٠) سنة أب لـ(٤) أطفال إن القنوات العربية والأجنبية بثت أفلاماً رائعة فهي مخصصة للطفل وبها أناشيد تحاكي نفسية الطفل حسب مراحله العمرية وهي أفضل بكثير من قنوات أخريات مخصصة للأطفال من حيث المعالجة والموضوع والتقنية فالأطفال يتابعون (سبيستون وبراعم و**CN** العربية) ويقول: أيضاً أنا مقتنع بها جداً ونحن نضع بين يدي أولياء الأمور هذه الملاحظات التي ذكرتها إحدى الدراسات: إن معرفة المصادر التي تنتج أفلام الرسوم المتحركة، ومسلسلات الكرتون ضروريةٌ جداً لتحديد أهدافها، فإذا علمنا **أن محطة دبي قبل عام (٢٠٠٠م) قد عرضت خلال دورة برامجية مسلسلاتٍ وأفلاماً من الرسوم المتحركة المدبلجة إلى العربية بنسبة : ٤٢٪ مما مصدره اليابان، و ٢٤٪ مما مصدره بريطانيا، و ٢١,٨٪ مما مصدره أمريكا، و٢٪ مما مصدره البلاد العربية وغيرها.!**

وعلى الرغم من أن شركات لإنتاج برامج الأطفال قد تحركت بالفعل نحو تغذية شاشات القنوات الفضائية ببرامج هادفة لا يستطيع أحدٌ أن ينكر أن النسبة الطاغية من الإنتاج إنما هو من صنع غير العرب، والذين يصنعونها يتوجَّهون بها إلى مجتمعاتهم التي تختلف ديموغرافياً وأخلاقياً و تربوياً عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية، يضاف إلى هذا أن بعض الشركات الكبرى لها أهداف سياسية ودينية، بعضها يعادي المسلمين والعرب، ويحرّض على تشويه نظرة العالم إليهم؛ وربما يقول البعض: إن مجتمعاتنا محصّنة لا يمكن أن تتأثر بما يقدَّم لها من مطابخ الإعلام في الدول الغربية والشرقية.. والحقيقة غير ذلك تماماً.

إن استقراءً واضحاً أجرته إحدى الدراسات على عيِّنة عشوائية من الأمهات في دول الخليج العربية يُظهر مدى تأثّر الأطفال بالرسوم المتحركة، فقد أجمع: ٩٧٪ منهن على أن الأطفال يَقبلون ما يشاهدونه ويطبِّقونه في حياتهم بنسبة: ٨٨,١٨٪و أنهم يردّدون الألفاظ والحروف التي تردُ في الرسوم بنسبة: ٩٧,٧٤ويقلّدون الحركات الإيقاعية لها سيما الراقصة بنسبة١٨,٥٦٪، والطفل كما هو معلوم لا يملك رقابة ذاتية على وعيه وإدراكه وشعوره لأنه في طور تكوين فكرة عن الحياة وسنه لا يسمح له إلا في حدود يسيرة التفريق بين الغث والسمين والطيب والخبيث، كما وأكدت الإحصائيات والاستبيانات التي أجريت على عدد كبير من الأطفال والأسر في البلدان العربية أن الطفل يجلس وسطياً أمام التلفاز من (٥.٤) ساعات يومياً إن أفلام الرسوم المتحركة هي أكثر ما يستهويه.

وقبل تخصيص بعض القنوات الفضائية مدة طويلة من بثها للأطفال كانت الرسوم المتحركة تشغل: (التلفاز السوري قريباً من ١٧٪من مدة البث، السعودي (القناة الأوّلى) تقريباً ١٥,٥٪ من مدة البث، والكويتي (القناة الفضائية) تقريباً ١٦٪من مدة البث، وفي قناة الإمارات الأرضية تقريباً ١٦.١٤٪ من مدة البث، وبعد ظهور قناة (**Space Toon**) الفضائية صار الأطفال يتابعون برامجها ٩ ساعات يومياً، وهي قناة مجانية غير مشفرة، ثم تتالت القنوات الموجَّهة للأطفال كـ(آرتينز) و(**mbc3**) و(الجزيرة للأطفال) و **CN** العربية ناهيك عن القنوات الناطقة بلغات أخرى.

رأي التدريسيين

الأستاذة رغد إحدى معلمات اللغة الانجليزية عمرها (٣٢) سنة وتعمل معلمة منذ خمس سنوات تقول: اعتقد إن للأفلام المتحركة تأثير سلبي على الأطفال خصوصاً وإن هناك العديد من الظواهر التي تلاحظ داخل المدرسة، ومن أهمها وأبرزها المشاجرات التي تحدث بين الطلاب بصورة فردية أو جماعية وهذه بالتأكيد بسبب أفلام الرسوم المتحركة التي تتسم أغلبها بالعنف، مضيفة من إن هذه الأفلام ستأخذ جزء من وقت الطفل والأوّلى أن يقضيه في المطالعة والدرس؛ وبالنسبة لمواطن الخطأ بينت السيدة رغد: إن المؤسسة الإعلامية مخطأة بإصدارها ونشرها هكذا برامج وأفلام، والأسرة مخطأة أيضاً بمسامحتها لأطفالها متابعة هكذا أفلام دون رقابة أو تقنين، وترسي عجز المؤسسة التعليمية عن تصحيح سلوك الأطفال باعتبارها أصلا عاجزة في توفير الوقت الحالي عن توفير ابسط مقومات التعليم.

أما الأستاذ سالم مدرس التربية الفنية عمره (٤٠) سنة، له (١٢) سنة

من العمل في التعليم الابتدائي يقول: يختلف الطلبة في تلقيهم لمواضيع تلك الأفلام، لذلك فتأثيرها أيضاً يصبح مختلفاً لكن في الأغلب لها تأثير سلبي على شخصية الأطفال وهي تأخذ من الوقت المقرر للقراءة وتأدية الواجبات، وعن سبب الخطأ وموطنه بين الأستاذ سالم؛ إن الجميع يتحمل نسبة من الخطأ فالمؤسسة الإعلامية عليها عرض مسلسلات هادفة تصحح من سلوك الطفل كما يجب على الأبوين متابعة ما يشاهده أبناؤهم لتصحيح مسار المشاهدة غير السليمة وتشخيص الأخطاء فيما تعرضه بعض القنوات بهدوء مشيراً: إن على المدرسة والكوادر التعليمية تصحيح سلوك الطلاب، وعليهم تدريس الطلبة مادتي التربية الرياضية والفنية لممارسة دورهم بكل جدية وتنمية مواهبهم وصقلها.

ختاماً للاستطلاع توقفت المجلة مع الممثل ومقدم البرامج في قناة (هدهد) المخصصة للأطفال الأستاذ كرار فرج الله لمعرفة رأيه في الموضوع فقال: هذه الأفلام صنعت من أجل الأطفال خصيصاً، وإن كان فلم الرسوم المتحركة في السابق قد شدَّ الكبار والصغار لمشاهدته أما ما تقتضيه ثقافتنا العربية بأن هذه الأفلام هي أفلام تختص في مجال الطفل فقط.

ولا شك بأن الأفلام الكرتونية والرسوم المتحركة هذه لها تأثيرٌ بالغٌ في عقليات الأطفال في المجتمعات العربية والإسلامية، خاصة عندما تكون هذه الأفلام قد تحمل في مادتها وجوهريتها الأفكار السلبية التي تمس الأخلاق مباشرة والهوية والعقيدة وتتجه اتجاهاً مباشراً نحو الفطرة وغيرها، وقد أثبتت الدراسات بأن هذا التأثير على الأطفال يكون تأثيراً تراكمياً. أي لا يظهر من متابعة هذه الأفلام أو المسلسلات المتحركة بمدة شهر أو شهرين، بل يظهر التأثير بعد تراكمات يومية تؤدي إلى نتائج عظيمة، كيف لا وأن هذه الأفلام تعرض كماً كبيراً من العنف والخيال والسحر ونسف المبادئ الإنسانية والعقائد الدينية والسماوية بأسلوب مباشر أو غير مباشر وتعليم الأطفال أساليب الانتقام وكيفية السرقة وكل ما يفتح لهم آفاق الجريمة.

وباعتقادي أن مثل هذه الأفلام المخاطبة للأطفال تكون خطراً حقيقياً يتحول إلى سموم قاتلة في نفسيات أطفالنا، إذ لا يخفى علينا أن مصادر هذه الأفلام هي من مجتمع له بيئته وفكره وقيمه وعاداته وتقاليده وتاريخه، ثم يكون المتلقي أطفال بيئة ومجتمع آخر وأبناء حضارة مغايرة تماماً للحضارات الأخريات رى ولهذا يجب علينا أن نتصور حجم هذا التأثير السلبي الذي يلحق الضرر والأذى بالطفل العربي المسلم. وقد ذكرت بعض الدراسات المعمّقة في مجال الطفل ومشاهدته لأفلام الرسوم المتحركة الراهنة التأثيرات السلبية المضرة والتي اختصرها بعض الباحثين بنقاط ثلاث رئيسة هي:

١. جعل الأطفال متحجري القلوب قليلي التعاطف مع أوجاع الآخرين ومعاناتهم.

٢. تفاقم الخوف والهلع في نفس الطفل حتى يغدو سلبياً وانطوائياً على نفسه يخشى المصاعب ويهرب من مواجهتها.

٣. جعل الطفل عدائياً انفعالياً قليل الصبر يرى المجتمع من خلال ذاته ويسعى دوماً لنيل ما يريد بالقوة.

أما ما يخص المعايير التي يمكن الاستناد عليها في اختيار برنامج للأطفال لتقديمه عبر شاشة التلفاز، فيمكن أن استخلصها من خلال تجربتي القليلة في العمل بقناة هدهد الفضائية والتي تختص في مجال الطفل المسلم بشتى قومياته، والتي أنتجت الكثير من البرامج التي كان لها الدور الفعّال في توجيه البرامج الخاصة بالأطفال توجيهاً صحيحاً وسليماً وكان من ضمن المعايير التي استخدمها المختصّون وأصحاب الشأن العاملين في هذه القناة هي معايير وموازين تعمل على تكريس الفكر الصحيح والنهج القويم لدى عقلية الطفل وكذا نفسيته، ويمكن أن اذكرها بعدة نقاط مختصراً:

١. العمل على مراجعة وتدقيق وتحليل الفلم الكرتوني أو البرنامج المسوّق جزءاً بعد جزء وعرضه على عدة لجان مختصة قبل العرض.

٢. العمل على إعداد نصوص للبرامج مقوّمة فكرياً ومرتكزة على أسس البناء الصحيح.

٣. الإبتعاد عن الأفكار الضارّة بعقليات وسلوكيات ومعتقدات الأطفال من خلال الاعتماد بتثبيت وتكريس الأسس العلمية الصحيحة في إعداد البرامج.

٤. التمكّن من مخاطبة الأطفال بلغة سلسة وسهلة مما يتيح للطفل فهم البرامج التلفزيونية والتفاعل معها دائماً.

٥. الإهتمام البالغ بجودة الفلم الكرتوني أو البرنامج المنتج أو المسوّق من حيث الألوان والمؤثرات وغيرها.

٦. ترصين الفكرة أو الإيديولوجيات الخاصة بالفيلم الكرتوني من ناحية الموضوع الأساس.

٧. أخيراً محاولة جذب الأطفال للبرامج المعروضة على القناة من خلال التنوّع وعدم التكرار بالبرامج والذي يسبب الملل عند الطفل.

ومن هذا المنطلق أنصح الوالدين بأن ينظموا أوقات مشاهدة التلفاز بالنسبة إلى أطفالهم، وتشجيعهم على ممارسة بعض الألعاب الرياضية وخاصة الفكرية منها والتي تبعدهم عن الأجواء المملة إذ تؤدي بهم إلى داء التوحّد والانطواء النفسي لا سمح الله وبالتالي يجب جذبهم للفضائيات العربية الإسلامية الرصينة الخاصة بالطفل التي تعرض كل ما هو صحيح وصائب وقويم، وإبعادهم عن تلك الفضائيات التي تخترق عيونهم بإشعاعها المسموم قاصدة قلوبهم الرقيقة والشفافة آخذة بها إلى طرق التخويف والترهيب وممارسة الأفعال السيئة.

كلمة أخيرة:

في الماضي وخلال العقود غير البعيدة كانت القنوات لا تبث البرامج المتحركة للأطفال إلا فترات محددة وفقا لدراسات تميز بين فترة الدراسة والعطل ورغم أن بعض تلك الأفلام أو البرامج التي كانت تبث تحتوي على نزعة العنف والقتال إلا أن خطرها اقل مما يعيشه أبناؤنا اليوم لقلة الساعات المخصصة لهم وعدم تركه لمعايير ربحية فكانت تلك المرحلة وما يبث للأطفال يقلل من الخطورة، مع ملاحظة مهمة هي أن اغلب الأفلام المتحركة سواء احتوائها على مشاهد عنف أو غير ذلك فأنها تأتي من مجتمعات غير عربية أو إسلامية وبالتالي فهي تحاول أن تجري تغييراً أخلاقياً في حدود العلاقات وضوابط الحشمة والملابس والكلام والعلاقات داخل الأسرة والمجتمع.

وإذا كانت الأفلام المتحركة تؤدي بكل هذه الأضرار على الأطفال والتي بيناها في استطلاعنا هذا فالسؤال الذي نضعه في ختام جولتنا هذه للقراء الكرام عما تفعله الدراما العربية وغير العربية على واقع الطفولة وخصوصاً وإن الأطفال ترافق الأسرة في متابعة أحداث الدراما التي أنتجت للكبار فقط أو الأسرة وسط جهل اسري من نتائج هذه العادة الخاطئة.

إشكاليّة المُحيط والبيئة في تكوين ونشوء المأزومين فكريا

الظاهرة والعلاج

بقلم: مرتضى علي الحلي/ النجف الأشرف

إنّ المأزومينَ فكرياً وأخلاقياً لو لم يجدوا البيئةَ والمُناخ الذي يُسهم في نموهم وتكوينهم أيديولوجياً وسلوكياً لَما تسنّى لهم توليد الأزمات الفكرية والسلوكية و لأصبحَ وجودهم معدوماً؟

نعم إنّ المحيط الاجتماعي والفكري والسلوكي بل وحتى السياسي بوجهه السلبي له دخالة أساسية في تكوين ونشوء وإنتشار الفكر والسلوك المأزوم والضال.

وواقعاً إنّ المُحيط السلبي الذي تنشأ فيه الأفكار والسلوكيات المأزومة والضالة إنما يتحقق بفعل وجود الضالين الناشطين في ضلالتهم فوجودهم يُمثل خطرا مرحليا ومستقبليا حتى بعد موتهم، ولذا نبه القرآن الكريم على هذه الحقيقة البشرية بصورتها السلبية وبيّن آثارها على مر الأجيال زمنياً، فقال الله تعالى في قصة النبي نوح(ع): ((وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً))، وقال نوح (ع) ربِّ لا تترك من الضالين الكافرين بك أحداً حيًّا على الأرض يدور ويتحرك بضلالته وكفره فيضل عبادك، ((إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً))، أي: إنّك: يا ربّ إن تتركهم في حركتهم الضالة دون إهلاك يُضلوا عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا مائل عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك. فالملاحَظ في الآيتين أعلاه هو مدى توجس النبي نوح (ع)، من خطورة بقاء الضالين فكريا وعقائدياً وسلوكيا في المحيط الإجتماعي، بل خطورة بقائهم حتى على مستوى المجتمع البشري برمته وهذا هو معنى قوله (ع): ((لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ))، فالخطاب هنا عام وغير منحصر بالمحيط الفكري الضيق فحسب بل يمتد إلى أبعد من ذلك مكانياً وزمانياً، والآية التي بعد ها إختزلت في متنها ودلالتها قانون الوراثة البايلوجي وحتى الفكري، وحذرت من خطورة العنصر الوراثي والنفسي في تكوين الشخصية المأزومة فكريا وسلوكيا، والذي يُتناقل عبر الجينات الوراثية وجوديا، ((إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً))، ثم هناك بيانٌ آخر قرآني في قصة موسى النبي (ع) والخضر في أواخر سورة الكهف: صرّح علنا بخطورة الموقف تجاه عامل المحيط في إبقاء الفكر والسلوك الضال والمأزوم على مدى الزمان البعيد، فقال تعالى: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً))، وهنا تعجّب النبي موسى(ع) من فعل الخضر هذا؟ بحسب الظاهر.

وإنما كان تعجب موسى(ع) باعتبار أنّ نتائج وفلسفات الفعل في قتل الغلام غير مُتضحة آنياً، فرد عليه الخضر: العبد الصالح (ع): ((قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً))، ومن ثم بيّن الخضر(ع) فيما بعد فلسفة أفعاله، وقال: ((وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً))، أي: وأما الغلام الذي قتلته فكان في علم الله كافراً وكان أبوه وأمه مؤمنَين فخشينا لو بقي الغلام حياً وبقي على ضلالته لحمل والديه على الكفر والطغيان؛ لأجل محبتهما إياه أو للحاجة إليه، ((فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً))، بمعنى: أردنا أن يُبدل الله أبويه بمَنْ هو خير منه صلاحاً وديناً وبراً بهما، وتعرَّضتْ سنة الأئمة المعصومين(ع) الشريفة أيضاً، لبيان خطورة وحساسية البيئة والمُحيط الذي ينشأ فيه الفرد في أثره في تكوين وصياغة الفكر والسلوك، بل وحتى رسم وتحديد هويته الدينية، فلما قتل الإمام علي(ع) الخوارج: فقيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم باجمعهم، قال(ع): (كَلَّا وَاللّه إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ)، وعن أبي عبد الله؛ الإمام الصادق (ع)، أنه قال: (ما من مولود يُولد إلاّ على الفطرة ـ أي ـ معرفة الله تعالى وتوحيده: فأبواه اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه)، وأما على مستوى الدراسات السايكولوجية والتربوية الحديثة فقد أثبتت الأبحاث العلمية أنّ عامل الوراثة له الأثر في نقل الخصائص الجسمية والنفسية والمعنوية من الآباء إلى الأبناء؛ وهذه نصوص وجيزة فلنتأمل بها مليّاً:

(رحم الأم هو المحيط الأوّل الذي ينشأ به الإنسان، ولهذا المحيط تأثيراته الايجابية والسلبية على الجنين لأنه الإطار الذي يتحرك فيه، ويعتبر الجنين جزءاً من الأم، تنعكس عليه جميع الظروف التي تعيشها الأم.

وقد أثبتت الدراسات العلمية تأثير الأم على نمو الجنين الجسدي والنفسي، فالاضطراب والقلق والخوف والكبت وغير ذلك يترك أثره في اضطراب الوليد عاطفيا).

(الجنين يتأثر بالأم ومواصفاتها النفسية وما يطرأ عليها في مرحلة الحمل من عوامل ايجابية أو سلبية.

وإنّ الاضطرابات العصبية والآلام توجه ضربات قاسية إلى مواهب الجنين قبل تولده، إلى درجة أنها تحوله إلى موجود عصبي لا أكثر. ومن هنا يجب أن نتوصل إلى مدى أهمية التفات الأم في دور الحمل إلى الابتعاد عن الأفكار المقلقة، والهمّ والغمّ، والاحتفاظ بجو الهدوء والاستقرار)، (وشهور فترة الحمل تؤثر في الثبات العاطفي للطفل إيجاباً أو سلباً).

فإذن **ظاهرة التأزم الفكري والنفسي والسلوكي إنما تحصل بفعل عوامل التربية السيئة والوراثة السلبية والمحيط المرتبك فكريا ودينيا.**

وفي الختام يمكن القول إنّ علاج ظاهرة التأزم والتذبذب الفكري والنفسي وحتى السلوكي، إنما يكمن في انتقاء المحيط الصالح والذي يُختزل وجوديا بأهلية الأبوين أخلاقياً وفكرياً ونفسياً وتربوياً... هذا فضلاً عن أهمية دور المؤسسات التربوية والتعليمية في تنشئة الأفراد فكرياً وأخلاقياً، فالأبوان معنيان معاً بتربية الأبناء فكرياً، ولنقل لهم مثلما قال نوح (ع) لابنه: ((يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ))، وكما وضح لنا الله تعالى أيضا في سورة لقمان انموذجا صالحا، فقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)).

آثار استعمال المخدرات

دراسة تحليلية في النصوص الإسلامية

الدكتور وفقان خضير محسن الكعبي

من المسلم به لدى جميع الأديان السماوية الحقة حرمة الخمر والمسكرات والمخدرات على اختلاف أنواعها. وعدم إطلاق العنان لكل شهوة وإنما أقر الحلال منها والطيب، فقد وضع الدين الإسلامي نظماً وقواعد وضوابط وأسساً محللة عند استعمال الشهوات وإشباع الغرائز النفسية..

والمخدرات: مشتقة من المخدر، أي شل حركة الإنسان وإيقافها عن العمل.

والخمر من عقر قوى العقل، ومنعه من التفكر، وملازمتها لارتكاب المحرمات. فلا يرى اختلافا كبيرا بين معناها لغة واصطلاحاً. والخمر والمسكر والمخدرات على اختلاف أنواعها تشترك في مورد واحد وهو (الاسكار) أي استعمال لهذه الأمور يصل بالإنسان إلى حالة السكر محرم، سواء استعمل منه قليل أو كثير يستثنى من ذلك موارد الضرورة والعلاج والحالات الخاصة فقط.. وهي على قسمين:

❖ المخدرات الجامدة الطبيعية من النباتات والأعشاب، وأهمها الأفيون والحشيشة.

❖ المخدرات السائلة الكيماوية التي تصنع من مواد أولية كيماوية وأهمها المورفين والكوكايين.. وغيرها.

وكل هذه الأنواع تشترك مع الخمر والبيرة في أمر أساس وهو الاسكار. كما ورد عن النبي (ص): (كل مسكر حرام وكل مسكر خمر) فالمخدرات ثبت لها في التشريع الإسلامي ثلاثة أحكام، وهي:

١. حكم الحرمة وعدم التناول مطلقاً قليلاً أو كثيراً، للسائلة والجامدة معاً، فقد جاء عن رسول الله (ص): (كل شراب أسكر فهو حرام)

٢. النجاسة، وهي ثابتة للمواد السائلة من المخدرات، وأما الجامدة ففي نجاستها بحث واختلاف عند العلماء.

٣. إقامة الحد عند ثبوت الجرم والعقوبة الأخروية في الخمر خاصة، وأما غيره من المسكرات ففيه التعزير.

الآثار

شاع وكثر وانتشر تناول المخدرات في المجتمع الإسلامي على مستويات متنوعة وخصوصا الشباب، مع أن المواد المخدرة هي نوع من السموم ولها آثار دينية أخروية، واجتماعية دنيوية، وطبية وصناعية خصوصا مع الإدمان عليها.

ومن الآثار الدنيوية الناتجة عن تناول المخدرات، التي ركز عليها الدين الإسلامي من خلال نصوصه: في القرآن الكريم، والسنة المباركة، واهتم بها:

– العداوة والبغضاء: ومن آثار الخمر والمسكرات وتناول المخدرات وقوع العداوة والبغضاء والتنازع والمعارك بين الناس والتفرقة وحوادث القتل المرعبة التي تؤثر في قتل النفوس وهدر الأموال وكوارث إنسانية متعددة الجوانب، وعلى هذا شواهد، بل حقائق واقعية سجلت في المجتمع الإنساني.فشرب الخمر أم الشرور والقبائح والتهتك والخلاعة المنافية لوظيفة الإنسان في الأرض، لأنه خليفة الله.

كما يدل عليه اعتبار العقل وتظافر النقل، ففي القرآن الكريم قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)، وقال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ). الإثم فيهما أي الخمر والميسر.

وفي الآيات القرآنية شواهد على اجتناب المؤمن هذه المحرمات والابتعاد عنها لما فيها من إثم كبير ومفاسد دينية واجتماعية وأخلاقية وقانونية، ومنها: العداء والبغضاء والتنافر بين أفراد المجتمع الواحد الإنساني؛ فمنذ العصور الأول وإلى يومنا هذا تقارع الشعوب آثام الخمور والعداء والبغضاء منها وتقاوم تلك الذنوب وما زالت القوى الشريرة تدفع لأجل غزو المسلمين وتدمير كيانهم الاجتماعي بشتى الوسائل. حتى ورد النهي عنها والتحريم لشربها وبيعها وما إليه..

الرائحة الكريهة: من آثار استعمال المخدرات والكحول هي الرائحة الكريهة التي تشم من فم وبدن، وجسد من يتناول هذه المخدرات. فيا له من فرق بين أن تشم من بدن المسلم طيب النكهة! وأخرى تشم من فم الفاسق رائحة الخمور! وهو سكران.

هتك العصم: ومن آثار استعمال المخدرات،هتك العصم فهذه المعاصي والجرائم التي تضر الإنسانية، تهتك العصم للمسلم وحمى وضعه الاجتماعي، ولذا يدعو المسلم دائما بالتعوذ منها: (اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم). أو (اللهم إني أعوذ بك من الذنوب التي تهتك العصم)، وقد فسرت هذه الذنوب التي تقطع كرامة الإنسان وعصمته، كما روي عن الصادق (ع): (شرب الخمر، واللعب بالقمار، وفعل ما يضحك الناس من المزاح واللهو، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب).

عدم قبول الصلاة: ومن آثار المخدرات وتناولها، عدم قبول الصلاة للعبد أربعين يوما فهو يصلي ويؤدي عباداته التقليدية، ولكن لا تثمر قبولاً عند الله؛ لأن جسده مشبع بالخمر والمسكرات فهو بعيد عن الله فكيف يطلب القرب منه.وهو مرتكب لكبائر الذنوب، وقد دلت الروايات الكثيرة والمختلفة الإسناد والدلالات على عدم قبول عبادته وعمله الصالح عند الله تعالى. فقد روي عن أبي عبد الله (ع) قال: (من شرب شربة من خمر لم يقبل الله منه صلاته أربعين يوما).

إتيان المحارم: ومن آثار تناول المخدرات، إن الشخص المرتكب لها لا يرتدع عن ارتكاب أفحش الجرائم لأنه سيفقد السيطرة على كرامته وعرضه وماله وعقله ونفسه كافة. حتى لا يعرف بيته وسكناه الذي يؤوي إليه، وهو الذي يعرفه حتى الحيوان عند رجوعه، فأشارت الروايات إلى هذه الحقيقة مع الوجدان شاهد عليها؛ فإنه يكون بحالة لا يعرف ربه ودينه ويرتكب أشد المعاصي، وفي هذا الصدد روي: (ما عصي الله بشيء أشد من شرب المسكر إن أحدهم يدع الصلاة الفريضة ويثب على أمه وابنته وأخته وهو لا يعقل).

الآثار الأخروية: الخلود في نار جهنم: فعن أبي عبد الله (ع) قال: (من شرب النبيذ على أنه حلال خلد في النار، ومن شربه على أنه حرام عذب في النار).

المنع من الجنة: فعن الإمام الصادق (ع): (لا يدخل الجنة العاق لوالديه، ومدمن الخمر ومنان بفعال الخير إذا عمله). فالأسلوب تارة النهي عن الدخول للجنة، وأخرى حرمة الجنة عليه. فجاء عن جعفر بن محمد (ع) أنه قال: (حرمت الجنة على مدمن الخمر، وعابد وثن، وعدو آل محمد (ع)، ومن شرب الخمر فمات بعد ما شربها بأربعين يوما لقي الله كعابد وثن).

وينزل في العقوبة منزلة الإشراك بالله مثل عابد الوثن والصنم. الجنة محرمة على مدمن الخمر، والذي يبقى عليها ولم يتب ومات فهو خارج عن عقيدته ودينه. والروايات تعطيه صفة الكفر والجحود والإنكار للدين.

لا ينال شفاعة أهل البيت (ع): تقطع العلاقة بينه وبين أهل البيت (ع) وعصمة الموالاة والمودة كما روي: (شارب الخمر لا عصمة بيننا وبينه) تنقطع العلاقة بينه، وبين أهل البيت وخصوصا الشفاعة. والتمتع بأنوارهم البهية في شدائد يوم القيامة.

الدعاء بالويل والثبور: عند بعث شارب المسكرات من قبره كما هو الاعتقاد بيوم القيامة له صورة مرعبة داعيا بالحزن والألم. فقد روي عن أبي جعفر (ع) قال: (من شرب المسكر ومات وفي جوفه منه شيء لم يتب منه بعث من قبره مخبلا مائلا شقه (شدقه) سائلا لعابه يدعو بالويل والثبور).

يبعث شارب الخمر عطشانا يوم القيامة: يشرب الخمر لكي يرتوي منها، ولكن الله يبعثه على عكس ما يريده إذ يبعث شارب الخمر والمسكرات عطشانا، فعن الرسول (ص) يقول: (من شرب الخمر أتى عطشانا يوم القيامة ألا فكل مسكر خمر حرام وإياكم والغبيراء) فسرت الغبيراء في كلمات أهل الحديث بالبيرة التي تكون نوعا من الخمر. وهذا المضمون قد رواه الفريقان في كون شارب الخمر يأتي عطشانا

يوم القيامة بدل ما شرب الخمر في الدنيا.

ترك المسكر له ثواب عظيم:

لو ترك المسكر العبد لحفظ نفسه من الفساد والأمراض البدنية والجسدية، فيعطى الأجر والثواب من شراب الرحيق المختوم أو الفوز بالجنة.

وروى الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم قال: فقلت: فيتركه لغير الله؟ قال: نعم صيانة لنفسه).

الأضرار الطبية: من خلال استعراض واستقراء الآثار الطبية لتناول المسكرات، والتي بينها أهل الاختصاص من الأطباء وأهل الفن، ونعتذر عن عرضه تفصيلاً بل بصورة بسيطة.

هي سموم في الجسم، تعتبر المخدرات والمسكرات من السموم التي تؤثر مباشرة في بدن من يتناولها وخصوصا في الكبد حيث تسبب تلفاً في خلايا الكبد، وهذا ما قال الدكتور جليل علي لفته: (قد ثبت علمياً بأن الكحول هو السم المدمر لخلايا الكبد، والذي يعتبر مرضاً مرعباً في الدول غير الإسلامية).

القلق، من الأمراض التي تسببها المسكرات، القلق النفسي وعدم الاطمئنان الناتج من المعاصي والآثام والذنوب التي تقلق البشرية، فإذا اجتنب المسلم كل ذلك بل أهمه وأعظمه يكون مطمئنا هادئا مرتاحا نفسيا. (وهنا كبائر متعددة مما حرمها الله على المسلمين، كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، وشرب الخمر... فإذا اجتنبها المؤمن نراه مطمئناً مرتاحاً لا يقلقه شيء لأنه لم يشعر بذنب... بينما العاصي... نراه غير مرتاح النفس غاضباً قلقاً، مشمئزاً من هذا وذاك ومريض النفس).

تؤثر على قوى العقل والتفكير، أثر المسكرات والمخدرات على الصحة إن المسكرات لها الأثر البالغ على صحة الإنسان وخصوصاً ما يميز به الإنسان عن الحيوان وهو العقل فيسبب تلفاً في خلايا العقل فيأثر الغيبوبة، ومن هذا الجانب وغيره شرع الإسلام حرمتها وتناولها بشتى المجالات، (إن المخدرات محرمة؛ لأن تأثيرها على العقل والصحة أخطر من الخمر وذلك لأن علة تحريم الخمر هي الإسكار الذي يجعل الإنسان في غيبوبة عقلية بين آونة وأخرى.وهذا ما يحصل بالنسبة لمدمن المخدرات، بالإضافة إلى النتائج الجسدية والنفسية والروحية والذهنية المدمرة لحياة الإنسان).

قلة النسل، فإن شرب المسكر والخمر والمخدرات يفسد أمر الإنسان ويفقد توازنه الطبيعي في حياته، بل حتى بعد حياته في قبره وحسابه، إذ يؤول أمره إلى الفساد والانهيار في وضعه الطبيعي، فقد روي عن النبي (ص): (من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة). والخبل: أي الفساد لفعل الإنسان بعد أثر المخدر على بدنه وضعفه وخواره، ويؤثر المسكر في البدن بالمرض وضعف المناعة لديه، وفي العقول ضعف التفكر والتأمل وقوة الذكاء والحفظ، فتراه ينسى ما يحتاج إليه بأسرع وقت ممكن، ويمكن أن يؤثر على نسله وذريته،فمن يتناول المخدرات (أوصل لجسده داء لا دواء له).

كما ودلت إحصاءات على أن ربع المرضى في مستشفيات فرنسا (الدولة المتحضرة) هم من المدمنين على الخمور والمسكرات والمخدرات بأنواعها، وأن أكثر من نصف مرضى المجانين هم من المدمنين، وإن ٩٠٪ من سكان مستشفيات الأمراض الزهرية في العالم من مرضى الكحول. و٩٠٪ من المصابين بالأمراض الرئوية،كالسل، في مستشفيات فرنسا هم من مدمني الكحول، وإن ٤٩٪ من الجرائم ضد المتاع سببها السكر، و٥١٪ من الجرائم ضد الناس سببها الخمر، و ٤١٪ من مجموع الجرائم سببها الخمر أيضاً، وإن إحصائيات شركات التأمين على الحياة تثبت قصر حياة شاربي الخمور، و٢٥٪ ممن اتلفوا أموالهم وصاروا يستجدون في الشوارع والأسواق هم من شراب الخمر، و ٢٧٪ من الموجودين في الملاجيء منهم أيضاً، و٦٥٪ من الناس الذين عجزوا عن الإنفاق على عوائلهم كان سبب عجزهم هو الخمور.. وهكذا تطول في تعداد الأمراض والمآسي التي تنتج عن تعاطي المسكرات في الشعوب والأمم على تعدد مستوياتها.

العلاج والوقاية (وسائل الردع الاجتماعي).

قد اتخذت الشريعة علاجات متعددة منها ما أشرنا إليه من آثار اجتماعية ودينية، وأخر وسائل الوقاية من الحد والتعزير والقواطع الاجتماعية المعينة. ومن المعلوم أن الردع الاجتماعي العام أقوى وسيلة علاج لقطع هذه الجرائم في المجتمع، ومنها استعمال المخدرات والسهر على الأفلام الخليعة والماجنة، وفي هذا الضوء لابد من دخول أفراد المجتمع على الخط في العلاج وبالأخص من يؤمن بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب المطلوب، وهو مفقود، ومن وسائل سهولة علاج المشكلة تشخيصها واقعا وبعد التشخيص والمعرفة يبدأ دور العلاج وخصوصاً في الأمراض الاجتماعية النفسية الصعبة والمزمنة، وبواكير المرض وعند حصوله أولاً، والمشرع يرى تشخيص الحالة، ومن ثم البدء بأخذ العلاجات الوقائية التي تقوي المناعة وعدم الانتشار وتحديد الموقع المصاب، والعمل سوية، وعلى كل المستويات والأصعدة المتاحة لدينا بعدم مساعدة وتسهيل معاملات من يتناول المسكرات والمخدرات في المجتمع وحصرهم في مواقع مصابة وتقليلهم.

وقد روي عن رسول الله (ص) في حديث منع عدة أمور من شارب الخمور وهي:

١. عدم الصلاة عليه عند موته، ومن المعروف النهي عن الصلاة على الفاسق والعاصي، بل عند الصلاة عليه، وهو ميت يكون الدعاء عليه وليس له، فقال تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)، وعن الرسول (ص): (لا أصلي على غريق خمر)؛ وغريق الخمر: من أكثر من شربها، وأدمن عليها، وهذا الأسلوب كناية عن كثرتها وبعض الروايات أشارت إلى الإدمان عليها.

٢. عدم ترويج معاملة عقد زواجه، ولا مساعدته عند زواجه، علماً أن الشريعة تحث على قضاء حاجات المتزوجين وتعجيل الزواج بكل ما أمكن إلا كراهة تزويج شارب المسكرات مطلقاً والروايات كثيرة على ذلك.

٣. لا تقبل شفاعته، فإذا شفع بقضاء حاجة أحد لا يشفع، لا تقبل منه.

٤. لا يصدق حديثه، وإخباره وما ينقله، حتى يعلم أن المجتمع لا يصدقه لأنه شارب خمر.

٥. ولا يؤتمن أمانة مطلقاً صغيرة أو كبيرة، قليلة أو كثيرة، مالية أو غير مالية. بأنواعها وأقسامها ومواردها، لا يؤتمن في المجتمع؛ لأنه غير مؤتمن في عمله ودينه. وإن خالف أحد وائتمن شارب المسكرات فليس عليه ضمان إذا خان الأمانة ولا يؤجر عليها.

٦. إن مرض فلا يعاد، وإن أمر الشرع باستحباب عيادة المريض والدعاء له بالشفاء والصحة.

٧. فلا يشيع، ولا يحضر أحد عند وفاته مع استحباب تشييع وإعلان وفاة المؤمن، والحضور عند وفاته.

٨. عدم مجالسته ومحادثته، ونقل أقواله، وتحدد تحركاته، حتى في الكلام والحديث، وتحجير على وسائل الإعلام المقروءة والمرئية له.

ومن مجموع هذه الموارد يتعين هذا المجرم ويتميز في المجتمع، ثم نجري حصاراً اقتصادياً عليه، يقع عمل هذا الحصار على المجتمعات، وكذلك قطع وشائج العون له في كل ذلك، ليمتنع من أعماله الشريرة ويعود إلى كماله وإنسانيته ووضعه الاجتماعي، فعن رسول الله (ص): (شارب الخمر لا تصدقوه إذا حدث ولا تزوجوه إذا خطب، ولا تعودوه إذا مرض، ولا تحضروه إذا مات ولا تأتمنوه على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فاستهلكها فليس له على الله أن يخلف عليه ولا أن يأجره عليها، لان الله يقول: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ...) وأي سفيه أسفه من شارب الخمر).

المشاكل التربوية وحلولها

د.هلال كاظم الشبلي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
أستاذ أسبق في التعليم الثانوي

في ضوء تجربتي الشخصية

في البداية يمكن القول إن المشكلات التربوية كثيرة ومتعددة وتأخذ أُطُراً وموضوعات ربما تدخل في كلٍ مناحي الحياة اليومية الاجتماعية، التربوية، الاقتصادية - السياسية، ومنها ما يكون ظاهراً ومعروفاً لدى العامة من الناس وبعض آخر غير ظاهر لا يعرفه إلا ذو الاختصاص والدراية والمعرفة المسبقة وهم التربويون تحديداً، ومثلها كمثل الأمراض المدنية التي تظهر إعراضها على جسم الإنسان ومن خلال هذه الأعراض ربما يستدل الطبيب لتحديد نوع المرض ومعالجته، ومنها أمراض داخليه ربما يستعين الطبيب بالفحوصات الطبية (المختبرية) وبعض من هذه المشكلات ربما تعرّض إليها عدد من الكتاب والباحثين وهي مشكلات حادة نوقشت على مستوى الدراسات الأكاديمية وعرضت تلك الدراسات شروحات مهمة ومعالجات لازلنا نرجع إليها في القضاء على المشاكل، لأنها وُلدت من رحم العملية التربوية، ولهذا يمكن القول (لا عمل بدون مشاكل) ومن خلال حل هذه المشكلات تدريجياً ربما يمكن أن نطور العمل التربوي ولهذا عندما نستعرض تاريخ التعليم في العراق نجده تاريخاً متخماً بالمشكلات العويصة، إلا أن الكُتاب وكما قلنا سابقاً اخذوا على عاتقهم تذليل هذه الصعوبات وربما كان دور الصحافة الذي كان مشهوداً في طرح هذه المشكلات ومعالجتها؛ لأن الصحافة وكما يقال (مرآة الأمة في حاضرها وماضيها) لأنها تنظر إلى الأمور من زوايا متعددة وربما كانت معالجتها واضحة ودقيقة ولا سيما في الجانب التربوي ولا نريد أن نستعرض هذا الدور الكبير للصحافة في معالجة تلك المشكلات في هذه العجالة بقدر التأكيد على أن الصحافة تدخلت في عدد كبير من القضايا الاجتماعية من خلال تنبيه الناس على المشكلة وفي بعض الأحيان تعطي العلاج الشافي لها بأقلام الكتاب البارعين في هذا المجال، أما الباحثون العراقيون فإن مكتباتنا مليئة بعدد كبير من الكتب المعتبرة التي تناولت موضوع التعليم بطريقه تربوية تضمنت تلك الكتابات عددا من الإحصائيات والجداول التوضيحية ومنها كتب الأستاذ الدكتور عبد الرزاق الهلالي عن التعليم في العراق ابتداءً من العهد العثماني إلى العهد الجمهوري بمجموعة قيمة لازال معظم الباحثين يعدّونها من المصادر الأصيلة في من يرجع لها كمصدر للتعليم، أما الكتب الأكاديمية (الرسائل والأطاريح) تعرضت لهذا الموضوع كونها ذات صلة بالموضوعات الاجتماعية.

ولهذا عندما نريد أن نستعرض هذا التاريخ لا نريد منه إلا

أن نقول إن ما من مشكلة إلاّ ولها حلٌ موجود في الكتب؛ ولهذا دائماً نوجه عناية طلبتنا والقراء الكرام إلى القراءة المستمرة لهذه الكتب والصحافة الصادرة في كل الأوقات سواء في العهد الملكي أو الجمهوري القديمة منها والحديثة ولاسيما صحف العهد الملكي وتحديداً الصحف الصادرة في محافظة النجف الأشرف أبان عهد المملكة العراقية في مرحلة الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين مثل: (مجلة الغري، مجلة الاعتدال، الحضارة، الهاتف، والبيان... إلى غير ذلك)، وهي مشاكل جرى نقاشها وطرحت سُبل حلها على مستوى عال ووضعت لها الحلول الناجحة، لكن الذي أريد أن أقوله: إن بعض المشكلات التربّوية لم تُناقش لحد الآن أو أنها لم تكن موجودة في الفترات السابقة بل إنها استُحدثت وأصبحت مشكلات حادة تمس صميم عملنا التربوي وهي بطبيعة الحال غير المشكلات الظاهرة مثل مشكلة تأخر التعليم في العراق، أو مشكلة الرسوب، أو مُشكلة التأخر الدراسي، أو مشكلة الغياب، أو مشكلة المناهج، أو ضعف توصيل المعلم للمادة العلمية، أو الغش، وجميعها وجدنا الحلول الناجحة لها من خلال الدورات التربوية التي تقيمها مراكز التدريب بالاعتماد على القادة التربويين،إلا أننا كتربويين فوجئنا بمشكلات من العيّار الثقيل في المدارس الابتدائية صعوداً إلى المراحل الجامعية والدراسات العليا؛ وربما مثل هكذا مشاكل لم نقرأ عنها في الماضي بل ظهرت عندنا بعد تعرض العراق للحصار والتغيرات التي طرأت على المجتمع العراقي بعد(٢٠٠٣م) وإسقاط الطاغية ومثلما بدأنا سالف القول إن المشكلات الظاهرية قد أشبعت بحثا وتحليلاً فإنها أضحت مشكلات قديمة لا يمكن أن نتعرض إليها؛ لأن في إعادة القول والبحث والتحليل ربما يفقد الشيء المُحلل بعضاً من خواصه استناداً إلى علماء الكيمياء، هذا أولاً.

أما الثاني فربما يجعلنا نزحف إلى أقوال من سبقونا وهذا نقلاً، لهذا فإني آليت على نفسي أن أكتب عن (مستحدثات المسائل) بل مستحدثات المشاكل في عالمنا المعاصر، وأبدأ بالمشكلة الأصعب ألا وهي مشكله العلاقة بين الطالب وأستاذه والتي أصبحت هزيلة ومتهالكة من كل جوانبها الأخلاقية والأدبية، فنظرة الطالب إلى الأستاذ قد وصلت إلى مرحله متدنية، بل أن بعض الطلبة يقوم بضرب أستاذه وشتمه ويهدده، ويخرج من المدرسة ويجلب (أعمامه) الذين يحملون السلاح في وسط الحرم المدرسي وينهالون عليه ضرباً تحت أعين المدير والأسرة التعليمية أما الشرطة فهم كذلك مُهدَّدون بهذا العقاب إذا منعوا الاعتداء أو أخبروا السلطات العليا فهم مهددون بواسطة بعض شيوخ العشائر الذين يلوّحون لهم بـ(الكعّدة، الحشم، الاعتداء، الأخيار....الخ).

في بعض الأحيان أيها الأخوة نحن في التربية نعيش قانون (الغاب) وتعرفون ما معنى (قانون الغاب) يعني القوي يأكل الضعيف، واسمحوا لي أن أقول إن الفرد العراقي الآن يقع تحت طائلة ثلاثة قوانين: (القانون المدني الحكومي + القانون العشائري + التشريع الديني) وبالتالي يكون التناقض القاتل بين ثلاثة قوانين هي من أتعبت شرائح المجتمع العراقي، وهذه دعوى أوجهها لكل المسؤولين مفادها: (عليكم مزاوجة هذه القوانين لتصبح قانونا موحداً حتى يعرف المواطن (مسؤولياته الأخلاقية اتجاه القانون المحدد) فهذه مشكله ربما هي أساس للمشكلات التي يعاني منها الجهاز التربوي في العراق والأجهزة الأخر، وهذا ليس بيت القصيد فالمشكلة تردي العلاقة الأبوية بين الطالب وأستاذه ربما تجدها عند الطلبة الذين لا يحترمون آباءَهم في أسرهم عدم الاحترام هذا انسحب من الأسرة إلى المدرسة وبالتالي يطبق هذا الأمر تطبيقاً عملياً في المدرسة والسبب هو وجود قسم من الطلبة على نفس الشاكلة فينجذب بعضهم إلى الآخر وتتعانق نفوسهم المريضة ويقومون بأعمال غير صحيحة في المدرسة. تحت أسماء (جماعة فلان) نسبة إلى المسلسل التركي (مراد علم دار) لكوننا نعرف أن أحد الشبان قتل أمه والآخر قتل والده والثالث قتل صديقه لتأثر بالمسلسلات التي تعرض في بعض القنوات، فهذا الشاب المستعد لقتل والديه لا يأبه بـ العلاقة الأبوية سواء في أسرته أو مدرسته، وحبه لوطنه ربما هو الآخر غير موجود وهنا يُثار السؤال الآتي: كيف يدخل المعلم المعلومة العلمية في ذهنية الطالب كي يفيد منها ويراجعها ومن ثم يمتحن بها وينجح للمرحلة الثانية؟ اعتقد أن هذا الطالب يجب أن يراجع طبيباً يخلصه من هذه الأمراض قبل الذهاب إلى المدرسة، لأن هذا الطالب لم يستوعب المادة العلمية كونه عزل نفسه مع المشكلة التي يعاني منها أما المشكلة الأخرى التي تعاني منها المدرسة والمدرسون من جانب الطالب الاستعمالات غير الصحيحة لجهاز النقال، وهذه (حدِّث ولا حرج) ولا نريد أن ندخل بالتفاصيل، فربما كتاباتنا تعطي علاجاً عكسياً ونبتعد عن الهدف الذي قصدناه هو خدمة العملية التربوية. لكنني حتى أكون أكثر دقة، وباعتباري أحد المهتمين بالمشكلات التربوية، ومثال على ذلك: (إني وجدت - أثناء تفتيشي بمعية السيد مدير المدرسة سين للطلبة - أن نقال أحد طلبة الصف الرابع الإعدادي يحتوي على (١٢٠) مقطعاً لأفلام تنافي الحياء)، وعند التحقق منه قال إني أبيع مقاطع فديوية على الطلبة ولا أريد أن أتحدث عن الإجراءات لكني لم أكن مع تلك الإجراءات التي اتخذت بحق الطالب - من قبل إدارة المدرسة - وهنا لابد من القول لماذا وصل الطالب إلى هذه المرحلة من الوقاحة؟ هذا هو بيت القصيد، ومن ثم عوقب الطالب وفقدنا أحد أبنائنا أولاً كونه انتقل من (المدرسة) إلى الشارع الذي لا يرحم أحداً لاسيما مع هذا النوع من الشبان المتمردين، كي يصبح لقمة سائغة في أفواه التماسيح الجائعة، وما أكثرها.

وعندما أؤكد على الطلبة فالمفروض أني لا أغفل عن تصرفات بعض أولياء الأمور التي هي الأخرى تقاطع العمل التربوي فعندما تبقى في أي مدرسة لمدة ساعة واحده ترى (بأم عينك) هذه التصرفات التي تكثر يوماً بعد آخر وسوف أذكر واحدة فقط منها، وهي تبرير العمل الخاطئ لإبنه أو ابنته وتتفاقم المشكلات وتصل إلى العراك) وهذه مشكله ربما تكون من أخطر المشاكل التي يعاني منها العمل التربوي في عالمنا المعاصر كونها تفسخ العلاقة الطيبة بين (البيت والمدرسة) والضحية هو الطالب وعند التأكيد على دور الطالب وولي الأمر في إحداث بعض المشكلات للجهاز الإداري التربوي لا أغفل بعض المشكلات التي يثيرها بعض الزملاء من المدرسين والمعلمين؛ وحتى أكون أكثر دقة وموضوعية فإن المشكلات التربوية ربما يكون بعض المدرسين سبباً في إذكائها وتطويرها من خلال الحلول الارتجالية والمتشنجة التي يقدمونها لمشكلات الطلبة داخل المدرسة أو التدخل غير الصحيح فيها مما يجعلها أكثر تعقيداً، فتنعكس سلباً على الطالب والإدارة والمدرسة عموماً وبالتالي تصل إلى مرحلة اللاعودة إلى الوراء أي أننا نفقد الأمل في الرجوع إلى المرحلة السابقة من تلك العلاقة.

ومثلما نعرف أن العمل التربوي يتكون من عناصر ضرورية تعمل بصورة تعاونية لتنتج عملاً تربوياً نظيفاً إلى المجتمع ومن هذه العناصر هي المدرسة، والمعلم والبيت والجهاز الإداري (التربية) وكل واحد من هذه العناصر له مشاكله الكثيرة والمتعددة، ولا نريد أن نستعرض كل هذه المشاكل كونها مشكلات القسم الأكبر منها معروف ونشاهدها يومياً ومنها البنايات المتهالكة للمدارس التي لا تتوفر فيها أبسط أنواع الراحة والأمان وأيضاً قلة المدارس فبعض منها الدوام فيها لا يزال مزدوجاً أو ثلاثياً، وعندما تدخل في بنايات المدارس تجدها كالسجون لأن جدرانها أصبحت لوحات يخط عليها الطلبة بعض الذكريات، أما المعلم لازال يشكو من قلة المخصصات ولديه أعمال ثانوية لها أولوية على عمله التربوي، وأما الطالب العنصر الثالث والأهم في العملية التربوية فهو كذلك مشغول دائما بتفاهات الشباب وعمل الموديلات المستوردة وما أكثرها فضلاً على المشكلات الأسرية ، أما التربية فهي مشغولة في العمل الإداري أكثر من العمل التنظيمي للمدارس بينما أكثر المشرفين تفرّغوا فقط للتحقيق لا المتابعة فالكل ينظر لنفسه بأنه مسؤول لكنه لا يعرف حدود مسؤوليته وكيفية استفادة الآخرين من هذه المسؤولية تربوياً، فضلاً عن أن العلاقة متشنجة بين كل هذه العناصر التي تشكل العملية التربوية فالرحمة غير موجودة والقانون غير مطبق وبالتالي تكون التربية في واد والمدارس في واد آخر... أما الحل فهو أن يعيَ الكل مسؤوليته التربوية وحدودها في ضوء القوانين الوضعية والإنسانية، والاستفادة من أصحاب الخبرة في المجال التربوي لاسيما حملة الشهادات العليا في التنظير التربوي، ولا بأس بعقد اجتماعات متواصلة بين التربية من جهة والمؤسسات العراقية من جهة أخرى، ووضع سبل علمية تشمل كافة المراحل الدراسية ابتداءً من الابتدائية وصولاً إلى المراحل الجامعية.

الزحف في أربع... سيتكرر مرتين

عندما نقرأ التاريخ ونتصفح أوراقه التي كتب عليها حديث الإمام زين العابدين (ع) عندما خاطب عمته العقيلة زينب (ع) إذ قال لها: ((عمتاه ابشري سينصب بهذا الطف علم كلما أجتهد أئمة الكفر وأشياع الضلال على محو أثره لا يزداد إلا علواً وارتفاعاً وهم يزدادون انتكاساً وانطماساً))، هذا الحديث الذي جرى بينهما قبل أكثر من ألف عام! يلاحظ كم من الطغاة حاولوا وبشتى الوسائل منع زيارة الإمام الحسين (ع) عبر القرون المنصرمة وأشاعوا القتل وسفك دماء من يقصد أرض كربلاء.. وتمر السنون والأيام ويزداد زائرو الإمام الحسين (ع) سنة بعد أخرى.

ويأتي اليوم الذي ينتظره عشاق ومحبو آل محمد بفارغ الصبر لكي يجددوا عزاءَهم ومواساتهم رسول الله (ص) والأئمة الأطهار (ع) وهو يوم العشرين من صفر.

ومن خلال مسيرتنا نحو كربلاء مع الزوار سيراً على الأقدام قاصدين الإمام الحسين (ع) وأخيه أبي الفضل العباس (ع) على طريق النجف ـ كربلاء استوقفتنا بعض المواقف المشرفة من الزائرين ومن خدمة المواكب الحسينية في الطريق فقمنا بإعداد هذا التقرير ،التقينا بالزائر (محمد صبحي) من جنوب لبنان والذي تحدث قائلاً: (هذه أوّل زيارة لي إلى العراق، كنت انتظر اليوم الذي أتشرف به بزيارة قبر أبي عبد الله الحسين (ع) وقد تفاجأت كثيراً عندما بدأت المسير مع هذا الزحف من الزائرين إذ كل شيء يُقّدم في المواكب المتواجدة على الطريق مجاناً من طعام وموائد حسينية مفتوحة ومبيت ومرافق صحية وحمامات وهذه الأطعمة والأشربة هي عبارة عن مائدة مفتوحة ممتدة على طول الطريق بما تشتهي الأنفس من فواكه وحلويات وكل شيء أشكر الله على هذه النعمة، وعلى هذا التوفيق في القدوم إلى مرقد الإمام الحسين (ع) واشكر الأخوة أصحاب المواكب على هذه الخدمة المشرفة).

لو اجتمعت اكبر دول العالم تطوراً لما استطاعت توفير هذه الخدمات، هذا ما بيَّنه الزائر البحريني (إبراهيم خليل) الذي تحدث قائلاً: جئت من البحرين قاصداً كربلاء المقدسة لإحياء شعائر زيارة الإمام الحسين (ع) وأقول له لبيك يا حسين ها نحن أنصارك ومحبوك جئنا نجدد العهد والولاء لك ولأخيك أبي الفضل العباس (ع)، وقد أثار دهشتي أن هذه الخدمة المقدمة من المواكب الحسينية المنتشرة على طول الطريق تقدم خدماتها مجاناً ولو اجتمعت أكبر دول العالم تطوراً لما استطاعت توفير هذه الخدمات، نسأل الله أن يوفقنا لزيارة الإمام الحسين (ع) في السنين القادمة.

بينما يرى حسن محمد علي من العراق/ مدينة البصرة أن أربعينية الإمام الحسين (ع) ثورة ضد الظلم، وأن هذا الزحف المليوني رسالة إلى كل حاكم ظالم، وهي بالتأكيد تهز عروشهم؛ فليتعظوا من أبي الأحرار (ع) بأن الظلم لا يبقى وإن انتصار الدم على السيف ليس مستحيلاً.. هذا ما قدمه الإمام الحسين (ع) من تضحية وفداء وبقى ذكره يتجدد كل عام وعام.

التقينا بالمستبصر الدكتور باولو هيلو أستاذ في جامعة ريو دي جانيرو في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية والذي تحدث قائلاً: (جئت من البرازيل

ـينية أبي الأحرار في هذا العام..

تقرير: عمار الطريحي

إلى كربلاء المقدسة قاصداً المسير مع هذا الزحف المليوني نحو مرقد الإمام الحسين (ع) وكانت هذه أوّل زيارة لي **والملفت للنظر أن المفهوم السائر في العالم إدفع دولاراً إحصل على خدمة، غير أن ما حصل في العراق غير الواقع تماماً فكل ما يقدم من خدمات على طول الطريق وبكل الإتجاهات المؤدية إلى كربلاء تقدم مجاناً، بل إن أصحاب المواكب يطلبون من الزائرين أن يأخذوا منهم ما يقدموه لهم**، فالحقيقة الشعب العراقي شعب كريم ويستحق التقدير وهو (يتميز عن باقي شعوب العالم).

كما التقينا بأحد خدام المواكب الحسينية في طريق النجف ـ كربلاء الحاج عقيل كاظم مسؤول موكب العقيلة زينب (ع) والذي تحدث عن الاستعدادات التي تقدمها المواكب الحسينية قبل الزيارة قائلاً: (تبدأ استعدادات المواكب الحسينية قبل أيام من الزيارة بتهيئة كافة المستلزمات والاحتياجات التي تقدم إلى الزوار الكرام القاصدين إلى كربلاء، في أجواء كلها سعادة وحزن، أما السعادة فلأننا نشعر إننا بهذا العمل نواسي الرسول وأهل بيته (ع) وخصوصاً السيدة الزهراء (ع) ونتقرب إليهم من خلال خدمتنا للزائرين.

وأما الحزن فإنه يذكرنا بما جرى على أهل البيت (ع) من محن وشدائد وقتل وسبي ومصائب، وما يقدمه أصحاب الموكب الحسينية بسهرهم لخدمة الزائرين وتراهم في العمل الطوعي مستمراً ليلاً ونهاراً.

والمواكب الحسينية تسعى في خدمة الزوار بأي صورة كانت ومجاناً ودون أي دعم من أي جهة؛ فهي تقدم خدماتها بتمويل ذاتي، نسأل الله تعالى أن نكون عند حسن ظن أهل البيت (ع) وأن يتقبل منا هذا القليل).

فيما نشر تقرير في علم الفلك أن سنة (٢٠١٣م) سيشهد أربعينية الإمام الحسين (ع) مرتين وهذا لا يتكرر إلا كل ٣٢ عاماً.

وبين التقرير أن (٢٠) من شهر صفر لعام (١٤٣٤هـ) ذكرى أربعينية الإمام الحسين (ع) ستصادف يوم الخميس (٣) كانون الثاني من العام (٢٠١٣) وسيكون (٢٠) صفر من العام الهجري المقبل (١٤٣٥) يوم (٢٣) كانون الأوّل من سنة ٢٠١٣م.

وأن آخر مرة صادفت فيها الأربعينية أي (٢٠) صفر مرتين في عام واحد كان عام (١٩٨٠) إذ صادف يوم (٢٠) صفر سنة (١٤٠٠هـ) يوم (١٩٨٠/١/٩) وجاء يوم (٢٠) صفر سنة (١٤٠١هـ). يوم (١٩٨٠/١٢/٢٨) أيضاً.

ويقول التقرير إن ذلك سيتكرر عام (٢٠٤٥) عندما يحل (٢٠) صفر لسنة (١٤٦٧ هـ) يوم (٢٠٤٥/١/٩م) ويحل مرة أخرى في سنة (١٤٦٨هـ) يوم (٢٠٤٥/١٢/٣٠ م).

بينما أعلنت الأمانة العامة للعتبة الحسينية في كربلاء المقدسة إن عدد الزائرين قد تراوح مابين (١٦ إلى ١٧) مليون زائر كان من بينهم (٧٥٠،٠٠٠) زائر من دول عربية وأجنبية. وإن عدد المواكب التي شاركت في أربعينية الإمام الحسين (ع) والتي وصل عددها إلى (١٧٥٠٠) موكب يقع (٦١٥٠) موكباً منها ضمن الحدود الإدارية لمدينة كربلاء المقدّسة.

الدكتور محمود البستاني ومشروع أسلمة العلوم الإنسانية

بقلم: احمد حنون العتابي / بغداد

شهد العالم الإسلامي في ثمانينات القرن العشرين دعوات كثيرة تدعو إلى صياغة العلوم الإنسانية على وفق المنهج الإسلامي، فشهدت تلك الفترة عقد العديد من الندوات والمؤتمرات المطالبة بهذا الشأن، مثل مؤتمر إسلام آباد سنة ١٩٨٢م، ومؤتمر كوالالمبور سنة ١٩٨٤م، ومؤتمر الخرطوم سنة ١٩٨٧م، وغيرها.

وفي ضوء هذه المؤتمرات نشطت العديد من المؤسسات الفكرية والمراكز البحثية في العالم، كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، والجامعة الإسلامية في إسلام آباد، ومعهد البحوث الإسلامية في بريطانيا.

والحق، إن هذه المؤتمرات - وإن كانت فتحاً - لم تكن السباقة في تبنيها لهذا المشروع، فقد سبقتها دعوات - مباشرة أو غير مباشرة - لعدد من المفكرين الإسلاميين، الذين أعادوا صياغة العلوم الإنسانية على وفق الرؤية الإسلامية، كالمفكر العظيم السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٢هـ) في كتابه المشهور فلسفتنا الذي صدرت الطبعة الأوّلى منه سنة ١٩٥٩م، وفيه دحض الأسس التي تقوم عليها الفلسفة الماركسية وديالكتيكها، طارحاً مشروعه الفلسفي كبديل لها وكذلك كتابه الآخر اقتصادنا الذي صدرت الطبعة الأوّلى منه سنة ١٩٦١م، وفيه فرَّق بين المنهج الاقتصادي عند الغربيين الذين يُنشؤون المذهب الوضعي من نتاج فكرهم البشري، وبين منهج المفكر الإسلامي الذي يكتشف الأسس العامة لمنهجه من النصوص الشرعية الحقَّة.

إن من يتأمل فكر الشهيد الصدر - في كتابيه هذين - يدرك أنه على وعي مبكر بمشروع أسلمة العلوم، وما تسميته لكتابيه بفلسفتنا، واقتصادنا إلا دليلٌ واضحٌ على تبنيه لهذا المشروع.

وهكذا بدأ هذا المشروع يتوسع شيئاً فشيئاً وصولاً إلى عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، فنُلحظ هنالك جهود كبيرة لإسماعيل راجي الفاروقي في كتابه أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل المطبوع سنة ١٩٨٣م، عن دار البحوث العلمية

وجدت أن الزمن الذي نعيش فيه يتطلب أن نواكبه من جانب، وأن نحقق به هويتنا الإسلامية من جانب آخر، وتجيء العلوم الإنسانية في مقدمة ضروب المعرفة التي يحتاج إليها الإسلام لتوصيل مبادئه إلى الآخرين.

بالكويت، الذي أكد فيه ضرورة بناء العلوم الإنسانية والاجتماعية على أسس إسلامية جديدة تُجسِّد الإسلام في منهجيته وإستراتيجيته وطموحاته.

وتأتي جهود الدكتور محمود البستاني (ره) في هذا المجال لتكون مكمِّلة لجهود الذين سبقوه في هذا المضمار، فجاء مشروع أسلمته متمثلاً في خمسة مجالات هي: المجال النفسي، والاجتماعي، والأدبي، والبلاغي، ومنهج البحث العلمي.

ويعلل - رحمه الله - السبب من وراء توجهه لهذا المشروع بقوله: (وجدت أن الزمن الذي نعيش فيه يتطلب أن نواكبه من جانب، وأن نحقق به هويتنا الإسلامية من جانب آخر، وتجيء العلوم الإنسانية في مقدمة ضروب المعرفة التي يحتاج إليها الإسلام لتوصيل مبادئه إلى الآخرين). وفي مقام آخر يبين (ره) الحاجة الملحَّة إلى أسلمة العلوم الإنسانية عامة، وعلمي النفس والاجتماع خاصة، فيقول: (وجدت أن الحاجة لعلم النفس خاصة وعلم الاجتماع عامة ملحة لأسلمتها، لأن المادة النفسية هي أساس السلوك البشري، على شتى مستوياته، وكذلك علم الاجتماع، هو أساس السلوك الاجتماعي للبشر، وهذان النمطان من المعرفة يتخللان عصب الحياة جميعا، لذلك فان التأكيد عليها يظل من أهم العلوم الإنسانية التي ينبغي أن تؤسلم).

ومن الجدير بالذكر، **أن الدكتور البستاني (ره) من خلال مشروع أسلمته هذا، لم يكتف بصياغة العلوم الإنسانية على وفق القران الكريم فحسب، بل أراد إخضاع تلك العلوم إلى النصوص الواردة عن المعصومين (ع)** وهذه سمة امتاز بها (ره) عمَّن دعا إلى أسلمة العلوم من خارج مذهب الأمامية، وسبب هذا يعود إلى اختلافات مذهبية وعقائدية معلومة.

اللغة العربية وتحديات العصر

رؤية قرآنية

المدرس الدكتور ميثم مهدي صالح الحمّامي
جامعة الكوفة كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المقدمة:

هذا بحث في بيان طبيعة اللغة العربية وما أوتيت من إمكانات ميزتها عن لغات العالم، لتكون لغة تلبي حاجات كل عصر قديما وحديثا، متحدية كل عوامل الفناء والانقراض، لتكون اللغة الأوّلى في العالم قدما، والأطول عمرا.

مؤسسين ذلك على فكرة الإعجاز القرآني التي جاء بها الدين الحنيف، لا برؤية غيبية، وإنما برؤية قرآنية علمية تبين إمكانيات اللغة وما اتصفت به، وتحدياتها للمخاطر التي تواجهها، شأنها شأن باقي اللغات الإنسانية، وعلاقة ذلك بالإعجاز والتحدي الذي جاء به النبي الأكرم محمد (ص). وقد جاءت هذه الدراسة الموجزة بمدخل تحدثنا به مكانة اللغة في المجتمع وعند العرب خاصة، وتبعته ثلاثة مباحث، كان الأوّل بعنوان العربية في المنظار القرآني، وقد درس البحث في نظرة القرآن الكريم إلى اللغة العربية، وتوظيف ما يمكن توظيفه من آي الذكر الحكيم في بيان علاقة اللغة بالقرآن، أما المبحث الثاني فكان بعنوان العربية والإعجاز وقد بين البحث على نحو الاختصار إمكانية العربية لأن تكون لغة القرآن، وكان البحث الثالث بعنوان أطوار العربية، وقد تجوزنا بهذه التسمية لنبين إمكانية العربية في كل المراحل الزمنية وما لقته من عناية واهتمام، مع الإشارة إلى عناية السماء بهذه اللغة العظيمة التي تمتلك من مقومات البقاء الكثير، والله المستعان.

المدخل:

لكل قوم لغتهم التي تعرف بهم ويعرفون بها، فهي تمثل هويتهم وتأريخهم وحاضرهم، وتربط الناس بلغتهم روابط كثيرة، ففضلا عن هذا فإن هناك كثيرا من الروابط الوجدانية التي يتفاعل الناس بها مع لغتهم، التي جعلت من اللغة ليست مجرد ألفاظ أو أصوات يعبرون بها بل وسيلة بيان للأحاسيس والمشاعر التي تجيش بالنفس الإنسانية، ولهذا نجد أن المجتمعات قد اعتنت بلغاتها كثيرا، تدفعهم إلى ذلك دوافع اجتماعية ونفسية وتاريخية وسياسية، متعصبين إلى لغاتهم التي ألّفوها.

وقد مثلت اللغة العربية عند العرب تراثهم ومجدهم ووجدانهم، وكانت - فضلاً عن أنها وسيلتهم للتفاهم - ملاذهم للترويح عن النفس وأداة لاحترافهم وتفاخرهم، وإجادتها جوازٍ لإشرافهم وسيادة لسادتهم - والمتبصر باللغة العربية يستطيع أن يعرف عن العرب كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم - ولكل هذا وذاك نجدهم قد أولوا العناية الفائقة للغتهم - وكأنهم قد فطروا على حب العربية - يتدارسونها بحياتهم اليومية ومواقفهم التي تمر بهم تفاخرا واستهجانا، أو يعمدون إلى تنشئة أبنائهم في بيئات اتصفت بالنقاء اللغوي الخالص من ما يكدره.

أولى العرب العناية الكبرى بلغتهم، فكان من الإجادة بها والتفنن بالتعبير بآليتها ما جعلهم يتفاخرون بها أمام الأمم الأخر، ومن الملاحظ أن اللغة عند المجتمعات غير العربية لم تكن وسيلة للتفاخر أو التباهي مثلما نجدها عند العرب، وإنما تباهت الأمم بعلومها ومعارفها

مجدا لها وكرامة وفضلاً لها على من سواها، وهو أمر يقره العقلاء من دون أدنى شك في ذلك، أما أن تكون اللغة وسيلة لذلك فهذا أمر عجيب، لأن الناس وحتى يومنا هذا نجدهم إذا امتهنوا شيئا نعتوه بالكلام، إشارة إلى امتهانه أو تقليلا لشأنه، ولكنهم وقروا العربية كثيرا، فكانت معيارا للشريف والوجيه، فوقفوا بوجه كل من يخدش بهاء العربية أو يعكر زهوها وحفظوها مما يشينها أو يسلبها نقاءها، مع أنها - في الوقت نفسه - استطاعت أن تهضم كما من ألفاظ اللغات الأخر عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، وفي هذا ما يدلل على قدرة العربية في احتواء ألفاظ غيرها مع الحفاظ على هويتها مضفية الأثر العربي على تلك الألفاظ، لأن ثبات هويتها أكثر ما يكمن في نظامها التركيبي الذي لم يتغير قط.

وفي هذه البيئة العربية في كل مكوناتها تأتي رسالة السماء لتنقل الناس كافةٍ من الظلمات إلى النور متخذة من اللغة مادة لإعجاز الناس أمام الدعوة الإلهية، سيرا مع ما جرت عليه العادة ويقره العقل من ضرورة وجود برهان إعجازي لكل من يدعي أمرا خطيرا، ولكن هذه المرة كانت اللغة مادة الإعجاز، لتحصد المعجزة غايات عدة، أظهرها أنها جاءت على سنخ ما يعرفه العرب وما امتازوا به عن من سواهم من الأمم، لتجعلهم عاجزين من مجاراتها وهم الأدرى بها والأعلم، ليعلموا أن ما جاء به القرآن ليس بمقدور الناس أن يأتوا به، لأنهم قد خبروا العلائق اللغوية على أفضل ما يمكن، ومارسوا النشاط اللغوي بكل ما تتيح لهم اللغة من طاقات إبداعية، بيد أن القرآن العظيم قد فجر الطاقات اللغوية تفجيرا تاما ليحقق بها علائق لغوية أذهلت أرباب اللغة وفصحائها، ليوقنوا أن ما جاء به القرآن ليس لأحد منهم أن يأتي بمثله مهما أوتي في اللغة من نصيب، ولتثبت المعجزة أنها سماوية النشأة في كونها جاءت بمادة لا يتصورها الناس يوما مادة إعجاز. ولعل ذلك ما أذهل الناس وملك عليهم الحيرة من أمرهم لأن مادة الإعجاز هذه المرة اللغة التي يمتلكها السيد والعبد، الغني والفقير، الشريف والوضيع، فأنى لهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

واستمرت اللغة العربية بعد النزول في ذلك العرش البهي في نفوس العرب، بعدما أضاف لها القرآن الكريم صفات جمة في طليعتها الأثر القدسي، فأثار القرآن الكريم في نفوس العرب الانتقال (شيئا فشيئا) إلى مراحل منهجة العناية باللغة العربية، أو فلنقل السير نحو المنهج، فبعد أن أثار نزول القرآن الكريم اهتمام العرب، وبدأت حلقات النقاش تتعدد وتنتشر، وبعد أن ظهرت المدارسات القرآنية، بزغت بديهة الدراسات اللغوية لأنها مثلت مادة الإعجاز القرآني، وبهذا اعتنى أبناء العربية بلغتهم، يصونونها من كل دنس ويحمونها من كل ما يمكن أن يسيء لها، وكانت لهم المعين الذي لا ينضب تمدهم بالطاقات التعبيرية الهائلة من دون أن تعيبها كثرة العطاء، وكيف يعيبها ذلك وقد جعل منها القرآن العظيم وعاءً لمعانيه التي شملت الوجود، قال تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ)، فلمّا كانت المعاني من السعة أن المفسرين والدارسين والمعنيين لم يستطيعوا أن يحيطوا بها بالرغم من تعاقب التفاسير والدراسات القرآنية منذ النزول إلى يومنا هذا، فإن اللغة العربية كانت الوعاء الرحب لمعاني القرآن الكريم غير المحدودة.

وبعد اتساع رقعة الناطقين بالعربية لغة نابضة بالحياة ومغدقة بالعطاء، لم تعرف العجز يوما، تعطي من إمكانياتها بالقدر الذي يملكه المتكلم من الدراية بها، وتعجز - كما يتوهم بعضهم - بمقدار عجز المتكلم عن معرفتها أو الدراية بفنون التعبير فيها.

وبهذا يمكننا - تجوزا - أن نقول بأن اللغة العربية قد مرت بمراحل اتصفت بها، ويمكن أن يسميها البحث بالآتي:

١. مرحلة العصر الجاهلي أو مرحلة الاستعداد والتهيئة لاحتضان النص القرآني.

٢. مرحلة احتضان القرآن الكريم وصيرورة اللغة مادة إعجاز.

٣. مرحلة العصور اللاحقة وظلال النص القرآني عليها إلى العصر الحديث.

ولست فيما تقدم أريد أن أسرد أمورا تاريخية، أو أعيد في بعض مما تقدم كلاما مكررا، وإنما أردت أن أؤسس لبحثي هذا منهجا يضمن النظر في إمكانية العربية في تحدي المخاطر المحدقة بها جميعا برؤية قرآنية مستندين إلى العقل والدليل، جاعلين من اللغة المعين الذي يعزز ما نرمي إليه، والله المستعان.

العربية في المنظار القرآني

ورد وصف القرآن الكريم (في أكثر من عشرة مواضع فيه) بأنه عربي، وكل تلك المواضع تدل على المدح والتعظيم، قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يوسف: ٢، يرى المفسرون أن الضمير للكتاب بما أنه مشتمل على الآيات الإلهية والمعارف الحقيقية، وإنزاله قرآناً عربياً هو إلباسه في مرحلة الإنزال لباس القراءة والعربية، وجعله لفظاً متلواً مطابقاً لما يتداوله العرب من اللغة كما قال تعالى في موضع آخر (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم): (الزخرف: ٤).

فالآية المباركة تشير إلى أن هذا الكتاب المشتمل على الآيات في مرحلة النزول قد جاء بلباس اللفظ العربي محلى بحليته ليقع في معرض التعقل ولو لم يجعل عربيا مبينا لم يعقل ما فيه من أسرار الآيات، (وفي ذلك دلالة ما على أن لألفاظ الكتاب العزيز من جهة تعينها بالاستناد إلى الوحي وكونها عربية دخلا في ضبط أسرار الآيات وحقائق المعارف، ولو أنه أوحي إلى النبي (ص) بمعناه وكان اللفظ الحاكي له لفظه (ص) كما في الأحاديث القدسية مثلا أو ترجم إلى لغة أخرى خفي بعض أسرار آياته البيّنات عن عقول الناس ولم تنله أيدي تعقلهم وفهمهم).

ولا جدال في أن القرآن العظيم معجزة نبينا محمد (ص)، وأن الله عز وجل قد تحدى الناس بالإتيان بمثله ولو اجتمع الجن والأنس وكان بعضهم لبعض ظهيرا، قال تعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)، وهذا الإعجاز القرآني إنما شمل اللفظ والمعنى (اللغة) من دون شك، ويعني هذا أن القرآن الكريم مثل حجة الله على العباد، وهم وإن عجزوا عن أن يأتوا بمثله إلا أنهم كانوا يدركون براعته وروعته، وإلا كيف يشعرون بإعجاز ما لم يدركوا كنهه، وحري بالعرب أن يدركوا وهم أهل البلاغة والبيان والبراعة في فنون القول - كما قد أسلفنا، إذن الدراية والمعرفة بمادة الإعجاز أمر مهم لأن يحق إعجاز القوم بالمعجزة، وتحديهم بها، ولهذا نجد المعجزات جميعا على سنخ ما يعرفه الناس، وهو أمر بديهي، إذ كيف يُتحدى قوم بما لا يحسنونه، لأن ذلك سيكون خلاف العقل والعدل، لأن الناس - عندما لن يستشعروا الإعجاز أو يدركوه، وها هم العرب قد أدرك معاندوهم أيضا براعة النص القرآني وجماليته، فالوليد بن المغيرة عندما مر بالنبي (ص) وهو يقرأ حم السجدة، أتى قومه وقال: "قد سمعت من محمد (ص) آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس والجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى".

فاللغة إذن مادة الإعجاز، وهي وعاؤه وأداته وبمقدار الدراية بها ومعرفة آلياتها وإمكانياتها، يستطيع المرء أن يدرك بعضا من أسرار التعبير البياني في النص القرآني، ولكون القرآن المعجزة الخالدة، وهو دستور المسلمين، فقد وعد الله سبحانه وتعالى بحفظه وبقائه، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، وتجمع التفاسير على أن المراد بالذكر في الآية المباركة القرآن الكريم، وهذا ما يدل عليه السياق، فقد تأكد بأكثر من مؤكد أن التنزيل من عند الله سبحانه، وأما الضمير في (له) فمعظم المفسرين يذهبون إلى أن المراد به القرآن، وذكر بعضهم أن المراد به النبي (ص). (إنا نحن نزلنا الذكر) أي القرآن (وإنا له لحافظون) عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة وتحفظه عصراً بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي (ص) عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا يندرس ولا ينسى عن الجبائي وقال الفراء يجوز أن يكون الهاء في له كناية عن النبي (ص) فكأنه قال إنا نزلنا القرآن وإنا لمحمد (ص) لحافظون.

وعلى أرجح القولين فإن الله عز وجل قد وعد - ووعده الحق - بحفظ القرآن الكريم من كل ما يمكن أن ينتقصه أو يسوؤه، ولما كانت اللغة هي عرض القرآن أو بعضه، فلا بد من أن يشمل الحفظ هذه اللغة، وهذا الحفظ يكون على محورين إذا صح القول، أحدهما: حفظ اللغة ذاتها، وهذا ما تهيأ له جمع ممن هدى الله لخدمة لغة القرآن الكريم، والآخر: حفظ معرفتها عند الناس ليبقى القرآن المعجزة التي تتحدى الناس وتبهر عقولهم بعظيم كنهها ولو اطلعنا على منزلة تعلم علوم العربية في المعيار الديني، لعلمنا مقدار العناية بهذا الجانب، ونلحظ أن القرآن وصف شأنه بالعربي مدحا وتعظيما وفي إنزال القرآن الكريم باللغة العربية مَرْتَبَةٌ رفيعة لعلم العربية، ووجه الدلالة أنه تعالى أخبر أنه أنزله عربيا في سياق الثناء وأنه مبين لم يتضمن لبسا ولا غموضا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذلك يدل دلالة ظاهرة على شرف اللغة التي أنزل بها، وقد افتخر النبي (ص) بكونه عربيا وعبر عن حبه لهذه اللغة، وقد ذكر العسكري في هذا الصدد أن أولى العلوم بالتعلم بعد علم التوحيد هو معرفة علوم اللغة العربية.

نخلص من هذا إلى القول بأن الله قد تكفل بحفظ القرآن الكريم، وهذا الحفظ لم يكن

مقيداً أو محدداً، وإنما شمل كل ما يتعلق به، واللغة من أهم تلك المتعلقات، فهيأ لبقاء العربية من يخدمها ويصونها، ويوصلها إلى الأجيال ليعرفونها بما فيها من قدرات وإمكانيات، ليتمكنوا من معرفة القرآن وما فيه من أسرار وعلوم وكل ما يمت للناس من خير، ولم يكن اعتناء السماء مقتصرا على مرحلة نزوله وما تبعها فحسب، بل شملت المراحل التي سبقت النزول، فقد تهيأ لهذه اللغة من يرعاها ويعلم أهلها لطائفها وأسرارها، وإن ابتعد سعيهم عن المنهجية أو التنظيم، ولكن كان له الأثر في رعاية اللغة.

والسؤال الذي يُطرح؛ هل العربية مؤهلة لأن تحتل هذه المنزلة الجليلة، أم إنه تعصب محض؛ أو فلنقل بأن العربية لا تملك أي ميزة لتميزها عن اللغات الأخر، سوى أنها أصبحت لغة لنص مقدس، فحظيت بهذه الأهمية لذلك؟ والجواب على ما تقدم نجمله بالفقرة الآتية.

العربية والإعجاز

لقد امتلكت اللغة العربية من الخصائص والمقومات ما جعلها قادرة على أن تكون ملبية للإحتياجات من دون أن تعيي مستعملها، مهما تكن تلك المعاني من الدقة. وقد إعتنى العرب ومنذ القدم بلغتهم عناية كبرى، وعودوا أنفسهم وأهليهم وقومهم جميعاً على تحري الدقة في الاستعمال اللغوي، على صعيد المفردة والتركيب بناء ودلالة؛ وعلى صعيد ما يعتريها من تطور دلالي في اللفظ والمعنى، فقد استطاعت العربية ـ ويشهد واقعها ـ أن تواكب كل المراحل التي مرت بها، من دون أن نسمع من العرب من أعيته العربية في التعبير عن أي معنى.

إن قدرة اللغة العربية متمثلة بالتعبيرية للمفردة لما تمتلكه من دلالة معجمية فضلاً عما يضفيه السياق من المعاني؛ والإمكانيات التي يعطيها التركيب، والأساليب التي تسهم في إضفاء البيان والرونق على المعاني؛ ما جعلها لغة حية حتى اليوم، فأكثر من مليار عربي مسلم يتحدث بها إلى اليوم.

فما تملكه من سبل للنماء والتصرف مكنت العربي من استعمال اللغة من دون عجز أمام المعاني مهما كانت، فقدرتها على الاشتقاق وتوليد مفردات جديدة قياساً على ما تكلمت به العرب ما جعل العربية أن تعرف بأنها لغة اشتقاقية تتخذ من هذه الظاهرة وسيلة لتعبر من خلالها عن مختلف المعاني.

ويضيف النحت والتركيب قدرة أخرى للعربية في إمكانية توليد كلمات جديدة للتعبير عن المعاني، وهو طريق كان مستعملاً في عصور العربية القديمة، وأن أهمل فيما بعد ـ كما يقول الدكتور محمد المبارك ـ، فالعربية من بين اللغات السامية قد امتازت بقدرتها على إخراج كلمة من كلمتين أو أكثر، وهي ميزة معروفة في اللغات الآرية.

ولا ننسى طريقين مهمين من طرق نماء العربية وقدرتها على مواكبة التطور والجديد، الأوّل: المجاز، وهو طريق خاص بالمعاني؛ إذ تنقل دلالة الكلمة من ما وضعت له إلى دلالة جديدة مع وجود علاقة بينهما، ويعد المجاز سببا من أهم أسباب نشوء ظاهرة الترادف والأضداد والمشترك اللغوي، بل قيل أنه سبب في حدوث أية ظاهرة لغوية؛ لذلك اهتم به اللغويون اهتماما بالغا. والآخر: الاقتراض؛ إذ قد يعجز الناطق باللغة عن إيجاد لفظ مناسب للتعبير عن ما يريد التعبير عنه في ألفاظ لغته، فيستعير لفظة من لغة أخرى لتؤدي له ما يريد، وقد يحصل الاقتراض من دون حاجة تعبيرية، وإنما لغايات أخر، والاقتراض ظاهرة عرفتها اللغات عامة قديما وحديثا، فليست هناك لغة إلا واستعارت من أخرى، نتيجة للاحتكاك الحاصل بينهما، وقد دلت الملاحظة على أن اللغات منذ القدم يستعين بعضها بألفاظ بعض، حدث هذا بين اللغات القديمة ولا زال يحدث بين اللغات الحديثة، وأن من المعتذر أن تظل لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى. وإنما أسميناه اقتراضا ليشمل المعرّب والدخيل.

فبكل هذه الإمكانيات والطاقات استطاعت العربية أن تقف بوجه التحديات التي تواجهها، فهي لغة نامية متطورة؛ لبلوغها درجة كبيرة من النضج والارتقاء، فقد قطعت أشواطا، وتعاقبت عليها الدهور، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: (هذه النصوص الجاهلية تقدم للباحث نماذج عالية من العربية، وهذه النماذج لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال من البدايات في اللغة، فلا بد أن تكون العربية قد قطعت قبل هذه النصوص مراحل أخر في تاريخها ولم تكن فيها على هذا المستوى العالي من حيث القدرة على أداء المعاني، ومن توافر المادة العربية للتعبير عن النواحي المادية، وانصرافها إلى المعنويات من الأمور توسعا ومجازا). هذا على صعيد ما وصلته اللغة في مرحلة الجاهلية، فما بالك بها اليوم وهي تبحر في محيط تحديات الحياة العصرية، وأمام حشد هائل من المكتشفات والاختراعات، لتواصل المضي قدماً.

وليس الأمر بمقتصر على إمكانية اللغة في سد حاجة الأجيال إليها بالشكل البسيط، بل كانت ولما تزل وسيلة للإبداع وفن القول، ولعل الأدباء وأصحاب الحس اللغوي أكثر الناس دراية ومعرفة بطاقات اللغة الإبداعية، فهي الوسيلة الثرة لكل الأدباء وأرباب فنون القول في مختلف المراحل الزمنية التي مرت العربية بها، فلم تخذل العربية أبنائها، ولم تتوقف عن العطاء يوما لمن أراد منها.

إذن لم تحظ العربية بما حظيت به من عناية ومنزلة عند أهلها؛ لمجرد التعصب لها، لأنها كانت على نحو الواقع تمتلك من المؤهلات ما جعلها تحيى على مدى قرون عدة، من دون أن تهرم، أو يقل عطاؤها، ولهذا كانت الوعاء الرحب لكل المعاني بما في ذلك معاني القرآن الكريم، فالطاقات الإبداعية للغة كانت موجودة فيها، والمبدع يقوم بتفجير تلك الطاقات من خلال تخير اللفظ المناسب للمعاني المطلوبة بنية ودلالة، وبالاعتماد على إمكانيات التركيب.

أطوار العربية

مرحلة الاستعداد والتهيئة لاحتضان النص القرآني

لما كانت اللغة نتاجاً جمعياً، فقد وجد العرب موروثاً من العادات والتقاليد للسلوك اللغوي؛ التي انبثقت من استعمالهم للغة وما استحسن لديهم، أو استقبح من هذا الاستعمال، وقد ساروا عليه وبدأوا يحافظون عليه، ويستنكرون الخروج عن هذه التقاليد اللغوية، سواء أكانت سهواً أو لا يد لمتكلم بها، (فالمجتمع يرعى النظام اللغوي، ويأخذ الناس بالمحافظة عليه، وليس لمن يخالفه، أو يخل بقواعده وموضوعاته عذر).

تطالعنا الروايات وما وصلنا من أخبار عن العرب وعنايتهم بلغتهم، إن العُرف العربي القديم قد أولى بلغتهم عناية فائقة، وقد حافظوا عليها من أي انحراف عن قواعدها وضوابطها، فالتراث اللغوي الذي وصلنا من الجاهليين متمثلا بالشعر الجاهلي، قد مثل درجة عالية من النضج والإتقان، وما كان له أن يكون كذلك إلا بعد عمليات من التهذيب والتشذيب، وقويم لمبانيه وتراكيبه، والذي يلحظ على هذا النتاج اللغوي أنه جاء بلغة موحدة أو تكاد تكون، مبتعدة عن اللهجات التي كانت منتشرة في القبائل العربية. (فالأدب الجاهلي الذي وصل إلينا يخلو إلى حد كبير من اللهجات المحلية، مما يدل على أن لغة مشتركة كانت قد شاعت بين قبائل الجزيرة جميعاً كما ذكرنا، وإن العرب لم ينتهوا إلى هذه اللغة، إلا بفضل النقد اللغوي المستمر الذي تعرض له الشعراء والخطباء، حتى تخلوا عن كثير من العادات الكلامية التي استبشعها النقاد، وكانت قريش هي القبيلة التي قادت حملة النقد هذه، لما تمتعت به من منزلة رفيعة وسلطان ديني واقتصادي كبير).

فمن الروايات التي تشير إلى اهتمام العرب بلغتهم ما ينقله أبو هلال العسكري من أن أكثم بن صيفي، كان إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه: (افصلوا بين كل معنىً منقضٍ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض).

وكان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكاتبه: (إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء، بمعنى غير ما أنتِ فيه، فافصل بينه وبين تبعيته بالألفاظ؛ فإنك إن مذقت ألفاظك، بغير ما يحسن أن تمذق به، نفرت القلوب عن وعيها، وملتها الأسماع، واستثقلتها الرواة). فهاتان الروايتان تشيران إلى الاهتمام بنقل اللغة في المخاطبات بين الملوك والأشراف.

وكانت الأسواق في الجاهلية من كبرى المدارس العلمية والأدبية التي تعنى باللغة والحفاظ عليها، وسوق عكاظ كان من أهم الأسواق قبل الإسلام، وقد كان النابغة الذبياني من أشهر من حكم فيه بين الشعراء.

ولم يحاب العربي أي شخص يقع في الخطأ، وقد عابوا على النابغة قوله في قصيدته المشهورة، إذ قال:

لقد امتلكت اللغة العربية من الخصائص والمقومات ما جعلها قادرة على أن تكون ملبية للإحتياجات من دون أن تُعيي مستعملها، مهما تكن تلك المعاني من الدقة.

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزوّد
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود

وما هذا إلا لون من ألوان النقد اللغوي للحفاظ عليها.

ومن الروايات التي تشير إلى حفاظهم على الموروث اللغوي، ما يروى من نقد طرفة للمسيب بن علس إذ قال:

وقد أَتناسى الهَمَّ عند احْتضاره بناج عليه الصَيْعَرِيَّةُ مُكْدَم

فسمعه طرفة، فقال استَوق الَجمل، لأن الصيعرية سِمَة تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير، لقد سخر طرفة لأن الشاعر قد نعت البعير بما تُنعت النياق.

وصورة أخرى من صور الاعتناء باللغة ما أخذه النابغة على حسان في قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

لأن حسان قد استعمل الجمع الأقل وهو في موضع الفخر، فكان الأوّلى له أن يكثرها، فقال له النابغة قد أقللت جفانك وأسيافك.

والروايات في هذا الشأن كثيرة، ولكن نكتفي بما ذكرنا لندلل على أن هنالك عناية واضحة للعربية من أهلها، وكان ذلك من ضمن ما كان تهيئة لهذه اللغة وأهلها لاحتضان النص القرآني.

مرحلة احتضان القرآن الكريم وصيرورة اللغة مادة إعجاز:

بعد هذه التهيئة والاعتناء باللغة، يحل القرآن العظيم حدثا كبيرا في حياة العرب، فيشغلون به، فبين عناد وحيرة في بلاغته وقوة صياغته وإيمان به، شغل العرب بالقرآن الكريم، وعنوا بتفسيره والإحاطة بعلومه. وكان ذلك أساسا لكثير من علوم العربية. التي أنشأت لغرض حماية النص القرآني أولا. فاستمرت الدراسات اللغوية حتى يومنا هذا. فكأنهما تحافظا. فالقرآن هيأ للدرس اللغوي أن تتسع حلقاته وتنمو، والدرس اللغوي كان بخدمة النص القرآني وبيان إعجازه وإبداعه.

ولعل أبا عبيدة كان أوّل من صنف كتابا يبحث في القرآن الكريم ولغته، ويوازن بينه وبين لغة العرب، ليدفع الدعوى ممن ذهبوا إلى أن في القرآن ما يخالف أساليب العرب. فقد فند أبو عبيدة هذه المزاعم، ودلل على بطلانها بأدلة من ما عرفه العرب؛ ما يغلق عليهم التشكيك بأساليب القرآن.

لقد كان القرآن الكريم باعثا مهما في نشاط الدرس اللغوي وفروعه بشكل كبير، دفع به إلى منهجته وتنظيمه، فقد تطلبت دراسة القرآن والوقوف على أسراره وبراعته، الإحاطة باللغة العربية وتراثها، ليكون العرب وغيرهم من الدارسين على بينة من سنن العرب في لغتهم، ليفهموا النص القرآني ويعوا معانيه. فعكف المسلمون على دراسة القرآن، ودراسة لغته، فانبرى العلماء المسلمون للتأليف في معانيه وغريبه ومجازه ولغاته فصنفوا كتبا كثيرة، وصل منها ما وصل وفقد ما فقد.

واستمرت هذه الدراسات حتى بدأت الدراسات اللغوية تستقل بنفسها، سيما بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية ودخول أقوام غير عربية إلى الإسلام واختلاطهم بالعرب مما أدى إلى تفشي اللحن، فانبرى العلماء العرب المسلمون إلى الحفاظ على العربية من هذا الخطر الذي أقبل عليها، يدفعهم إلى ذلك حماية القرآن من خطر اللحن وضياع الفصحى، لكي لا يكون القرآن كتابا يحتاج إلى ترجمة، كما هو شأن الكتب السماوية الأخر. واستمرت العناية بالدراسات القرآنية واللغوية إلى أيامنا، بل إنها أخذت تتسع وتتخصص، مكونة لعلوم مستقلة كعلم التفسير وعلوم القرآن الأخر، وكعلم اللغة والأدب والنقد والبلاغة، وكل ذلك خدمة للقرآن ولغته.

واستمرت الأخطار تواجه اللغة، وبقيت العربية صامدة محافظة على كيانها، بعد أن هيأ الله لها أناسا شمروا للمحافظة عليها، ولسنا في هذا البحث لنريد أن نستقريء الجهود الكبرى في هذا المجال، ولا أن نعرض السرد التاريخي لهذه المخاطر التي واجهت العربية، وإنما أراد البحث أن يبين أن العربية قد انتقلت من مرحلة النضوج والتهيئة، إلى مرحلة احتضان النص القرآني، ودوام بقاء العربية لغة الفن والإبداع، وكيف أن القرآن أعطاها المد للتطور والبقاء، وكيف تسهم دراسة العربية في فهم القرآن وخدمته.

مرحلة العصور اللاحقة وظلال النص القرآني عليها إلى العصر الحديث:

لا يقصد البحث إلى تفصيل ما مر بالعربية من ظروف أو ما مرت بها، فدارس التراث العربي أو المطلع عليه يجد ما نريد قوله، ويراد من ذلك الإشارة والتذكير بأن اللغة العربية استطاعت أن تكون أداة فاعلة للتعبير عن المعاني مهما كانت، فهي طيعة بيد أهلها الذين بروها بالمدارسة والتعلم والتبحر بها، ليزدادوا معرفة بالقرآن، لأن من يرد الله به خيرا يفقهه بالقرآن، الذي هو مستودع العلوم، ففضلا عن ما امتلكت العربية من طاقات في التعبير عن المعاني، فقد أضفى القرآن الكريم كثيرا من أسرار التعبير وجماليات القول. والمطلع على الأدب العربي في العصور التي تلت نزول القرآن، وخاصة في العصر العباسي يجد الأثر القرآني واضحا في أدب هذا العصر. وإنما نمثل لذلك بأدب هذا العصر لأن الأدب في عصر صدر الإسلام لم ينهض إلى مستوى الأدب في عصر الجاهلية، أما العصر الأموي فقد شهد حالة من الرجوع إلى النهج الجاهلي بشكل عام، خلافا له في العصر العباسي الذي مثل ازدهار الأدب العربي بأوجه.

إن للقصدية التي انتهجها النص القرآني في تخير الألفاظ والتراكيب والعلاقات داخل الجملة والنص معا، وتوظيف الطاقات اللغوية توظيفا أمثل، ما أعطى السبيل على مستعمل اللغة، لا سيما من ينتهج الإبداع، لأن ينتبه إلى أهمية هذه العلاقات، والتخير لما ينسجم والغرض الذي يريد التعبير عنه، فيمتاز مستعمل اللغة - أيا كان أم لم يكن - من غيره بمقدار براعته في توظيف العلائق واستغلال الطاقات اللغوية، اقترابا ومشاكلة للاستعمال القرآني.

مما تقدم نجد أن العربية بمراحلها التي مرت بها كافة، قد استطاعت أن تحقق ما يراد من اللغات، بل إنها قد حازت شهادة الإبداع في مجال فنون القول والتصرف، فهي قادرة تماما على تلبية احتياج الناطقين والمبدعين وأصحاب العلوم، لما تمتلكه من ميزات تمكنها أن تجد الحلول أمام أي إشكال يعرض لها، فهي تعطي الحق لصاحبها بالتصرف بها على سنن العرب في ذلك. شريطة أن يكون بارا بها، وأعني ببرها دراستها والتعرف على أسرارها. يقول ابن جني: (.... أن الأعرابي إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته تصرف وارتجل مما لم يسبقه أحد قبله به)، مستشهدا بما كان يروى عن رؤبة وأبيه من (إنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ولا سبقا إليها).

والعربية في العصر الحديث تواجه جملة من المشاكل التي قد تؤدي بأهلها ولا أقول بها؛ إذا ما تنبهنا لها، ووظفنا الجهود الجمعية، لصد خطرها، أهمها مشكلة العامية التي حلت بديلا عن العربية، لتعطي صورة واضحة عن الانحدار اللغوي الذي تمر به العربية، ولحل هذه المشكلة لا بد من أن تسن قوانين للحفاظ على العربية ومكافحة العامية وأن يمضي المثقفون والمؤتمرون خاصة على عدم تداول العامية في أوساطهم العامة والخاصة، لننشيء جيلا يحترم لغة القرآن ولا يحيد عنها.

والمشكلة الأخرى التي تواجه العربية - كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي - هي أن هذه اللغة يجب أن تكون لغة الحضارة الجديدة المعاصرة، مشيرا إلى مشكلة المصطلح الجديد، واضعا الحلول لها، فالترجمة من أولى الحلول لهذه المشكلة فيما يرى، فضلا عن التعريب للمصطلح الأعجمي بالطريقة المعروفة عند العرب.

والمشكلة الأهم فيما يرى الباحث هي ضعف الهمة عند أهل هذه اللغة في دراسة هذه اللغة ومعرفة أساليب البيان والتعبير فيها، ولا بد أن يعوا أن اللغة تمثل هويتهم، فموتها إنما هو موت لأهلها قبل كل شيء، وإن كان الباحث ليستبعد الموت لهذه اللغة للأسباب التي ذكرها البحث.

يخلص البحث بعد هذه الرحلة الموجزة إلى جملة من النتائج، وهي:

- لم تحظ لغة ما حظيته العربية من اهتمام، منذ القدم، ما يشير إلى وجود تهيئة لأن تسخر هذه اللغة.
- هذا الإهتمام لم يكن مجرد تعصب للعربية وإنما كانت هناك ألطاف جعلت من العرب يرتبطون بها ارتباطا وثيقا.
- كانت العربية وما تزال لغة ثرّة لا يعييها زخم المعاني ودقتها وكل ما تحتاجه أن يتبحر المرء بكنزها اللغوي الثر.
- تكفل الباري جلت قدرته بحفظ القرآن الكريم وهذا الحفظ كان مطلقاً إطلاقاً زمانياً، ولما كانت اللغة آلته وجزءا لا يتجزأ من القرآن فقد شملت بهذه العناية، ولهذا نلحظ المهتمين باللغة وقد انبروا للحفاظ عليها.
- تواجه العربية اليوم مخاطر شتى، وتكثر المخاوف التي تشير إلى انقراضها في القريب، والأمر يكمن فيما يراه البحث بخطر الإهمال للغة العربية، فلا بد لأهلها من تجنب عقوقها.

فوق العلاج (الطب البديل)

الدكتور محمد علي طاهر
ترجمة الدكتور نعمان محمد حسين الخليلي

كل طريقة طبية تشذ عن الطب الحديث تعتبر من طرق الطب المكمل أو البديل (**Medicine and Alternative**) وباختصار (**CAM**). يقسم الطب المكمل أو البديل من قبل منظمة الصحة العالمية على خمس مجاميع ويقع فوق العلاج فى المجموعة الرابعة وتعني علاج الأمراض عن طريق علاج الذهن (**Mind Body Intervention**) تحت مجموعة العلاج الذهنى (**Mental Healing**).

فوق العلاج بُني على نظرية «ارتباط الشعور» أو «اشتراك شعور الأجزاء». طبق هذه النظرية، فى أي وقت يمكن حصول ارتباط بين شعور الأجزاء وشعور الكل، بهذه الطريقة يمكن لشعور الذهن الإصلاح والترميم وإيجاد علاج نفسى وجسمى ذاتى للإنسان، وبالنتيجة يمكن التحسن والشفاء. يعتبر فوق العلاج، علاجاً نوعياً مكملاً، بالنظر إلى ما وراء وجود الإنسان وبدون أي مداخلة فى عملية العلاج الكيميائي، يؤدى إلى حصول تحسن بوضعية المرضى.

يوجد تعاون وثيق بين المركز الوطنى للطب المكمل والطب البديل أمريكا (**National Center For Alternative and Complementary Medicine**) التابع للمركز الصحى العالمي (**HHS] Health and Human Services**) معهد الصحة الوطني (**National Institutes of Health**) فى أمريكا ومنظمة الصحة العالمية. يقسم الطب المكمل والبديل (**CAM**) على مجاميع ثانوية أخر.

نظرية ارتباط الشعور أو اشتراك الشعور

بني (فوق العلاج) على أساس نظرية «ارتباط الشعور» أو «اشتراك الشعور». طبق هذه النظرية، إذا حصل ارتباط بين شعور الأجزاء وشعور الكل فان شعور الذهن يمكنه الإصلاح والترميم وحصول علاج نفسى وجسمى ذاتى مما يؤدى إلى تحسن الحالة الصحية والشفاء. إن شعور الأجزاء يشمل إلى ما لا نهاية كل أجزاء جسم الإنسان وشعور الكل هو الشعور الحاكم لكل الوجود. بارتباط هذين الشعورين تتشكل «حلقة ارتباط الشعور» ويتم إدارة تجهيز وتوزيع الوعي الذهني الذي يرتبط مع كل الاجزاء وبهذه الطريقة يمكن لكل المكونات ان تُفحص وتُرمم.

نظرية ارتباط شعور الاجزاء

فى عملية مسح ارتباط شعور الأجزاء، تكتشف كل العيوب والأمراض الموجودة الظاهرة منها والمخفية عن طريق ارتباط الشعور ووضع أجزاء وجود الفرد تحت المجهر. بعد أجراءٍ ارتباط فوق العلاج، يحصل مسح ذاتي لكل الأمراض ويتبعه شروع ظهور الأمراض واحدا بعد الآخر.

بارتباط شعور الجزء بالكل تتشكل (حلقة ارتباط الشعور) حيث يسيطر على توزيع شعور الذهن لجميع الأجزاء عند الارتباط ومما يؤدي إلى المسح والإصلاح عن هذا الطريق بعد المسح الكلي للجسم تظهر ذاتيا آثار المشاكل والأمراض الكامنة للخلية، وعن هذا الطريق تزول آثار وتوترات الأمراض وتبدأ عملية التقدم الصحي. البدن في قسمه الجزيئي وفي القسم الحاوي على الجسيمات الصغيرة يشبه أي جزء من أجزاء الكون فى تكوينه من الأوتار المرتعشة ومن هذا الارتعاش يتشكل الجسم المادي. إن العامل الموجد لهذا الارتعاش والحركة هو الشعور الحاكم في عالم الوجود نفسه. لذا فان عالم الجسيمات الصغيرة وكذلك وجود الإنسان مرتبطة بقوة مع بعضها.

من مجموع شعورٍ الأجزاء يتشكل شعور الكل الذي يشتمل على مجموعة من الشعور لا يمكن الإفادة منها ذاتيا. شعور الكل (في هذا الفصل يسمى شبكة الوعي الكوني) هو مجموعة من الوعي أو الإلهام الحاكم في عالم الوجود ويعتبر العنصر الأساس فى الكون. على سبيل المثال فإن خلية واحدة لا تعلم الى أين تذهب، أما إذا اجتمع ١٠٠ ترليون خلية (جسم الإنسان) فإن المعلومات تتخذ شكلا آخر حيث لا يمكن لأي خلية لوحدها من الوصول إليها. بالنتيجة، فإن الاتصال والارتباط بالشعور الكلي (شبكة الوعي الكوني) أن تنجز أعمالا لا يمكن تحقيقها، من هذه الأعمال العلاج الذاتي وهو موضوع «فوق العلاج».

الهدف من الارتباط في فوق العلاج، هو التأسيس لنوع من الاتصال بشبكة الوعي الكوني، التي لا يمكن أن نجد لها أي تعريف، لذا فإن هذا الاتصال في عالم بلا وسيلة، حيث يمكن التحقق من حصوله من آثاره وليس من ذات الاتصال. بما أن الاتصال له مفهوم عرفاني، لذا سيكون الاتصال على شكل ارتباط قصير (من الناحية العرفانية) والذي يوجب ارتباط شعورٍ الجزء بشعور الكل والذي يعقبه ظهور آثاره وهذا هو فوق العلاج. يعتبر فوق العلاج جزءا من المجموعة الرابعة من الطب المكمل ويعني علاج الأمراض الجسمية عن الطريق الذهني (**Mind Body Intervention**) وتحت عنوان العلاج الذهني (**Mental Healing**).

ما هو العامل الذي يحكم الحركة اللامتناهية الموجودة في الكون، بشكل يتجلى بين كل هذه الحركة المنظمة ذات الهدف؟ في الجواب يجب أن نقول، إن الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يوجه هذه الحركة ويجعلها ذات هدف، وجود عامل ذكي قادر على تشخيص هدف وكيفية أي حركة يجب حصولها للوصول إلى نظام متناسق، ذو هدف معقول. لذا، يمكن القول إن بنية الكون تتكون من المادة والطاقة أو بعبارة أخرى الحصافة أو الشعور والمعرفة، ومن المعرفة وجد كل شد فى هذا العالم والحياة والوجود.

لذا في الاصل: عالم الوجود خلق من المعرفة أصل: كل الناس يمكنهم الافادة من الذكاء والشعور الحاكم في عالم الوجود للوصول إلى نقطة نظر مشتركة وبعد إجراء التجارب واثبات ذلك نصل إلى الله سبحانه وتعالى. حتى هذه النقطة، يمكن إيجاد وتعزيز النقاط المشتركة بين العقل البشري والقدرة الكونية. لذا فالعامل الفكري المشترك بين جميع الناس أو بعبارة أخرى البنية التحتية الفكرية لكل الناس هو الشعور الحاكم لعالم الوجود أو الشعور الإلهي. أن هذا النوع من التفكير والبصيرة، وهو عامل مشترك، يُسمى (شبكة الشعور الكوني).

أصل: خلق عالم الوجود من الحركة، وهكذا، هناك مظاهر مختلفةٍ تنشأ من هذه الحركة وأي آثر تسببه هذه الحركة هو أثر ظاهري، ولأن عالم الوجود أيضا ناشئ من الحركة ففي النتيجة هو ظاهري. وبما أن كل حركة ابتداءا تحتاج إلى عامل محرك، فهذا العامل هو المعرفة والذكاء سيكون حاكما لعالم الوجود وهو ما نسميه (شبكة الشعور الكوني). لذا فإنه ليس لعالم الوجود، وجود خارجي وفي خلقه ثمة حقيقة أخرى في أصل المعرفة وهي صورة افتراضية. بما ان الذكاء هو الحاكم في عالم الوجود إذا يجب أن يكون هناك خالق لهذا الذكاء وهو الله ونحن نعلم أنه صاحب هذا الذكاء.

بالإشارة إلى التوضيحات المذكورة، يمكن القول أنه في كل لحظة توجد هناك ثلاثة عناصر في عالم الوجود هي: (المعرفة، والمادة، والطاقة). فإذا كانت هناك مادة وطاقة بدون معرفة لا يمكن الافادة منهما. لذا في كل لحظة يجب أن تكون هذه العناصر موجودة للافادة منها طبق الشكل الآتي:

إن تبديل المادة والطاقة بالمعرفة بذاته بحث مفصل ومعقد نحيلة إلى فرصة أخرى إن شاء الله..

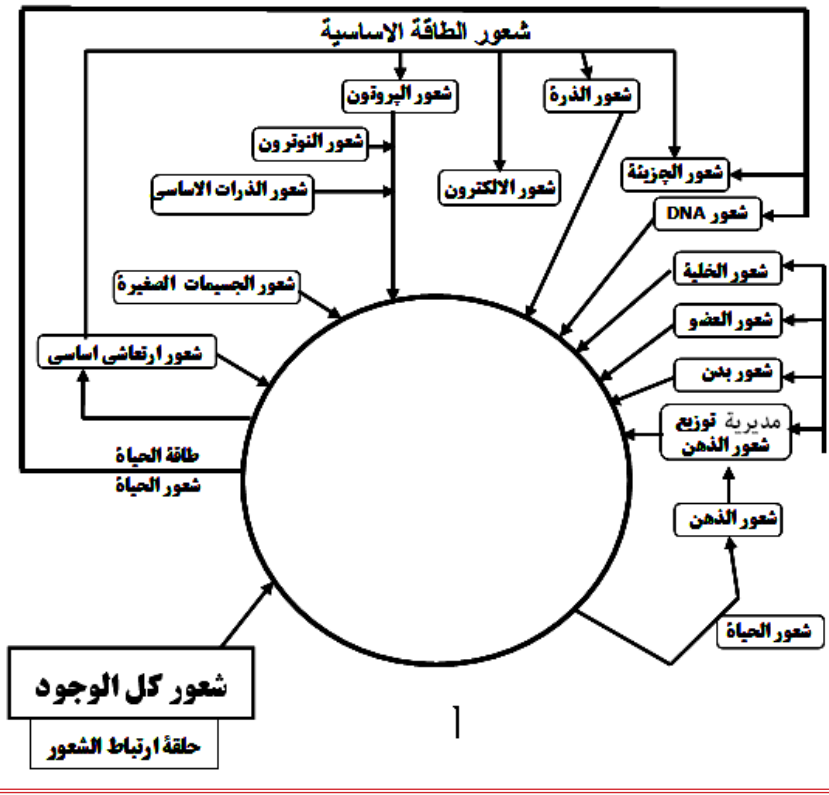

الكاميرا الحديثة
هل قضت على الصورة بالأبيض والأسود؟

الصورة محطات من ذاكرة الانسان؛ وهي جزء لا يتجزأ من حياة المجتمع والأمم، فمنذ التقاط أول صورة فوتوغرافية بدأ التطور التكنولوجي يقتحم حياة الفرد في كل مكان بهذا المجال، فهي العنصر الحيوي والفعال لأكبر المجلات العالمية والأكثر مبيعاً؛ والصورة تقرّب القاريء من الحدث بل تعايشه كما لو كان قد زار شخصياً ذلك الحدث.

والمصور: فنان ومؤرخ وموثق، حتى باتت الصورة تؤجّج المشاعر ولا نكون مبالغين إن قلنا باستطاعتها أن تغير سياسات دول إتجاه دول اخرى. الصورة في الماضي بالأبيض والأسود والتقنيات القديمة والمواد اليدوية والغرفة المغلقة البعيدة عن الضوء، حيث افلام التحميض، في حين إن الصورة اليوم نقطة جمعت بين محترف التصوير والتقنيات القديمة؛ حفيد المصور نوري الفلوجي والمصور العالمي حسين فاطمي يكمل كل واحد حديث الآخر..

تحقيق: جابر الحلو

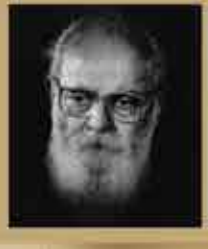
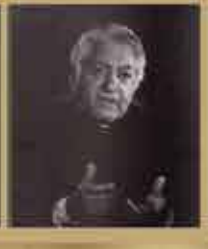
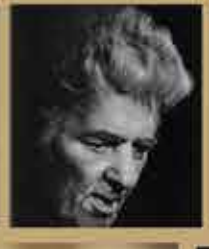
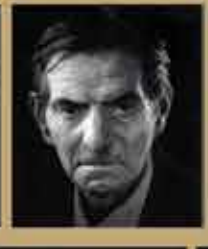
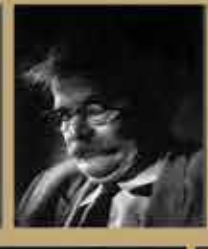
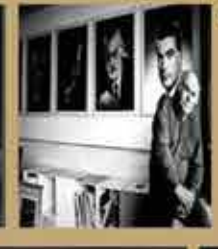

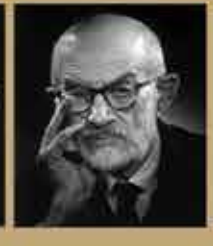

– لكل من الصورة القديمة والحديثة لغة فما هي لغة صورة الأبيض والأسود؟

إن لغة الصورة القديمة متعلقة بإرجاع ذاكرتنا إلى الماضي الجميل وطبيعة العادات والتقاليد آنذاك إنطلاقاً من الصور القديمة الأبيض والأسود تعني الماضي على الرغم من إنها تمثل كل شيء حتى صور المناظر الطبيعية، والأزياء، والفنون الجميلة.. وغيرها، لذا سوف يظل التصوير الفوتوغرافي القديم بالأبيض والأسود دائماً بالتقنية الكلاسيكية التي لا تفقد سحرها لما تعكسه لنا من ذكريات الماضي والمنشآت والمواقع الأثرية والملتقيات التي أصبحت أثراً في جميع مجالات الإبداع.

بماذا تختلف عن الصورة الملونة؟

لا تزال الصور بالأبيض والأسود وسيلة نقية لإلتقاط التفاصيل للموضوعات والمشاهد بدون تشتيت الإنتباه الذي تحدثه الألوان. أيضاً إنها تبرز في العالم في الوقت الذي تسيطر فيه الصورة الملونة على الوعي العام. ذلك من الناحية الفنية ومن الناحية المعنوية إن الصورة القديمة تحمل فكراً ومضموناً كبيراً يفيد منه المتلقي وتكون له مرجعاً يفيد منه في جميع مجالات البحث والمعرفة بواقع وأصالة وعراقة مدينته لإبراز شخصياتها ومواقعها الآثارية فتكون الصورة هي الناطق بإرث وتاريخ الامم وقد تغني الصورة الواحدة عن العديد من الكتب والمؤلفات أو المنشورات في موضوع ما وتكون أقرب إلى الفهم والإدراك وأسرع.

يقال إنه وعلى الرغم من أن التكنولوجيا الرقمية التي جعلت من السهل جداً والمريح للناس أخذ لقطات كثيرة من الصور الملونة من دون الحاجة إلى القلق بشأن التكلفة أو تظهير الأفلام، إلا أن التصوير بالأبيض والأسود ما يزال يستخدم على نطاق واسع فما هو رأيك حول هذه الفكرة؟

إن التصوير بالأبيض والأسود قديماً كان أصعب وأكثر تكلفة منه من التصوير الحديث أو الملون لأنك تتعامل مع الصور وإنها لم ولن تتكرر بمعنى إنك تأخذها بلقطة واحدة وتعتبرها هي لقطتك الناجحة والمؤثرة فلا يمكنك الإطلاع عليها إلا بعد عمليات التظهير والتثبيت في غرف التحميض المظلمة وبالتالي يكون الزمان والمكان قد رحل عنك، فالتصوير بالأبيض والأسود وبأساليبه القديمة أصعب كثيراً في تكوين اللقطة أي إن عليك أن تحدد حتمية اللقطة، فلا رجوع عنها بعد مرور وقت قصير.

❖هل لها عشاقها؟ وهل الصورة القديمة أصعب من الصورة الملون أو العكس؟

للتصوير الأبيض والأسود عشاقه والعديد منا يفضله على الملون لما يحمله من تفاصيل توحد لك الرؤية من بهرج الألوان وتعدديتها وتدرج الرمادي للصورة فيعطي المنظر الجميل والرائع من خلال مساقط الضوء والمناطق المعتمة والمضيئة.

إن استخدام التصوير الأبيض والأسود قائماً إلى يومنا هذا بل تعدى إلى أن تكون اغلب اللقطات الفنية هي الفائزة بالمعارض المتنوعة وعلى محاوره المتعددة المعروفة مثل الإنسان والعمل والبورتريت والصورة السياحية والصحفية وغيرها على الرغم من تطور وتحسن أداء الأجهزة التصويرية فنجد الميول إلى التصوير بالأبيض والأسود من خلال تلك الأجهزة الحديثة.

❖ هل تتوافر المواد الأولية في عمل هذه الصور؟

الآن وفي الوقت الحاضر إنعدمت المواد الكيميائية والأوراق الخاصة لطبع الأفلام القديمة، أتذكر في هذا الصدد أن آخر مختبر من مختبرات التصوير من الذين اعتزلوا العمل بتلك المواد الأولية كوننا نملك خزيناً من تلك المواد ما يعادل كمية هائلة من الكيلوغرامات والورق الخاص للتصوير لكوننا نملك وكالة من

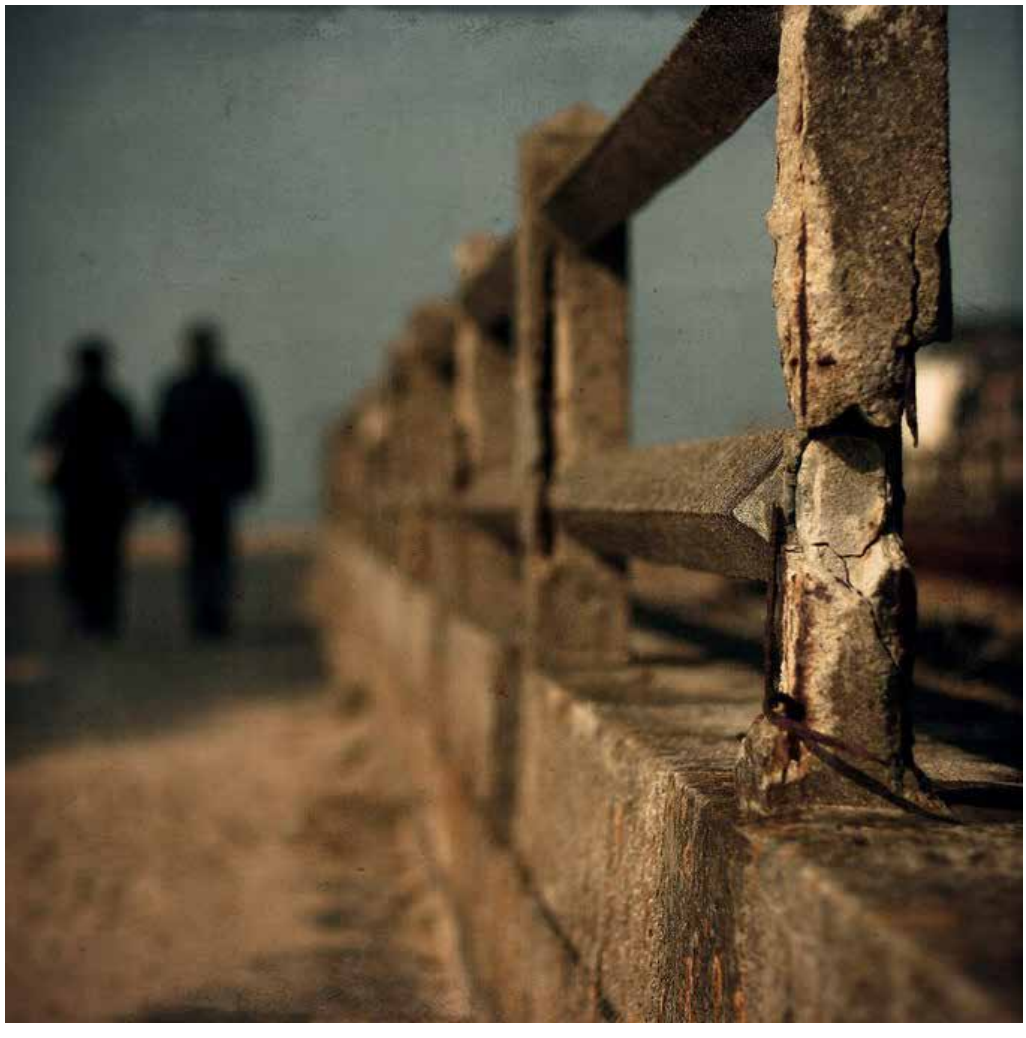

الشركات العالمية المصدرة لتلك المواد إلا إنه ما في اليد حيلة فقد نفذت والآن نعالج الأفلام القديمة بالأجهزة الحديثة فلا تعطينا النتائج التي نطمح اليها، ومع ذلك مواظبون على طباعتها على أفضل وجه إعتماداً على قلة المنتوج مع جودة أفضل من غزارته وضعف في منظره وشكله فإن الصورة يجب أن تكون واضحة ولها دلالاتها التي نشرت من اجلها.

❖لماذا كان يصور نوري الفلوجي؟ بعبارة أخرى هل كان الهدف من تصويره الأرشفة، التوثيق أم العمل؟ هل كان ينشر صوره في الصحف والمجلات آنذاك؟

لحبه للتصوير وتعلقه به جعل الفنان نوري الفلوجي التصوير إشباعاً لهوايته بنفس الوقت عمله المتواصل فنتاجه كان لتوثيق الأشخاص والحوادث التاريخية والوفود وجوانب المجتمع العراقي تختزلها عدسة الفلوجي الراحل حيث نرى أن الصور التي كان يلتقطها (رحمه الله) معتمداً على نيته المبيتة لغرض التوثيق كما في حديقة الملك غازي، وساحة ثورة العشرين، والمدارس الدينية، ومكتبات النجف الأشرف الزاخرة... وغيرها الكثير حيث يظهر عنوان المكان من خلال عرض لافتة المناسبة أو المدرسة أو المتجر أو المؤسسة التي يروم توثيقها. اضافة إلى ذلك فقد كان يؤرشف أعماله ونتاجه بشكل دقيق ومتاح إلى الآخرين للوصول إلى ما يرومونه من صور وأحداث ومناسبات وبشكل دقيق ومن خلال سجلاته وملاحظه التي يسجل بها كل شاردة وواردة لحبه واعتزازه بعمله وشغفه المستمر بعمله. فكان (رحمه الله) كثير السفر محباً للتعرف وتبادل الثقافات حيث كانت كامرته معه في الحل والترحال سائحاً في أنحاء المعمورة يجلب كل ما هو جديد من كاميرات وعدسات تصويرية ومواد للرقي بفنه وتجديد إبداعه بشكل مستمر فقد كان بحد ذاته مركزاً إعلامياً كبيراً وقيماً ترفد الشارع العراقي بكل ما هو جديد ونادر وذو قيمة كبيرة لتوصيل الصورة والكلمة الصادقة آنذاك نظراً لحركته الوثّابة وخطواته المدروسة وتوسط محله في مركز مدينة النجف الأشرف مما جعله يستقطب أعداداً كبيرة من الزبائن ووكالات الأنباء وراعيا للباحثين والمفكرين والدارسين وهواة التصوير ممن هم اليوم أساتذة في عالم التصوير فنجد بصمات الفلوجي واضحة عليهم الان ومن خلال نتاجه وأعماله في الوقت الذي انحسرت به الاجهزة الإعلامية وخاصة وهي في بدايات نشوئها وترعرعها آنذاك ناهيك عن نشره للمواضيع المصورة لكل جوانب الحياة في الصحف والمجلات المحلية والعربية والعالمية وبشكل مستمر فكان بحق مصور وإعلامي النجف الأول والعراق وبلا منازع.

ما هي محاور الفلوجي في التصوير؟

نوري الفلوجي من المصورين الشاملين إذ اعتمد في عمله على جميع المحاور واتقنها بشكل رائع فبسبب حبه للسفر داخل وخارج العراق اشتمل أرشيفه على أغلب المواقع العمرانية والآثارية والمناطق السياحية في أرجاء المعمورة فقد كانت له سنوياً رحلتان للإقتناص يصطاد بها المناظر الجميلة والآثارية في أغلب البقاع ويرجع بالصيد الوفير من تلك اللقطات الرائعة فكان مولعاً بمحور الصورة السياحية.

❖المصور العالمي حسين فاطمي الإيراني الجنسية التقيناه في إحدى الدورات المعدة للمصورين والمعروف بحبه لإلتقاطه الصور بالأبيض والأسود رغم امتلاكه للتقنيات الحديثة في التصوير، وكان هذا اللقاء معه:

ما هو الفرق بين التصوير بالابيض والاسود والتصوير الملون؟

هناك الكثير من الفروقات بين التصوير القديم والذي يعرف بالأُحادي اللون أو المونوكروما (الأبيض والأسود) من حيث الأداة والتركيبة التقنية التي يستخدمها في إنتاج معنى الصورة وأهم هذه الفروقات هي: الدقة في تطبيق تقنيات آلة التصوير الفوتوغرافي بسبب التطور التقني للكاميرات الرقمية، سهولة التصوير من خلال كثرة عدد الصور الملتقطة بواسطة الكاميرا الرقمية، المرونة في تغيير وضع الصورة من الأسود والأبيض إلى الملون. وهناك فروق عدة في تصوير الأسود والأبيض والملون كون التصوير الأحادي فيه بعد درامي يعبر عن الآلام والهموم النفسية أو يعبر عن قيمة الضوء الجمالية.

جولة مع الجاليات الـ

الشيخ طالب حسين الخزرجي

في الجانب الآخر من الكرة الأرضية تقع دولة البرازيل المكتشفة قبل سبعة قرون من قبل البرتغاليين الذين استعمروها لقرنين من الزمن لتعيش بعد ذلك أشكالا وأنماطا متعددة من أشكال وأنماط إدارة الدولة والسلطة حتى انتهت لما عليه الآن بالنظام الجمهوري الديمقراطي. والشعب البرازيلي شعب خليط بين برتغاليين وأفارقة وهنود حمر وجاليات إسلامية وغير إسلامية قصدوها منذ عشرات السنين فأصبحوا جزءا من هذا الشعب الذي عرف باحترامه لكل الشعوب وشعائرهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم، القانون في البرازيل يتيح للشعب بتعدد انتماءاته الحقوق التي قد لا تتوفر في الكثير من بلداننا العربية والإسلامية مما اسهم في أن تضم هذه الدولة اكبر جالية عربية وإسلامية في العالم. وبشكل طبيعي أن هذه الجالية تؤثر وتتأثر بالمجتمع الجديد والبيئة الجديدة وتنقل لها معتقداتها وعادتها وتنتقل لها إيمانهم ومعتقداتهم ومجلة (نقطة) كانت حاضرة في هذه الدولة العملاقة وبالتحديد في مدينة(ساوبالو) اكبر تجمع للجاليات العربية والإسلامية في البرازيل والتقت بالعديد من الشخصيات العربية والإسلامية والبرازيلية وكانت أولى المحطات مع مدير المركز الإسلامي في ساوبالو

تحتل المرجعية في النجف الأشرف موقعا خاصا في قلوب أبناء الجالية الإسلامية في المهجر وعقولهم وأرواحهم وأفكارهم وهم مرتبطون معها ارتباطا وثيقا وقويا..

سماحة الشيخ طالب الخزرجي.

إلى كم دولة تنتمي الجاليات الإسلامية في البرازيل؟ وهل استطاعت الجالية الإسلامية الاندماج مع مواطني البرازيل كمجتمع واحد؟

معظم الجاليات الإسلامية تنتمي إلى لبنان، وسوريا، والعراق وفلسطين ومصر وأفريقيا. أما بخصوص الجالية الإسلامية فقد اندمجت مع المجتمع البرازيلي إلى حد كبير وفي الآونة الأخيرة توجه عدد كبير من البرازيليين للبحث عن حقيقة الإسلام خصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر و على أثرها تم دخول الكثير من البرازيلين إلى الإسلام والذين ينتمون إلى الديانات الاخريات حيث إن الإحصائيات تشير إلى تناقص ملحوظ بأعداد المنتمين إلى الديانات الأخريات وزيادة ملحوظة بالدين الإسلامي إضافة إلى برامجهم المميزة من الإجتماعات واللقاءات والندوات الثقافية.

ما هي جذور وجود الجاليات المسلمة هناك؟

هناك رأيان الأوّل يقول إن جذور وجود الجالية الإسلامية هي أن البرتغاليين عندما قدموا للبرازيل جلبوا المسلمين من أفريقيا كخدم وهؤلاء كانوا يواجهون ضغوطا كثيرة من قبل البرتغاليين المنتمين للديانة الكاثوليكية والتي على أثرها تم إنهاء وجودهم في البرازيل بشتى الطرق، والرأي الثاني يقول بأن الجالية الإسلامية قدمت إلى البرازيل قبل ١٥٠ سنة عن طريق المهاجرين العرب المسلمين وبالخصوص اللبنانيين وغيرهم من القوميات العربية وازدادت أعدادهم يوما بعد يوم.

هل تتمع الجاليات الإسلامية في البرازيل بحقوقهم في إقامة شعائر الدين وبناء المساجد؟

المساجد و الحسينيات و المؤسسات الإسلامية تحيي المناسبات و تقيم الشعائر الإسلامية بصورة مستمرة و بحرية مطلقة دون أي اعتراض من قبل الحكومة البرازيلية بل بمشاركة بعض المسؤولين والشخصيات البرازيلية البارزة في المجتمع.

ما هو الدور التبليغي و الثقافي الذي تقوم به الجالية الإسلامية في البرازيل؟

تقوم الجاليات الإسلامية بجميع الأدوار الثقافية كإقامة الاحتفالات والتجمعات والمحاضرات والندوات والإحتفاء بالشعائر الدينية وإحياء ليالي شهر رمضان وإجراء عقود الزواج ومراسيم الدفن و استقبال الضيوف والشخصيات وإقامة المؤتمرات الدينية

سلامية في البرازيل

المساجد والحسينيات والمؤسسات الإسلامية تحيي المناسبات وتقيم الشعائر الإسلامية بصورة مستمرة وبحرية مطلقة..

و غيرها من الأدوار الثقافية و الإجتماعية، أما من ناحية المركز الإسلامي في البرازيل فلديه نشاطات لاتختلف كثيرا عما هو مذكور آنفا إضافة إلى اللقاءات والإجتماعات مع الدوائر والمؤسسات الدينية لنشر الوعي والثقافة الإسلامية لأهل البيت (ع)، وما تميز به المركز هو اختصاصه بإصدار الكتب باللغة البرتغالية وطباعتها ونشرها وتوزيعها إلى المؤسسات الدينية والجامعات والمكتبات والشخصيات منها نهج البلاغة ورسالة الحقوق وكتب السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس الله سره) وغيرها.

هل نجحت هذه الجاليات في مد جسور التواصل مع المجتمع البرازيلي؟

الجاليات الإسلامية لها تواصل وعلاقات وطيدة وعميقة و إستراتيجية مع الدوائر والمؤسسات وكافة فروع وطبقات المجتمع البرازيلي كون المجتمع البرازيلي يحترم كافة أتباع الديانات والإنتماءات بدون تمييز أو عنصرية مما له الأثر البالغ والعميق في نجاحها وعدم شعورها بالغربة بل العكس من ذلك حيث أن الجاليات اسهمت اسهاما واضحا في بناء البرازيل وتطويرها وفي كافة المجالات.

هل هناك تعاون بين المؤسسات الحكومية البرازيلية والجاليات من ناحية التعليم بجميع مراحله وهكذا المراكز الصحية وغيرها ذلك؟

من حق أي مسلم التعليم مادام يمتلك الوثائق البرازيلية القانونية التي تثبت

مسلم مقيم: المواطن البرازيلي ليس لديه حساسية من الإنتماءات أو القوميات باعتبار البرازيل بلدا متنوع الأجناس والأديان بل حتى في الأسرة الواحدة..

وجوده فله الحق بالتعليم وعلى كافة المستويات دون تمييز.

هل استطاعت الجاليات الإسلامية تأسيس مدارس خاصة بها في البرازيل مجازة من قبل الحكومة و لها مناهج خاصة؟

توجد مدارس خاصة بالجالية الإسلامية إضافة إلى مشاركتهم بالحكومة البرازيلية وإكمال الدراسات بالمدارس و الجامعات البرازيلية كما من حق هذه المدارس أن يكون لها مناهج خاصة بها إضافة للمناهج البرازيلية المثبتة لدى دوائر التربية.

ما هي ابرز نشاطات الجالية الإسلامية في البرازيل؟

الجالية الإسلامية تقوم بكل النشاطات المتعلقة بها من إقامة المؤتمرات و الندوات

استطلاع: ناصر الدين الخزرجي

والمحاضرات الثقافية ومراسيم الزواج والدفن والمناسبات الدينية وإقامة الشعائر والفرائض الدينية وبالأخص برامج شهر رمضان وشهر محرم الحرام المميزة بالحضور المكثف والموائد الرمضانية والعاشورائية الجماعية الكبيرة على امتداد الساحة البرازيلية حيث التواجد الإسلامي.

هل استطاعت الجالية الإسلامية تأليف كتب عن الإسلام كفكر وعقيدة وتاريخ باللغة الأم في البرازيل؟

منذ وصول سماحة الشيخ طالب الخزرجي قبل ٢٥ سنة لاحظ وجود حاجة ملحة إلى نشر الثقافة والعقائد الإسلامية فابتدأ على بركة الله بسد هذا النقص الكبير والملح والعمل على ملئه بأفضل ما أنتجه علماؤنا الأعلام وعلى هذا الأساس تم إصدار كتيبات ومنشورات، وفي سنة ١٩٩٥ تم إصدار أوّل كتاب تحت عنوان (نبي الإسلام (ص) وآل بيته (ع)) لسماحة الشيخ يذكر فيه أضواءً عن حياة النبي الأعظم محمد (ص) والمعصومين وسيرتهم الغراء (و بترجمة السيدة الكاتبة عايدة الرومي من الديانة المسيحية) والتي أسلمت لاحقا على أثر هذا الكتاب وأعلنت إسلامها في أوّل احتفال لنشر الكتاب ثم توالت التأليفات والترجمات حتى وصلت إلى حد هذا اللقاء إلى ما يقرب أربعون كتابا، منها نهج البلاغة ورسالة الحقوق وعقائد الإمامية للشيخ المظفر (قدس) وحقوق المرأة في الإسلام للشهيد المطهري (قدس) والمدرسة الإسلامية والإسلام يقود الحياة

إعلامي برازيلي: الجالية الإسلامية في البرازيل فعالة ونشطة جداً وهم يحترمون أعيادهم وأيامهم المقدسة ويمارسون شعائرهم الدينية في البرازيل بصورة دائمة..

واقتصادنا وفلسفتنا و غيرها من كتب الشهيد محمد باقر الصدر(قدس) وكتاب أخلاق النبي (ص) وآل بيته (ع) و الإسلام و حقوق الإسلام لسماحة العلامة الشيخ محمد باقر شريف القرشي (قدس) وغيرها من الكتب والمؤلفات القيمة والنافعة ومنها كتاب ثورة الإمام الحسين (ع) باللغة البرتغالية لسماحة الشيخ طالب الخزرجي.

والحمد لله الترجمة متواصلة لحد الآن حتى بلغت أكثر من مئة كتاب ومنشور و بهذا نستطيع أن نقول أن اكبر موسوعة إسلامية متنوعة لأتباع أهل البيت (ع) باللغة البرتغالية هي من إنتاج المركز الإسلامي في البرازيل وقد أصبحت مصدرا مهما للدارسين والباحثين و المهتمين بالرسالة الإسلامية، إضافة إلى تأسيس أوّل موقع إلكتروني لنشر الثقافة الإسلامية لأتباع أهل البيت (ع) و يعتبر من أهم المصادر البرازيلية للثقافة و العقائد الإسلامية الأصيلة حيث يحتوي على نصوص من القران الكريم والكثير من الكتب الدينية مثل نهج البلاغة و غيرها و التي تم ترجمتها و طباعتها بإمكانيات وجهود المركز الإسلامي في البرازيل.

وفي سنة ٢٠١١ تعاقد المركز الإسلامي في البرازيل التابع لاتباع أهل البيت (ع) مع مؤسسة نور للبرامج الحاسوبية المؤسسة الإسلامية الأوّلى لنشر الأقراص الليزرية، لإصدار الأقراص الخاصة بنشر المعارف الإسلامية باللغة البرتغالية وإلى يومنا هذا فإن نشر الثقافة والعلوم والعقائد الإسلامية لأهل البيت (ع) مستمر وبتطور و جهود مميزة و فعالة.

بعد هذه السنوات من الوجود في البرازيل كيف تصفون المجتمع البرازيلي بالنسبة للتعامل مع الجاليات الإسلامية خصوصا وأن البرازيل أكبر دولة في العالم تضم جاليات عربية و إسلامية؟

المجتمع البرازيلي خليط يضم قوميات متعددة و أتباع ديانات كثيرة يسودها الإحترام والألفة لذلك الجالية الإسلامية منذ وجودها و إلى يومنا هذا هدفها التعايش مع هذا المجتمع الخليط على أساس القواسم الإنسانية المشتركة والأخلاق والسيرة الحسنة وطيب المعاملة وعدم الاعتداء على حقوق الاخرين.

ما طبيعة علاقة الجالية الإسلامية بحوزة النجف الأشرف والمرجعية الدينية؟

الجالية الإسلامية الملتزمة من أتباع أهل البيت (ع) يرجعون إلى حوزة النجف الاشرف و يكنون لها الإحترام والتقدير والإعتزاز حيث تحتل المرجعية في قلوب أبناء الجالية الإسلامية في المهجر موقعا خاصا في عقولهم وأرواحهم وأفكارهم ومرتبطون معهم إرتباطا وثيقا وقويا حيث أنهم يتحدثون بهم ويسيرون وفق فتاواهم وتعاليمهم وآرائهم وبالأخص الأحداث المهمة التي تنتظر الجالية الإسلامية وبالأخص العراقية منها رأي المرجعية فيها فهم بذلك يقدرون هذا الموقع الحساس في زمن الغيبة.

هل استطاعت الجالية الإسلامية الحفاظ على هويتها الإسلامية من جهة والحفاظ على هويتها الوطنية من جهة أخرى؟

الجالية الإسلامية استطاعت إلى حد ما الحفاظ على هويتها الإسلامية والعربية على الرغم من عدم وجود الدعم من قبل المؤسسات الحكومية كالسفارات والقنصليات التابعة لدول الجالية الإسلامية وعدم وجود الإمكانيات الخاصة إلا أن الحاجة الماسة للهوية الإسلامية دعت الغيورين من أبناء الجالية إلى أيجاد أجواء إسلامية قدر الإمكان كمناسبة عقود الزواج و المناسبات المفرحة و المحزنة و جهد الآخرون (حفظهم الله) بتأسيس المدارس العربية والإسلامية للحفاظ على الهوية الإسلامية وتعليم القرآن والأخلاق والسيرة الحسنة مما ظهر على الواقع البرازيلي بشكل جلي.

هل للجاليات الإسلامية مطالب معينة من الجهات الحكومية في البرازيل؟

الجالية الإسلامية بحاجة إلى دعم من الحكومة البرازيلية و خصوصا أن الجالية الإسلامية تفتقر إلى المقابر الإسلامية حيث توجد مقبرة إسلامية واحدة و هي غير كافية و أنشئت بجهود خيرية من الجالية الإسلامية. تفتقر الجالية الإسلامية أيضا إلى دعم من الحكومة البرازيلية كالمساعدة في تقليل الضرائب عن المؤسسات الإسلامية الثقافية كون هذه المؤسسات تساهم و بشكل كبير و فعال في توجيه المجتمع للرقي و التسامح و التبادل الثقافي و المعرفي عن طريق إصدار الكتب الثقافية والمطبوعات و التي يتم توزيعها إلى المؤسسات و الجامعات و الدوائر البرازيلية و بشكل تبرعات وهبات هدفها نشر الوعي الثقافي بشكل عام و الإسلامي بشكل خاص و هذا بدوره يحتاج إلى إمكانيات كبيرة فتقليل الضرائب والدعم المعنوي والقانوني يسهم في إنجاح عمل الجالية الإسلامية وتؤدي إلى نتائج طيبة.

هل استطاعت الجالية رسم صورة مشرقة عن الإسلام لدى المواطنين البرازيليين؟

إلى حد ما استطاعت الجالية الإسلامية إبراز الإسلام كدين له كيانه و تعاليمه الربانية المميزة من خلال الاحتفالات والمعاملات التي يمتاز بها الإسلام و تبرز فيه شخصيته المميزة و هناك يوم رسمي يسمى بيوم الجالية الإسلامية حيث يلتقي المسلمون و البرازيليون معا للاحتفال بهذه المناسبة، إضافة لما نراه من رغبة البرازيليين للتعرف على هذا الدين الإسلامي العظيم و التشرف بالانتماء إليه لما يجدون في الإسلام السماحة والانفتاح والأخلاق وعدم العنصرية والتعصب واحترام الديانات الأخرى.

مجلة (نقطة) التقت بعدد من الاخوة المقيمين في البرازيل أولها كان مع (أسعد مطر الأسدي) (٤٦)سنة بكلوريوس إدارة أعمال وطنه الأصلي العراق ويعمل إداريا في مؤسسة سألناه:كيف هي علاقة الجالية الإسلامية بعضها ببعض وهل تتأثر هذه العلاقة بالتجاذبات السياسية أو المذهبية التي تحدث في بلدانهم الأم؟ فأجاب: يوجد شيء من هذا ولكن ليس واضحا على الساحة ولا يأخذ امتدادات واسعة و لا يصل إلى التقاطعات أو العداوات أو ماشابه ذلك.

مواطن برازيلي: المواطن المسلم المقيم في البرازيل يتمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بها المواطن البرازيلي..

اما المواطن محمد خليل رسول (٣٢سنة) مهندس كومبيوتر من جمهورية إيران الإسلامية وسألناه عن علاقتهم بالمواطنين البرازيليين..كيف هي؟ فقال: علاقتنا بالمواطنين البرازيليين جيدة والحمد لله فالمراكز الإسلامية مفتوحة لهم و علاقتنا طيبة معهم قائمة على أساس الاحترام المتبادل و تقديم ما يمكن تقديمه لهم.

ومن جمهورية إيران الإسلامية أيضاً كان لقاء مع المواطن مهدي خليل (٣٠) بكالوريوس كلية العلوم/ قسم الكيمياء ويعمل مشرفا في إحدى المؤسسات وسألناه عن ردة فعل المواطن البرازيلي عندما يعلم انك مواطن مسلم من الجاليات المقيمة؟ فقال: المواطن البرازيلي ليس لديه حساسية من الانتماءات أو القوميات باعتبار البرازيل بلدا متنوع الأجناس والأديان بل حتى في الأسرة الواحدة حينما يتشرف احد أبنائها بالإسلام ولا ينظرون إليه نظرة عدائية أو متعصبة بل العكس من ذلك حينما يجدونه مسلما ذا أخلاق طيبة وسيرة حسنة يحترمونه ويقدرونه.

أما من البرازيل فقد التقت مجلة نقطة المواطن دنيلسون دا سيلفا (٣١سنة) بكالوريوس في القانون موظف حكومي.

كيف يرى المواطن البرازيلي المواطن المسلم المقيم في بلده؟ المواطن البرازيلي لا يجد حرجا من ذلك لأن البلد فيه من الخيرات الكثيرة والمتنوعة بحيث يستوعب الجميع دون وجود حساسية من الآخر.

هل ترى أن البرازيل تمتاز عن باقي البلدان بالتعايش السلمي نتيجة الاندماج الاجتماعي؟ هذه من أحد الميزات الواضحة في المجتمع البرازيلي وما يجعله تفتخر به أنه بلد الحريات و القوميات و الأديان.

سيفينالدو اليشاندري ٣٢سنة (الثانوية العامة) قال: المواطن المسلم المقيم في البرازيل يتمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بها المواطن البرازيلي على حد سواء فله الحق أن يعبر عن عقائده و هويته و شعائره و مشاعره و إبداء رأيه بكل الأحداث التي تقع في البرازيل وخارجها.

ولاكمال الجولة التقينا بالإعلامي البرازيلي الدكتور هوني كورولو (٥٠)سنة وهو مسيحي الديانة ويعمل في عدة قنوات منها (قناة برس تيفي . قناة هيسبان تيفي . قناة سي ان تي وتبادلنا معه اطراف الحديث في موضوعنا عن الجاليات الإسلامية في البرازيل فسألناه: كيف تقرأ امتلاك البرازيل اكبر جالية إسلامية وعربية في العالم؟

الجالية العربية في البرازيل لها معالم تأريخية واضحة مع البرازيل حيث بدات الهجرة العربية في منتصف اكتشاف البرازيل ولها الاثر الكبير والواضح في تاريخ البرازيل حيث اسهم العرب في بناء وتطور البرازيل، وبما أنها تمركزت بولاية ساوباولو فاننا نجد الطابع الحضاري العربي موجود في كل المؤسسات والابنية.

هل استطاعت الجالية الإسلامية في البرازيل أن تبعد نفسها عما يدور في بلدانهم من مشاكل سياسية واجتماعية؟

المسلمون هم في اتصال مع اصولهم ونشأتهم فهم يعيشون المحن و المشاكل السياسية والاجتماعية التي تواجه عوائلهم و مجتمعاتهم في الخارج فهم على اتصال وتماس دائم مع الاوضاع التي تؤثر على بلادهم والمنطقة.

التقارب بين الديانات و الاقتراب نحو السلام الحقيقي هو واحد من القواسم المشتركة بين جميع الديانات السماوية فهل استطاعت الجاليات الإسلامية و غير الإسلامية تحقيق هذا المبدأ؟

الجالية الإسلامية والجاليات الاخرى استطاعوا إلى حد ما المساهمة بالتقارب مع أتباع الديانات عن طريق الاحترام المتبادل وتقبل الاخر بدون أي تعصب أو عنصرية وهذه الصفة الايجابية التي تتمتع به كل الجاليات والقوميات الموجودة في البرازيل بصورة سلمية، البرازيل هو بلد يحترم ويقدر كل الديانات وهذه الميزة التي يتمتع بها البرازيل جعلته محط انظار كل العالم للهجرة والعمل.

لكل دولة نظام فهل استطاعت الجاليات الإسلامية التأقلم مع قوانين دولة البرازيل؟

الجالية الإسلامية في البرازيل تحترم القوانين البرازيلية وتتعايش معها بصورة طبيعية كون القوانين السائدة هنا لاتختلف كثيرا عن قوانين باقي الدول والكل هنا متساوون أمام القانون البرازيلي ويجب عليهم احترام القانون طالما هو السائد على جميع الجاليات والمواطنين في البرازيل وبدون استثناء.

ما هي قراءتكم لنشاطات الجالية الإسلامية في إقامة شعائر الدين و الإرشاد و التثقيف؟

الجالية الإسلامية في البرازيل فعالة ونشطة جدا وهم يحترمون أعيادهم و أيامهم المقدسة و يمارسون شعائرهم الدينية في البرازيل بصورة دائمية كما لو أنهم في بلدانهم.

هل منحت الحكومة البرازيلية الحقوق الكاملة للجاليات الإسلامية خصوصاً و أن اغلبهم يحملون الجنسية البرازيلية و يعيشون كمواطنين برازيليين؟

كما أسلفت في جوابي السابق قبل قليل فان الجميع في البرازيل متساوون في الحقوق بدون أي عنصرية للعرق أو الاصل أو الديانة.

حوار مع المستبصر البرازيلي (علي) وعمره (٣٦) سنة وكان في السابق مسيحياً ويعمل تاجرا.. التقينا بعلي في مقر المركز الإسلامي لنتحدث عن رحلته في معرفة الحقيقة واعتناق الإسلام المحمدي الأصيل بداية الحوار كان سؤالنا عن كيفية تعرفه على الإسلام وهل كان للجالية الإسلامية دور في إرشادك؟

كان للجالية الإسلامية دورٍ في بحثي عن الإسلام لأنني كنت أعمل مع أحد اللبنانيين المسلمين وهذا كان سببا رئيسا في الاهتمام والبحث عن الإسلام.

هل استطاعت الجالية الإسلامية ان توفر لكم المكتبة الإسلامية اللازمة لمعرفة تفاصيل الدين الإسلامي؟

الجالية الإسلامية ليست فعالة جدا في مجال توفير الكتب أو المصادر اللازمة للبحث والتثقيف عن الإسلام ولكن كان لها دور بسيط جدا في معرفتي عن الإسلام من خلال الحوار والمناقشة حول الإسلام إلا أن المركز الإسلامي في البرازيل كان له دور رئيس وكبير في معرفتي عن الإسلام وقد زودني بالكتب الإسلامية التي كان يطبعها كما ان المحاضرات التي كانت تقام للبرازيليين ممن لديهم اهتمام وبحث وكنت مواظبا عليها في كل يوم سبت.

هل هيأة الجالية لك فرصة لأداء مراسيم الحج والزيارة؟

ليس للجالية دور في أداء مراسيم الحج وزيارات العتبات والمراقد المقدسة وكان كله بجهودي و همتي الشخصية و بمساعدة المركز الإسلامي في البرازيل كان لي الشرف في أداء مراسم الحج وزيارة جميع العتبات المقدسة في سنة ٢٠١٠ مع فضيلة الشيخ طالب حسين الخزرجي الأمين العام للمركز الإسلامي في البرازيل ولقد رافقته في زيارة للمدينة ومكة المكرمة وجميع الأماكن التاريخية في هاتين المدينتين ومن ثم سافرنا إلى سوريا وتشرفنا بزيارة مقام السيدة زينب (ع) في دمشق والسيدة رقية (ع) وبقية الأماكن الأثرية والتاريخية والإسلامية ومن بعدها سافرنا إلى النجف الأشرف، كانت سفره تاريخية لأني وصلت إلى هذه المدينة الشريفة في ليلة عيد الغدير وقد فوجئت بالمراسيم والولاء لشيعة العراق لهذا الإمام. ومن بعدها زرنا المراقد المقدسة في بغداد و سامراء وكربلاء. بعدها سافرنا إلى إيران لزيارة الإمام الرضا (ع) والسيدة معصومة (ع) ومراقد أبناء الأئمة، ومن ثم رجعنا إلى البرازيل وتعتبر هذه السفرة سفرة تاريخية لي لأني أولا أديت مناسك الحج الواجبة وزرت بنفس الوقت مراقد جميع الأئمة (ع) وشاركت هذه السنة (٢٠١٢) في مراسيم زيارة الأربعين للامام الحسين(ع).

من ظلال الخيمة الفاطمية

رائدة الكلمة والكلام

خضير الوائلي

فاطمة الزهراء (ع) هي أوّل كاتبة في الإسلام وأول رائدة في الكلمة والكلام، تتكلم في قمة الفصاحة والإلهام، بمنتهى الروعة والتعبير الجميل والمنطق الأصيل ذات الحكمة والبيان، في غاية الخشوع والإيمان، وهي الرائدة في الخطابة والأدب السماوي وعلومها التي ورثتها من أهل علوم النبوة واكتسبتها من منازل وحي (الرسالة) واستقتها من منابع علوم الرسالة. وإذا أردنا الدخول في أروقة الرحاب الفاطمية الباهرة نقف قليلا نتأمل جانبا من خطبتها الموقرة الشريفة كي نستقي من لدنها روائع الخطابة والإلقاء ونقتطف هذه الرائعة من كلامها الشريف وكل كلامها رائع وشريف ونستمع خاشعين (الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، الممتنع عن الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته..).

ونحن نقرأ هذه الكلمات الشريفة التي جرت على لسان سيدة الخلق والتي تتفجر نورا وإيمانا من كل نواحيها لأنها مستمدة من الرافد الأصيل النابع من رياض الجنة وخمائل الإيمان والتي أصبحت أنموذجا حضاريا وتراثا فاطميا خالدا وقد تناولتها الأجيال جيلا بعد جيل بما فيها من حكم وروائع ودرر في الخطابة والكلام حتى أولدت لدى السامع أو القارئ أن يخيل إليه أنها كلمات وحي مستوحى لأنها تشد ذهن القارئ وتستحوذ على مشاعره من حيث غرر الحكمة ودرر الكلمة وقوة البيان وفصاحة السان.

وهذا جانب آخر من خطبتها الارتجالية التي ألقتها على مسامع الملأ من مظلوميتها فحسب وإنما أعلنت رفضها القاطع لكل أشكال الظلم والتسلط والانحراف عن نهج الرسالة السماوية وهذه الكلمات لا تخلو من التحذير والوعيد ومن قولها (ع): (فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل..) وخاطبتهم بصوت الألم، بنبرات اللوعة والإهتضام من قلب مفجوع حزين وقد أخرست القوم وهم مهطعو رؤوسهم إلى الأرض أذلة خاسئين عندما وبختهم بقوة وأظهرت ما في صدرها من لوعة واهتظام من قلبها المفجوع الحزين مما جعلتهم ينفجرون بالبكاء والنحيب لأنها أسمعتهم وذكرتهم بكلام ونبرات صوت رسول الله (ص) وبكلام غير مسبوق ولا مثله منطوق، كشفت به اللثام عن وجوه اللئام، أهل الفتن والشقاق، والكذب والنفاق، وقد صكت لها الأسماع وهزت القلوب بالإجماع واشرأبت لها الأعناق وأبكت بالزفرات الأحداق، وأطرقت للأرض هامات النفاق، سحقت رأس الفتنة والشقاق، وصخب الجميع لها بالحماس والهتاف، بالحق والاعتراف حيث قالت: أبشروا بسيف صارم وسطوه معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيأكم زهيداً وجمعكم حصيداً" وكما نرى الآن أين العمالقة وأبناء العمالقة والطغاة الجلادون الذين سحقوا الأبرياء والفقراء بعجلات القهر وسياط الذل والهوان أين حرابهم وأين قعقعة سلاحهم وأين فرعنتهم، لقد ذهبوا إلى حيث عاثوا على ظهرها الظلم والفساد فرمتهم الأرض بسهام الفناء ونبال الموت فمزقتهم شر ممزق ونبذتهم فلم تبقِ لهم باقية وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر لم يكن في الحسبان.

عذراً سيدتي: إن قصر بياني وكلّ لساني وسامحيني من حيث التقصير وإخفاقي في فقه التعبير، وذلك لقلة معرفتي، وأنا من أكون حتى أتكلم عن سماحتك، ليتني أدبت نفسي كي أجيد أدب وآداب الكلام في حضرة القديسة السماوية والملكة النبوية، صاحبة الجلالة فارسة الأدب والمنطق، ولأنك أعظم مما كتبه عنك البلغاء والعباقرة والفقهاء، وماذا يكون في حضرتك الكلام وأنت أم الكلام، وماذا يكون في حضرتك المدح وأنت بنت سيد الأنام وزعيمة الإسلام ووارثة النبوة وصاحبة الرسالة الخاتمة.

تألق في مدح البتول ففي مديحها تهتف الألواح والزبر
وليت الله بها يرفع القضاء أو ينزل القدر

الحاسبات، النت، الألعاب

في فقه مراجعنا العظام

تعتبر تقنية الاتصال (الأنترنت) من التقنيات الحديثة التي انتشرت بكثرة بعد زوال النظام المباد في العراق؛ حتى أصبحت اليوم في العديد من المنازل بعدما كانت مقتصرة قبل بضع سنين على المقاهي والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية لما فيها من فائدة في سهولة التعرف على المعلومة ومتعة استعمال هذه التقنية في التواصل مع العالم بسرعة وبساطة وجودة ومع استعمال هذه التقنية ابتلي المؤمنون بعدة ابتلاءات.. مجلة نقطة تعرض على الإخوة القراء بعض هذه الابتلاءات وأجوبة مراجعنا العظام (أدام الله ظلهم الوارف).

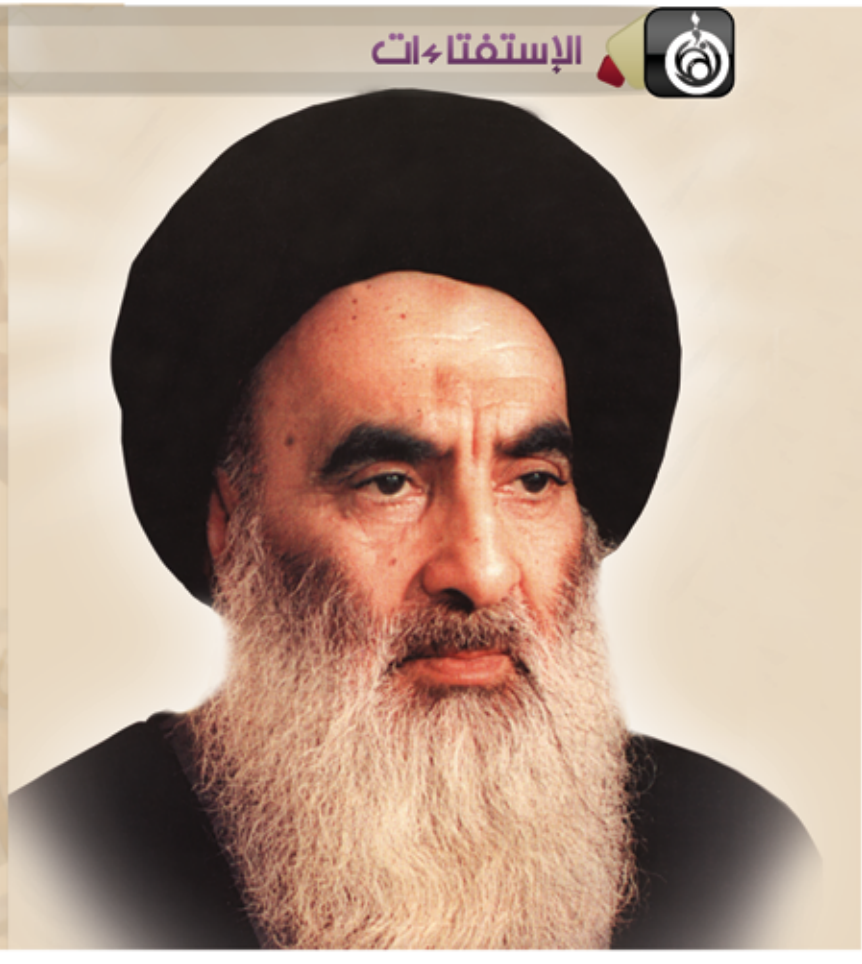

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السؤال: يُشاع اليوم الزواج عن طريق الانترنت سواء كان دائمي أو منقطع فما صحة هكذا زواج من ناحية الشريعة الإسلامية؟

الجواب: لا يصح بالكتابة على الاحوط ويصح بالعقد اللفظي ولكن لابد من تعرف كل من الزوجين على الآخر لمعرفة تواجد الشروط.

السؤال: هل يجوز أن تضع المرأة صورة لعينها في الأنترنت، مع العلم بأنه هناك الكثير ممن سيرى هذه الصورة يعرف هذا المرأة؟

الجواب: لا يجوز إن كانت بدون حجاب ولا يجوز إذا كانت مثيرة أو موجبة للفساد.

السؤال: ما حكم المشاركة بالمنتديات؟

الجواب: يجوز في حد ذاته وربما يعرض ما يوجب حرمته كما هو الحال في كل محادثة.

السؤال: فتاة اكلمها في المسنجر (برنامج للمحادثة عن طريق الانترنت) هل يحّل لي الكلام معها مادام محترم وبعيد عن كلمات الحب والغزل... هل يجوز لي التحدث معها؟

الجواب:لا يجوز مع خوف الوقوع في الحرام.

السؤال: هل يجوز المحادثة الكتابية عن طريق الأنترنت (الدردشة) مع الولد أو البنت في الأمور الدينية أو النصح الاجتماعي أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الثقة بعدم الوقوع في المحرم؟

الجواب: لايجوز مع خوف الوقوع في الحرام ولو بالانجرار اليه شيئاً فشيئاً قال تعالى: (بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِه بَصِيرَةٌ).

السؤال: ما رأيكم في تكوين علاقات أو صداقات أو حُب بين المرأة والرجل عبر الأنترنت؟

الجواب:لايجوز.

السؤال: ما حكم تبادل الرسائل الالكترونية بين الجنس الآخر بشكل مباشر؟

الجواب:لا يجوز مع خوف الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه.

السؤال: هل يجوز للشاب مشاهدة الأفلام الاباحية في الإنترنت أو الفيديو بدون قصد (الشهوة والإنزال)؟

الجواب: لا يجوز مع الشهوة بل بدونها على الأحوط وجوباً.

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله)

السؤال: ما حكم العاب فيديو يكون اللاعب يتحكم بشخصية مثل (مشعوذ) أو (كاهن) وما شابه ذلك، ويلعب فيها الشخص مع آخرين عن طريق الانترنيت، وتتضمن اللعبة أشياء خيالية وفيها أشياء كفر أو شركية.. مع العلم أن من يلعبها لا يتأثر بما تتضمنه من كفر أو ما شابه ما حكم اللعب في مثل هذه الألعاب؟

الجواب: باسمه سبحانه: لا يجوز ذلك لأنه ترويج للكفر أو الشرك. والله العالم.

السؤال: هل يجوز اللعب بالألعاب في الأجهزة النقالة (الموبايل) مع العلم أن هنالك العاب محرمة كـ(البليارد، والشطرنج.. وغيرها) فهل هي أيضاً محرمة في أجهزة الموبايل أم لا، مع العلم أن اللعب بأجهزة الموبايل بدون رهان؟

الجواب: باسمه سبحانه: اعلم أن كل لعب يتدخل فيه عنصر الحظ والنصيب والمفاجأة يجب أن يتجنب عنه سواء برهان أو بدون رهان أمّا التي تخضع إلى الفكر ورياضية فلا مانع بها برهان أو بدون رهان. والله العالم.

السؤال: ما حكم لعب النرد والشطرنج في الحاسوب فقط، وبدون رهان ولأجل التسلية فقط، أفتونا مأجورين؟

الجواب: باسمه سبحانه: لا يجوز. والله العالم.

السؤال: الأجهزة الحديثة (الكومبيوتر) فيه ألعاب مسلية كثيرة فهل يجوز اللعب بها كلعبة القمار أو البليارد أو غيرها وإذا كانت سبباً في تأخير أداء الصلاة بوقتها الأفضل، فما هو رأيكم في ذلك؟

الجواب: يحرم اللعب بالقمار مجاناً أو بالعوض وأما البليارد والأتاري فإن كان اللعب مجانا فلا بأس وإن كان بعوض فهو محرم. وأما الالتهاء بأي عمل غير ضروري يؤدي إلى تأخير الصلاة في أول وقتها أو مما لا ينبغي أن يفعله المسلم، فعن المعصومين (ع): (لا تقدم على صلاتك شيئاً والاستهانة بها بمنزلة الكفر). والله العالم

السؤال: أحد المؤمنين لديه محل لبيع الأقراص الليزرية منها الحسينية والقرآن والأفلام التي تحمل قصصاً اجتماعية مباحة ولكن توجد هنالك لقطات تتخلل الفلم غير لائقة بالنسبة للعوائل المحافظة أو مقاطع الموسيقى أو أغاني والمسرحيات الكوميدية فهل يجوز بيعها؟

الجواب: باسمه سبحانه: إذا كانت تلك اللقطات تسبب نشر الفساد فالواجب الاجتناب. والله العالم.

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)

السؤال: ما حكم التدليل التبرعي هل يجوز؟ أو لا؟ وهو أن يقوم المكلف بتتبُّع المخرِّبين على أنواعهم فيعرض عناوينهم، ومعلومات عنهم في صفحة خاصة بذلك، مع مراعاة الضوابط الشرعية في الرصد، وفي الإعلان، مثل الإعلان عن معلومات كمبيوترية من خلالها يخشى المخرب من معاودة فعله ضد المؤمنين أو غيره، ويكون ذلك الإعلان في صفحة خاصة لذلك، فما هو الحكم الشرعي في ذلك؟ مع أن بعض المواقع الأجنبية قد بدأت في محاولة ذلك، فهل يجوز للمكلف ذلك؟ وما هو الضابط الشرعي في صحة ذلك أو عدم صحته؟

الجواب: إذا كان المخرّبون في مقام الإضرار بالمؤمنين جاز الإعلان عنهم من أجل التحصُّن من شرهم، أو من أجل إنكار المنكر عليهم، وأما إذا لم يكونوا كذلك فلا يجوز الإعلان عنهم مع إيمانهم إذا كان فيه توهين لهم، أو سبباً للإضرار بهم.

السؤال: ما هو الضابط الشرعي في حماية المؤمنين وصفحاتهم على شبكة الإنترنت؟ فمثلاً هل يجب عليَّ إذا علمت بأن أحد المؤمنين يتعرض لكشف المعلومات شخصية كانت أو غيرها من قبل أعداء مذهب أهل البيت (ع)، أو يتعرض لعرض أموره الخاصة، فما هو الضابط الشرعي لذلك؟ هل يجب عليَّ إخباره بذلك أو لا؟ مع علمي اليقيني بذلك؟ وكذلك هل يجب عليَّ إخبار الصفحات التي للمؤمنين بأن أحد المغرضين يضع (لنكا) لتخريب الصفحة بأكملها، وسرقة معلومات المشتركين فيها؟ ما هو الضابط الشرعي لذلك؟ سواء كان الأمر شخصياً، أو كان الأمر يرتبط بهيبة مذهب الحق، ونظائر ذلك؟

الجواب: لا ريب في رجحان ذلك شرعاً بوجه مؤكد، لما تضمَّنته جملة من النصوص من أن المؤمن أخو المؤمن، عينه ومرآته ودليله، وأن من جملة حقوقه عليه أن ينصح له إذا غاب (راجع: وسائل الشيعة ج: ٨، ص: ٥٤٢) . إلا أن بلوغ ذلك حدّ الوجوب إشكال، نعم، مع أهمية الضرر اللازم فقد يجب تنبيهه ليحذر منه، بل لا ينبغي التهاون بأداء الحق المذكور مع تيسره مطلقاً، قياماً بمقتضى أخوة الإيمان.

وإذا رجع عدم القيام بذلك للتهاون بأمر المؤمن وعدم الاهتمام به حرم، لما تضمنته النصوص من وجوب الاهتمام بأمور المسلمين، وأن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم (راجع: وسائل الشيعة ج: ١١، ص: ٥٥٩).

ويتأكد ذلك فيما إذا كان الأمر مرتبطاً بالمذهب الحق، بنحو يرجع إلى الدفاع عنه من ضرر معتدّ يحيق به، ويوقعه بالأعداء.

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ إسحاق الفياض (دام ظله)

السؤال: السلام عليكم.. انتشرت في العراق خدمة الأنترنت اللاسلكي حيث توجد مكاتب لديها أجهزة تستلم إشارة الانترنت من الأقمار الاصطناعية وتقوم بتوزيعها على المشتركين علماً أنه يحتوي كافة المواقع العلمية والدينية والمواقع الخليعة والأغاني.. وغيرها فهل يعتبر الأنترنت من الآلات المشتركة ويكون التكليف خاص بالمستخدم إن استخدمه في الحرام فهو حرام، وإن استخدمه في الحلال فهو حلال، أم أنه محرم أصلاً علماً أن للانترنت فوائد لا يستهان بها وهل يجوز أن أفتح مكتباً لتوزيع الانترنت أرجو الإجابة بالتفصيل فإننا بأمس الحاجة إلى الشرح المفصل ولكم منا خالص الدعاء؟

الجواب: باسمه تعالى. لا مانع من فتح مكتب لتوزيع الانترنت، نعم يشترط على المستخدم استعماله في الأمور المحللة، ولا يجوز له الدخول على المواقع المحرمة شرعاً. والله العالم.

السؤال: هل يجوز أن يهدي الشاب إلى الشابة وردة أو زهرة أو قلب في المنتدى أو في الرسالة البريدية أو الماسنجر؟

الجواب: باسمه تعالى، إن مثل هذه الهدية تسبب المودة والمحبة بينهما وهي تؤدي الى الفتنة والفساد فلهذا ينبغي اجتنابها. والله العالم.

السؤال: نظام تقديم خدمة الأنترنت عبر الهاتف الأرضي يتم عن طريق شراء بطاقات تحتوي على عدد ساعات معينه مثلاً (١٠) ساعات أو أكثر من الشركة (س) وقد وصل إلى سمعي وجود طريقه لتطويل عدد ساعات بطاقة الانترنت مثلاً بطاقة (١٠) ساعة يمكن تطويل وقت عملها إلى (٥٠ أو ٦٠) ساعة ولكن بالنهاية البطاقة ينتهي مفعولها فهل يجوز استعمال هذه الطريقة وإذا كان لا يجوز فهل يجوز تعليمها لمن يريد تعلم هذه الطريقة ممن لا يعتقد بعدم جوازها هذا وجزأكم الله خير الجزاء.

الجواب: باسمه تعالى. إذا صح ما في السؤال فلا يجوز استعمال هذه الطريقة ولا تعليمها لأنها تعليم لكيفية السرقة من حقوق الآخرين، والله العالم.

صور من الحياة العراقية

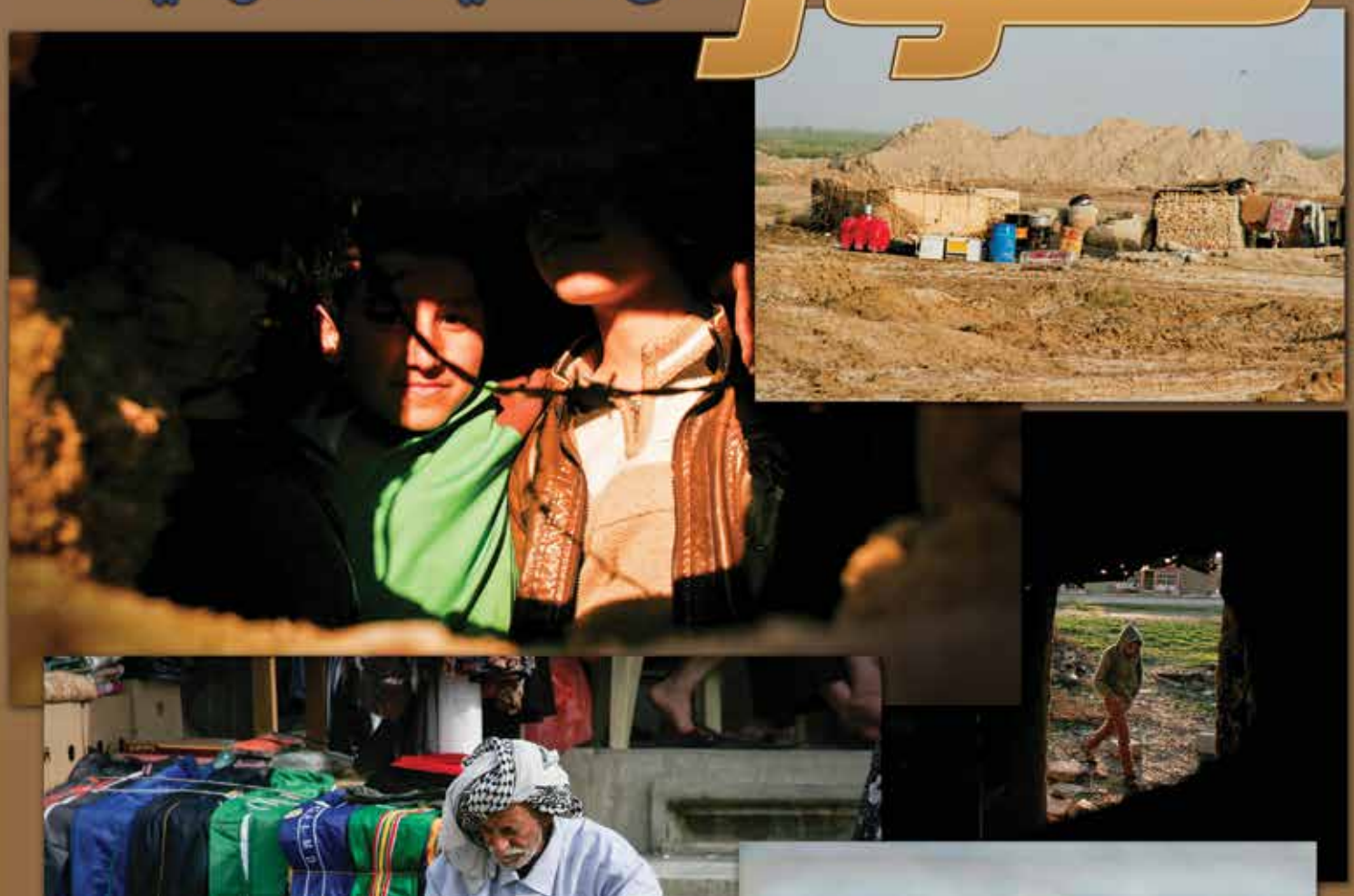

بعدسة: جابر الحلو

ملف العدد

الحوزة العلمية

عطاء لا ينضب

نقطة حذر

تطل علينا بين الحين والآخر العديد من حركات الظلال، لتنال استعطاف البسطاء في هذا الموقف أو ذاك، وأخرى تحاول بعد أن أعلنت إفلاسها أنها موجودة كحركة دينية، وأعني بذلك مَن تدعي الاتصال المباشر بالإمام المنتظر (عج)، فمعلوم أنها بعد أن ثبت فراغها العلمي؛ فلم تعد قادرة على تقنين مما تدعيه سوى بعض الأحلام التي يراها (سين وجيم!؟)، أو تحميل بعض النصوص الشرعية ما لا تحتمله من تكهناتهم بغية تمشية سياساتهم على قليلي الوعي، مستغلة بذلك الحُب العميق لدى المؤمنين للإمام المنتظر (عج)، لتهلك الكثيرين.. وفي هذا الصدد نجد أن سماحة المرجع الديني الكبير السيد علي السيستاني (دام ظله) قد التفت لذلك بقوله: (كم من صاحب هوى مبتدع تلبس بلباس أهل العلم والدين ونسب نفسه إليه (ع)، مستغلاً طيبة نفوس الناس وحُسن ظنهم بأهل العلم وشدة تعلقهم بأهل بيت الهدى (ع) وانتظارهم لأمرهم، فاستمال بذلك فريقاً من الناس وصلةً به إلى بعض الغايات الباطلة، ثم انكشف زيف دعواه وقد هلك وأهلك الكثيرين)..

ومن المؤسف في هذا المضمار نجد أن بعض وسائل الإعلام المغرضة والمرتبطة بأجندات خارجية تطبل بقوة لهذا المدعي أو ذاك النكرة، ذلك للسعي لتضخيم هذه الفقاعات. ولا يسعنا في هذه العجالة أن نتنزل لواقع هذه الوسائل المنحطة في كل محتوياتها، بقدر ما يمكننا أن نصفها بـ(النفخ في قراب مثقوبة)؛ لأن أبناء العراق وفي مقدمتهم عشائره الغيورة متصلة اتصالاً عميقاً وكبيراً وعظيماً بالنجف الأشرف وبمراجعها (دام ظلهم) ولن تتمكن أي قوة في الدنيا أن تخرم هذه الآصرة، لأنها ملتزمة بما أوصى به الإمام المنتظر (عج) التزاماً شديداً: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم)، ومعلوم أيضاً أن النجف الأشرف قد قالت كلمتها بقوة وبإجماع مراجعها العظام، بحرمة إتباع مَن يدعي الاتصال بالإمام المنتظر (عج)، فسماحة المرجع الديني الكبير الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله) يشير إلى هذا التفصيل بقوله: (يجب أن نعلم أن الحجة المنتظر (عليه السلام)، أرواحنا لمقدمه الفداء، قد بيّن على لسان نوابه. خصوصاً الرابع أبي الحسن علي بن محمد السمري. ومن لسان الأئمة الطاهرين خصوصياته ومشخصاته، وكذلك حددت على ألسنتهم الآيات والعلائم الحتمية التي يعقبها ظهوره وخروجه من حجاب الغيبة، ولم يتحقق شيء منها إلى الآن، وقد انقطعت السفارة الخاصة والمباشرة بينه (ع) وبين الشيعة، بموت السفير الرابع، فكل من يدعي السفارة فهو كذاب مفتر على لسانه(ع))، وهكذا أشار سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم بقوله: (مدعي رؤية الإمام الحجة.. وأخذ المعلومات عنه لإيصالها إلى الناس مجترئ على الله وعلى رسوله وأوليائه ورادٌ لما أعلنه (ع) في توقيعه الذي رواه أصحابنا في كتبهم واعتمدوا عليه وأذعنوا له)، وهكذا سماحة المرجع الديني الكبير الشيخ الفياض بقوله: (من ادعى السفارة والنيابة الخاصة فيها فهو مفتر كذاب وعلى الناس أن يكذبوه، وكذا ينبغي عليهم تكذيب من يدعي انّه اليماني أو الخراساني أو صاحب النفس الزكية، فإنّ تلك الشخصيات المباركة لا تظهر إلاّ بعد الصيحة، ومنه يظهر بطلان دعوى مقام الإمامة وأنه الإمام (ع)؛ ضرورة أن الإمام (ع) لا يظهر إلا بعد الصيحة والخسف في البيداء وخروج اليماني والسفياني والخراساني وقتل النفس الزكية بين الركن والمقام)، ومع هذا يمكننا أن نفلسف أي مورد قد يشكك في هذه الحقيقة، وإلا لو اتبعنا كُل مَن يدعي ذلك؛ لصار ديننا ـ والعياذ بالله ـ العوبة بيد كُل مَن هَب ودب، فعلينا وكُلنا مسؤولون أن نركز على التواصل مع النجف الأشرف، فهي ميدان العلم والعلماء والفقهاء والفضلاء، لا تلك الجحور المظلمة، ومن ثم لابد أن نعي أهمية وخطورة هكذا عقائد، فعليكم بباب مدينة علم رسول الله (ص)، فمعها صلاح ديننا ودنيانا، وبهذا نقدم دعوتنا لوسائل الإعلام المتزنة والملتزمة أخذ دورها ومكانتها وترك التحفظ تجاه أمثال هكذا حركات هدامة في الوطن والدين.

ومن هنا نضع بين يدي قارئنا الكريم ملفاً خاصاً في عددنا هذا عن لمحات ومقتطفات عن حوزة النجف الأشرف، ليكتشف فيوضها، ومواطن أصالتها..

كلمة الملف

كلنا سمع بالحوزة العلمية..
ولكن ليس كلنا يفهم معناها اللغوي والواقعي..

لهذا نحتاج الى ملفات كثيرة للتعريف بهذا الصرح المتواضع، غزير الانتاج.

الحوزة من الحيازة، فحوزة العلم هي مكان حيازة العلم.

والحوزة في الاصطلاح الدراسي هي مجموعة الدراسات والمدرسين والطلاب ومدارسهم فهي الجامعة الدينية للدراسات الاسلامية، وهي في عرفنا مرتبطة بالمرجعية الدينية مباشرة لأن المرجعية هي الراعية والمغذية العلمية الحقيقية للحوزة، ولان كل ما في الحوزة جند للمبدأ الذي تحرسه المرجعية المباركة.

تصور الحوزة في الذهن

حين يجنح بك الخيال لتشكل في ذهنك صورة الدراسات في زمن الامامين الباقرين الصادقين صلوات الله عليهما، في أواخر العصر الاموي وأوائل العصر العباسي، فتتصور ذلك المجلس الذي يجلس فيه الأستاذ متوسطاً طلابه في حلقة (واذا زادوا ففي صفوف متعددة)، وهو يلقي عليهم موضوعاً محدداً يقلب فيه الوجوه والاراء ويستقبل فيه التساؤل أو الاعتراض، بروح علمية ونقاء مفكر يقلّب الأمور بأوجه يتخيلها العقل السليم مما له القابلية لتعدد الوجوه. فهذه الصورة هي الصورة الأساس لطريقة الدراسة في الحوزة، فهي صورة موروثة من زمن الأئمة الاطهار الى يومنا هذا بدون تغيير تقريباً، وهذا ما يمنح الحوزة عبقها الخاص المرتبط بالتاريخ وبالاصالة مع ابتعاد الواقع عن هذه الاصالة والثراء المعنوي والفكري الذي تختزنه الصورة الذهنية عن طريقة الدراسات القديمة.

رجل الدين في الحوزة ملتزم المظهر حر الفكر والتفكير..

قد يقول قائل لماذا هذا الإلتزام بهذه الطريقة مع ان الدراسات الاوربية تجاوزتها منذ ستمائة عام تقريباً وقلدتها الدراسات الحديثة في الدول الاسلامية؟

والجواب:

١- إن من نعم الله على الانسان أن لا يترك عبق التاريخ ولا يبرح في التمسك بما تمسك به السابقون من إلتزام مظهري يغذي الداخل الروحي بتلك الصلة الخفية التي تربط الطالب والمدرس بتاريخه المتصل بائمته الطاهرين بما كانوا يقومون به من تعليم وفتح مواضيع وتبيان المغلقات مع ذلك المظهر الهادئ البسيط المتمثل بملبس بسيط ومكان بسيط ودراسات لا قيود فيها الا العرف الراقي المتكون مع الزمن.

٢- إن متطلبات الدراسات العقلية والنصية لا تحتاج الى اكثر من الكلمات والوعي والتخيل، فأن عمدة دراستنا هي النص والخيال المبدع للمسائل العقلية الدقيقة، والخيال العلمي الواعي لا يحتاج الى تطوّر في الأدوات والجلسات والكيفيات. فلن يؤثر اي شيء على طالب علم يغوص في المعقول المنقول، غير الكتاب وسماع الاستاذ. واكبر دليل على هذا هو الابداع الفعلي المستمر في عوالم التشريع والفلسفة والأخلاق والقانون التي تدرّس مع مقدماتها الآلية والابتدائية في الحوزة العلمية.

٣- إن هذا المسلك لا يحتاج الى الكثير من الأموال، وهو أمر مهم لأن الحوزة العلمية أخذت على عاتقها ما أخذته المرجعية المباركة من الاستقلال المالي والاداري والزهد والاقلال في زمن التفاخر بالاموال المزيفة والاعتماد على المال السياسي والدعم الخارجي. إن هذه الطريقة هي الرسالة الحقيقية للجميع بأن الحوزة لا يمكن إلا أن تكون مستقلة تماماً، ولا يوجد فيها ما يستحق التفاخر في البناء والمال، إنما التفاخر في العلم والمنتج العقلي وفي الكتاب. ولهذا فأن الشيء الوحيد الذي تهتم به الحوزة وتشجعه ولو بمساع شخصية فردية هو بناء المكتبات وتنوّع الكتب التي تمكّن الدارسين من تنوّع دراساتهم.

٤- إن نظام الحوزة مبني على حرية الطالب في اختيار العلم والمرحلة والأستاذ، وانما يعرف المحصّل من غيره بالسبر وبشهادة الاستاذ من المشاركة العملية في الحوار والمناقشة الواعية البناءة الكاشفة عن استيعاب العلوم تماماً بدون اشتباهات وانزلاقات.

إذن فإن الالتزام هو جزء من تمرين روحي يربطنا بتراثنا القديم ربطاً مباشراً، وهو يعبّر عن الاستقلال والاكتفاء والزهد في بهارج الدنيا، وليكون العمل الصالح والعلم النافع هو الهدف الحقيقي الفعلي. كما أن هذا المسلك يسهم في إرساء حرية الفكر والتدبر بعقل مفتوح لا حدود له إلا حدود المنطق والعقل والفطرة وحدود الشرع الشريف. فلهذا لا يوجد في الدنيا جامعة انتجت شعراء بقدر ما انتجته حوزة النجف الأشرف التي هي امتداد لمدرستي بغداد والكوفة الشيعيتين، ولا يوجد جامعة في الدنيا انتجت كتباً في القديم بحجم ما انتجته النجف الأشرف مع ضيق ذات اليد والبعد عن الدنيا بخلاف جامعات العالم المدعومة من المؤسسات الحكومية والدينية والاهلية. ولا يوجد في الدنيا جامعة انتجت نظريات عميقة ومتناسقة بقدر ما انتجته الحوزة الشيعية.

الحديث عن انجازات حوزة النجف الأشرف العلمية والفقهية بالذات يفوق الخيال، ولا نبالغ اذا قلنا بأن النجف الأشرف توازي أرقى الدراسات القانونية والفلسفية في العالم، وهي الداعم الحقيقي للتطور الانساني والمعرفي، وليس هناك حلول لمشاكل المعرفة ولمشاكل القانون أقوى من الحلول في حوزة النجف. وهذا بفضل ساكنها وإفاضة روحه الطاهرة ونوره الذي يشع في أركان هذه المدينة المباركة حيث أنه الملهم والمسدد لساكني بقعته الشريفة. فألف تحية وسلام على مولانا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين يوم القيامة.

هيأة التحرير

لقاء

آخر ما اوصى به

العلامة الشيخ باقر شريف القرشي(قدس)

طلبة الحوزة العلمية

حاوره: نصير الحسناوي

تنقل بطون كتب الحديث والتأريخ أن أئمة أهل البيت أسسوا(ع) لقاعدة من الثقاة من أصحابهم وأتباعهم لنقل روايتهم إلى شيعتهم بنحو خاص وللعالم الإسلامي بنحو أعم، ذلك لتفقيه الأمة عن طريق إقامة حلقات من الدرس والتدريس لحفظها وربما كانت اللبنة الأوّلى للمؤسسة العلمية كالتي نعيشها اليوم باسم (الحوزة العلمية)، والتي هي امتداد فكري وأخلاقي لفكر وأخلاق أئمة أهل البيت (ع) وقبيل رحيل المفكر الإسلامي والمؤرخ البارز المعاصر سماحة العلامة الشيخ باقر شريف القرشي (قدس) شيخ المؤرخين كان لمجلتنا حوار خصص للحديث عن هذه المؤسسة لبيان العديد من القضايا التي جعلتها تصمد أمام كل المؤامرات التي حيكت على المذهب ولبيان نظرته لمستقبل الحوزة العلمية في النجف الأشرف ووصاياه لطلبة العلم وإيضاح أهم معالمها.

المرجعية بين الأمس واليوم تتبنى مصلحة الناس باختلاف ميولهم وديانتهم

حبذا لو يطلعنا الشيخ القرشي على المسار التاريخي للمرجعية الدينية ويحدثنا عن علمائها الأعلام، وهل انطلاق المرجعية من المدرسة الجعفرية والباقرية أم أنها قد انطلقت من وصية الإمام الحجة (عج) كما ورد في حديث رواة حديثنا من خلال وصيته الأخيرة؟

المرجعية الشيعية لم تكن وليدة عصر، وإنما كانت منذ أيام الإمام الصادق (ع)، حيث أوعز إلى الفقهاء من أصحابه، يقول لهم: أفتوا الناس فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلكم ولما صارت الغيبة الصغرى للإمام (ع) عهد إلى الشيعة بمراجعة الفقهاء قائلاً: (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، متبعاً لأمر مولاه فعلى العوام أن يرجعوا إليه ويقلدوه).

ما هي معالم وسمات المرجعية، المعروفة بكيانها الكبير ومقاماتها العالية، بعد وصية الإمام الحجة (عج)؟

على هذا السمت، منذ وضعها الأوّل وحتى يوم الناس هذا.

امتاز الفكر الموالي لأهل البيت (ع)، - لأجل ديمومة خطهم وتفعيله - بفتح باب الاجتهاد وهذا ما يميزه عن باقي مذاهب المسلمين، ذلك في إطاري الخط الثابت والمتغير وغيرها من الأطر.. من هنا هل نستطيع القول: إنها فاتحة وبادرة جديدة لديمومة الإسلام وتطلعه إلى عوالم وآفاق جديدة.

الأحداث التي وقعت وسوف تقع والتي لم تكن موجودة في العصور السابقة والتي منها زراعة الأعضاء وصعود الإنسان إلى الفضاء الخارجي.. وغير ذلك هي من الأمور التي حدثت لم يكن لها في الفقه الإسلامي ملجأ ولا ركن يَأْوُونَ إليه سوى مذهب أهل البيت (ع)، فمذهب أهل البيت فتح باب الاجتهاد وعالج جميع الأحداث التي تحدث على ضوء الاجتهاد في أصوله العملية إن أعوز النص.

تعرض مراجعنا العظام وعلماؤنا لألسنة شرسة من التاريخ الأعوج وفي مقدمتها غزو المغول والتتار إلى بغداد حينما تعرضت مكتباتهم إلى التدمير، هنا يتذرع البعض أو يحاول أن يصف علماءَنا أنهم قد ارتبطوا بهذه الهجمة، ما هو رد سماحتكم على ذلك وتحديدا شخصيات بارعة.؟

لم تكن السياسة العباسية سياسة رشيدة وإنما كانت سياسة حمقاء اتجهت منذ أن ولدت حتى انقراضها إلى الفساد ونهب الثروات..

فآل العباس الفئة الآثمة التي مرقت عن الإسلام، ومدينة بغداد.. وغيرها من المدن الإسلامية خضعت لحكمهم زهاء (٥٥٠) عاماً لم نجد هناك أثراً لهذه الدولة وإنما كانت آثارهم كلها متجهة صوب الفساد والمروق من الدين ولياليهم الحمر تحكي ذلك بصورة شاملة ليالي ألف ليلة وليلة.. وغير ذلك من لياليهم المارقة والمنحرفة عن الدين والإسلام.

عاصرتم عدة مدارس في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، حبذا لو تطلعونا على ميزات ومعالم هذه المدارس وكيف أدارها مراجعنا العظام، فنجد لكل مرجع ميزة عمل عليها لإصلاح الدين وكيف كانت رؤية سماحتكم وقراءتكم لهذه المدارس التي عاصرتموها؟

والله لم تكن في الوقت الذي عاشرناه مع زملائنا الذين طوتهم المنية لم نجد في ذلك الصنف إلا المجاهدين في سبيل الله، والصابرين على طلب العلم، لم يكونوا يبتغون بذلك إلا رضا الله والتوسل إليه، وقد عاشوا عيشة ضنكى وتحملوا رهقاً في حياتهم وأنفقوا أوقاتهم على طلب العلم، وكان عندهم إنّ طلب العلم أفضل من إحياء ليلة القدر بالأعمال الصالحة.

هذا النظام لم يكن له نظير في الماضي والحاضر ولعله في المستقبل كان يقتل على الضن، وكان يخرج قلوب الناس ويلقيها في الشارع وكان أهون ما عنده إراقة وإزهاق النفوس ولم يحفل بأي قيمة من القيم وكان ابغض شيء عنده الإمام علي (ع) والإمام الحسين (ع) ومحاربة الفكر الشيعي بجميع ما يملكه من طاقة حتى انتقم الله منه أشد انتقام.

عاصرتم فترة النظام البعثي، وتعرضتم مع النجف الأشرف لأبشع ما تعرضت إليه بغداد بغزو المغول والتتر في مسألة إحراق المكاتب والكتب ومهاجمة المدارس الدينية، وأصبح اقتناء الكتاب أو تأليفه بحكم النظام البعثي البائد جريمة يعاقب عليها، نتطلع لشهادتكم في هذا المضمار؟

هذا النظام لم يكن له نظير في الماضي والحاضر ولعله في المستقبل كان يقتل على الضن، وكان يخرج قلوب الناس ويلقيها في الشارع وكان أهون ما عنده إراقة وإزهاق النفوس ولم يحفل بأي قيمة من القيم وكان ابغض شيء عنده الإمام علي (ع) والإمام الحسين (ع) ومحاربة الفكر الشيعي بجميع ما يملكه من طاقة حتى انتقم الله منه أشد انتقام.

نجد أن النجف الأشرف وبحمده تعالى قد بدأت تتعافى وتنطلق انطلاقة جديدة بعد ذهاب النظام البعثي، هل يرى سماحتكم أنها بوادر لعودة النجف إلى عصرها الذهبي، بعد غياب ذاك النظام الأخرق؟

إن شاء الله ستعود، لأنها بلد الوصي، بلد الفضيلة، بلد العلماء، والفكر والتطور، بلد مدافع عن وحدة المسلمين، ومما لا شبهة فيه أنها ستكون أرقى من العصور الأول إن شاء الله.

ما هي وصيتكم لأبنائكم طلبة العلوم الدينية ومن يحاول أن يأخذ النور من النجف؟

وصيتي بتقوى الله لهم وأن يطلبوا العلم للعلم، ولا يطلبوه لغاية أخرى، وأن يجعلوا جميع أوقاتهم مشفوعة بالقراءة والتتبع، ولا يكون لهم أي مجال لإضاعة الوقت لأن إضاعة الوقت من الأمور المحرمة.

علماؤنا بأبوتهم للإنسانية جمعاء ساروا على ديدن أئمتنا أئمة أهل البيت (ع) هل لديكم مشاهدات في هذا الصدد؟ كيف توضحون للعالم بأن مراجعنا وعلماءَنا هم للإنسانية جمعاء؟

لم تكن المرجعية بحال من الأحوال تهدف إلى مصلحة الشيعة فقط وإنما كانت تنظر إلى المواطنين على تعدد ميولهم وأديانهم على حد سواء، ولم يكن لهم أي هدف إلا الإصلاح الاجتماعي وإشاعة الفضيلة والحياة الناعمة لجميع المواطنين.

بعد شكركم على هذا اللقاء، على الرغم من سوء حالتكم الصحية نطلب منكم كلمة أخيرة؟

المرجعية على وضعها الأوّل ووضعها الحالي كلها على نمط واحد، وهو تبني مصلحة الناس على تعدد ميولهم وأديانهم وقومياتهم لا يتبنون طائفة على طائفة ولا قوم على قوم آخرين..

وصيتي بتقوى الله لهم وأن يطلبوا العلم للعلم، ولا يطلبوه لغاية أخرى، وأن يجعلوا جميع أوقاتهم مشفوعة بالقراءة والتتبع، ولا يكون لهم أي مجال لإضاعة الوقت لأن إضاعة الوقت من الأمور المحرمة.

البعد الروحي والمنهجي

لحوزة النجف الأشرف العلمية..

الشيخ أبو زهراء الكندي

هي امتداد معارفي، روحي، وهذا ما يميزها عن باقي المدارس الدينية، المدرسة الأكاديمية الدينية. بل لها طابع قداستي ارتبط بامير المؤمنين (ع) والدليل المكاني (المسجد).

ولمن لم يدخل وينخرط في هذه المؤسسة التعليمية الروحية يطرح بتكرار السؤال كيف يكتمل إعداد منهجية الحوزة العلمية مع أنها في الوقت الحالي لم تعاصر إماماً من الأئمة الأطهار (ع) فما هي الظروف التي تتكامل من خلالها؟ ولذا فاننا سنجيب مع بيان عدة ملاحظات تميزة هذه الحوزة عن الاخريات.

من مميزات هذه الحوزة ان حلقات دروسها تتسم بالحرية في أتخاذ الدرس والأستاذ، لتفرز الكيف دون الكم.

❖ دروسها عبارة عن حلقات في المساجد، وهذا يعطيها العبق الروحي الذي كانت عليه أيام الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام).

حوزة النجف الاشرف لم تكن مركزاً من مراكز السلطان والنفوذ المنتقلة بالوراثة، أو أنها قامت بدعم من أيّ نظام حاكم؛ تكتسب ولاء قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحي والاقناع الفكري لتلك القواعد بجدارة لزعامة الإسلام وقيادته على أسس روحية وفكرية قائمة على أسس شرعية متجذرة برصانة عالية.

وقواعدها هذه بنيت منذ صدر الإسلام، وإزدهرت وأسست أولى حلقاتها الدرسية في عهد الإمام السجاد (ع) لتتسع وترعى في عهد الإمامين الباقر والصادق (ع)؛ لتشكل بعد ذلك تياراً فكرياً واسعاً، لتكون مناراً للإسلام، ضم المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والعلماء في ضروب المعرفة الإسلامية والبشرية المعروفة.

والحوزة العلمية بقواعدها الشعبية قدمت من التضحيات الكبيرة والصمود لأجل ما تعتقده في أحقية مسارها العلمي، الأمر الذي أدى إلى قيام السلطات وباستمرار بحملات من التصفية والتعذيب، فقتل من قتل وسجن من سجن ومات في ظلمات المعتقلات المئات، وهذا يعني أن الاعتقاد بإمامة أئمة أهل البيت (ع). كأهم عقيدة في هذا الكيان. كان يكلفهم غالياً ولم يكن له من الإغراءات سوى ما يحس به المُعْتَقِد أو يَفترضُه من التقرب إلى الله تعالى والزلفى عنده.

ومما أمتازت الحوزة العلمية التي اتخذت من النجف الأشرف مستقراً لها بشموليتها العلمية؛ لصنوف العلم والمعرفة، وأبوتها للمسلمين بتعدد مشاربهم وتوجهاتهم المذهبية.. جاورت مرقد وصي رسول الله وأول الأئمة الهادين المهديين مما يفضي عليها نفحات إيمانية وروحانية خاصة ايضا من مميزات هذه الحوزة ان حلقات دروسها تتسم بالحرية في أتخاذ الدرس والأستاذ، لتفرز الكيف دون الكم، ذلك بمساعدة فسحة الزمان الممنوحة لطالبها، فهي تعتمد في عطائها على مطالعة الطالب ومواظبته على الدراسة والتحقيق واخلاصه لله والتطبيق العملي وحوزة النجف الاشرف زاخرة بنماذج اجتازت بسنوات قليلة المراحل الدراسية واصبحوا مراجع كما هو حال مراجعنا القدامى من قبيل الشيخ الانصاري والسيد محمد باقر الصدر (قده)؛ ذلك لطوعية وحرية طالب العلم ومدى تقبله وعمله وسعيه في التحصيل العلمي.

الدروس في هذه المؤسسة التعليمية عبارة عن حلقات في مساجد وأماكن مخصصة لها مما يعطيها العبق الروحي الذي كانت عليه أيام الإمامين الباقر والصادق (ع) حتى قال فيهم الحسن بن علي الوشا: إني دخلت مسجد الكوفة فرأيت فيه تسعمائة شيخ كلهم يقولون حدثنا جعفر بن محمد، وطبيعة الاشتراك في هذه الحلقات الدراسية تكون باختيار الطالب تبعا لرغبته ومدى استفادته مما يطرحه الأستاذ وأسلوبه الدراسي.

والمرجع من أبرز علماء عصره وممن يشار له بالبنان، ترسخ العقيدة الإسلامية في نفسه بنحو يبعث على الالتزام بتقوى الله سراً وعلانية وهذا الحديث عن عصر الغيبة اما في عصر الائمة (ع) فهم المراجع الحقيقين للامة بكل جوانبها.

وإن المراجع لم يكونوا معزولين بمدرستهم النيرة هذه عن القواعد الشعبية، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلاّ أن تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفي وهذا ما نعرفه من خلال العدد الكبير من الرواة والمحدثين عن كل واحد من الأئمة الأثني عشر ومن خلال ما نقل من المكاتبات التي كانت تحصل بين الإمام ومعاصريه وما كان الإمام يقوم به من أسفار من ناحية وما كان يبثه من وكلاء في أنحاء العالم الإسلامي من ناحية أخرى وما كان قد أعتاده الشيعة من تفقد أئمتهم وزيارتهم في المدينة المنورة عندما يقصدون الديار المقدسة من كل مكان لأداء فريضة الحج كل ذلك يفرض تفاعلاً مستمراً بين الإمام وقواعده الممتدة في أرجاء العالم الإسلامي بطبقاتها المتعددة من العلماء وغيرهم وهذه الصورة ليست ببعيدة عما عاشته المرجعيات الدينية خلال الاحقاب الزمنية في عصر الغيبة الكبرى.

ولعل ما يميز هذه الحوزة عن باقي الحوزات هو تنظيمها الاداري فعلى سبيل المثال خلوها من الروتين وسلم التدرج العلمي بل على الحصيلة العلمية والمقدرة الفكرية والانتاجية.

لمحات عن أصناف الرواة لأصحاب الإمام الهادي عليه السلام

الشيخ قاسم الكعبي

يُعد تناسي وصية الرسول الأعظم (ص) في يوم الغدير من أهم نقاط التزييف والتحريف والتلاعب والتغيير في النص الشرعي فلهذا الحدث إفراز قد نخر العمود الفقري للإسلام، ومن إفرازات هذا الحدث ظهور عدد كبير من الرواة الكذابين أو الذين يدسون به ما يلائم مقررات السلاطين وأعوانهم، وهذا ما لا يتلاءَم والمدرسة العلوية لأننا لا يمكن أن نأخذ ديننا من كذاب أو فاسد العقيدة فكان علينا أن نبحث عن الرواة الذين رووا عن الرسول الأعظم (ص) ومن ثم الأئمة الأطهار (ع) الذين عانوا من إبعاد وتغييب إما بالإقامة الجبرية أو بالسجن.. أو غير ذلك من طرق سلاطين الجور ابتعد عن عامة المؤمنين وعندها يظهر وينشط الرواة الكذابون وتروج بضاعتهم، وبهذا نسلط الضوء على جملة من رواة الإمام الهادي (ع) لنضع بين يدي القارئ الكريم أصنافهم والتي انبثقت عنها طبقات من الرواة لحين عصر الغيبة:

عدد رواة الإمام الهادي (ع)

بحسب ما ذكره بعض أهل التراجم والسير في كتب الرجال وأهل السير أن هناك اختلافاً واضحاً في عدد الرواة الذين رووا عن الإمام الهادي (ع) فمنهم من قلل العدد ومنهم من زاد فيه، وسنذكر أقوال ثلاثة على سعيد المثال لا الحصر:

١. الشيخ الطوسي (ره) ذكر ما يقرب (١٨٤) راوياً فيهم امرأة وترجم لهم. رجال الطوسي/ ٣٨٤.

٢. الشيخ باقر شريف القرشي (ره) كانت عدتهم لديه (١٧٨) راوياً من ضمنهم امرأة/ حياة الإمام علي الهادي (ع) دراسة وتحليل.

٣. السيد محمد كاظم القزويني عدد الرواة عن الإمام الهادي (ع) (٣٤٦) راوياً/ الإمام الهادي من المهد إلى اللحد.

وهناك غيرهم كثيرون اعرضنا عن ذكرهم للاختصار بعد اتضاح وجود الاختلاف بينهم.

كما وأن هناك أسباباً عديدة لتعدد طبقات الرواة؛ ذلك بين الكثرة والقلة في عدد رواة الإمام الهادي (ع) نذكر منها:

١. أن بعض الذين كتبوا في الرجال جعلوا ترتيب الكتاب أوّلاً بحسب الأسماء، ثم بحسب الألقاب أو الكنى أو المهنة، وقد يحصل تداخل فيذكر الراوي الواحد في الأسماء وفي الألقاب مثلاً أو في المهنة أو الكنية أو في اثنين منهم وحتى ثلاثة فيكون العدد لديه أكثر، ومن ينتهج في كتابه ذكر الأسماء دون الكنى وغيرها ويكون ترتيبه حسب الحروف الأبجدية يكون العدد لديه اقل لعدم وجود التداخل.

٢. أن يذكر المؤلف الرواة الذين رووا عن الإمام الهادي مباشرة فيكون العدد قليلاً أو يذكر الذين رووا عن الإمام الهادي ولو بواسطة أي وقعوا في سلسلة السند فيكون العدد أكثر.

٣. أن يذكر الرواة الذين عاصروا الإمام من ولادته إلى حين وفاته فيكون العدد اقل، وآخر يذكر الرواة الذين عاصروا آباءَه وعاصروه أو الذين عاصروه وعاصروا أبناءه فيكون العدد أكثر.

٤. الاتحاد والاختلاف في الاسم الواحد فقد يكون هناك اسم واحد فيعتقد أنهما اثنان مثل (محمد بن نصير الفهري)، و(محمد بن حصين الفهري) فمن اعتقد أنهما اثنان يكون العدد لديه أكثر ممن اعتقد أنهما واحد فيكون العدد اقل، هذه هي بعض الأسباب في اختلاف عدد رواة الإمام الهادي (ع) ونكتفي بها.

أصناف الرواة:

المؤلفون

إن زمن الإمام الهادي (ع) كان ينماز بأمرين:-

الأوّل: النضج العلمي لدى أهل العلم والمفكرين من شيعة أهل البيت وقطف ثمار مدرسة الإمام الباقر والصادق (ع).

الثاني: الظروف الصعبة التي عاشها الشيعة في زمن المتوكل وغيره من سلاطين الجور في زمن الإمام الهادي (ع).

وما كان لأحد الأمرين أن يوجد إلا ويضمحل الآخر ولكن نرى أن علماء الشيعة من رواة الإمام الهادي تغلبوا على تلك الظروف الصعبة وقادوا حركة فكرية علمية من خلال تأليف الكتب وتدوين علوم آل محمد ولم يقتصروا على المسائل الشرعية والأمور الفقهية بل ألفوا في علوم شتى حتى دعا هذا الأمر الدكتور محمد حسين الصغير أن يذكر خصوص المؤلفين من رواة الإمام الهادي (ع) فعد منهم (٤٩) راوياً/ وقد يصل عددهم عند التحقيق إلى أكثر من ذلك.

ولا يخفى أن الجهة المنظورة هنا ليست الوثاقة أو الضعف أو كونه مجهول حال بل اعم من ذلك وهي كونه لديه كتاب والمراد من الكتاب هو أن يجمع مجموعة من الروايات التي تخص موضوعاً معيناً ينقلها عن الإمام في أبواب الفقه أو في احد أبواب الفقه كالصلاة أو مناسك الحج أو احد الفنون الأخر.

ثم أن ما ألف من هذه الكتب في الفقه خاصة صارت أصولاً أساساً في جمع الأخبار واعتمد عليها في كتابة الأصول الأربعمائة والتي هي الأساس الذي اخذ منه العلماء عند

تأليف كتبهم وقد وصلت بعض هذه الكتب مثل مسائل علي بن جعفر وقرب الإسناد للسيد الحميري والمحاسن للبرقي وإصلاح المنطق لابن السكيت، ويمكن أن يلاحظ أن هذا الأخير قد كتب أكثر من خمسين كتاباً حيث قاد حركة الأدب والنحو والشعر إضافة إلى روايته الحديث.

الثقاة

لابد من رجال ثقاة يعتمد عليهم في نقل كلام الإمام وبيان الأحكام، لا يكذبون ولا يبدلون ولا يدسون في الأحاديث وإلا لضاع الحق من المذهب الشيعي الحق في بحر متلاطم تتقاذفه الكذابة ولذلك كان هناك ثقاة عند الإمام الهادي (ع) منهم تؤخذ وتنقل الأحكام إلى عموم الشيعة، وهؤلاء الرواة يمكن أن يصل المتتبع إلى إحصائهم لثلاثين أو أكثر، ولنذكر منهم: إبراهيم بن عبدة النيسابوري، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الهادي (ع) والإمام العسكري (ع) محدث إمامي ثقة مأمون ممدوح قال في حقه الإمام الهادي (ع): ((وبعد فقد بعثت لكم إبراهيم بن عبدة ليدفع النواحي حقوقي الواجبة عليكم إليه وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك).

وهذا واضح في توثيقه والأخذ منه ودرجة الثقة التي يوليها الإمام الهادي (ع) لبعض رواته الثقاة وإظهارهم لعموم شيعته وذلك للدور الذي يلعبه أمثال هؤلاء الثقاة الذين تصل من خلالهم الروايات الصحيحة لعدم تحرز الإمام وخوفه منهم.

الوكلاء

نظراً لبعد الإمام الهادي (ع) عن شيعته بسبب الإقامة الجبرية في منطقة العسكر، استعان الإمام بمجموعة منتقاة بإتقان من أصحابه جعلهم وكلاء له يستلمون الحقوق من شيعته ويوصلون الحقوق إلى المحتاجين منهم، ويوصلون توجيهاته (ع) إلى المؤمنين وينقلون أجوبة الأحكام الشرعية منه (ع) وإلى شيعته وهؤلاء أظهرهم وعرفهم لشيعته وأخفاهم عن أعدائه وسلاطين الجور، لأنهم إن عرفوا تعرضوا لما يتعرض له الإمام من السجن والاعتقال ومن هؤلاء: إبراهيم بن محمد الهمداني، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الرضا والجواد والهادي (ع) محدث ثقة إمامي، وهو أحد وكلاء الناحية المقدسة روى عنه عشرة من الرواة ورد في حقه من الإمام الهادي (ع) (وكتبت إلى موالي بهمدان كتاباً أمرتهم لطاعتك والمصير إلى أمرك وان لا وكيل لي سواك).

وكما ترى هذه درجة عالية من التوثيق في الوكالة بحيث يأمر شيعته بطاعته من خلال تنفيذ أوامره فيظهر أن هؤلاء هم الأواصر بين مركز القيادة المتمثلة بالإمام الهادي (ع) وبين أطراف المعمورة.

الضعفاء ومجهولو الحال

كان الإمام الهادي (ع) يعلم بالبيئة التي يعيش فيها وكيف أوصل العباسيون الناس إلى حالة من الضعف الديني في تأديب النفس بأخلاق الإسلام فنشأ وسط هذه الأوضاع الصعبة جملة من ضعفاء النفوس الذين غلبهم الشيطان إذ زين لهم الحياة الدنيا فكانوا يكذبون ويبيعون دينهم لأجل حفنة دراهم بل ادعى بعضهم أنه هو الإمام أو هو نبي مرسل. والعياذ بالله. وعلى كل حال فهؤلاء الذين لا يركن إليهم يمكن أن يكونوا على ثلاثة أقسام:

الضعفاء: وهم الذين لا يؤخذ منهم الحديث إما لكذبهم أو كونهم يدسون بالحديث، أو لأنهم قد أحرز ضعفهم والتصريح بعدم وثاقتهم.

الغلاة: وهم الذين لا يؤخذ منهم الحديث لأنهم اتخذوا مذاهب فاسدة بحيث قالوا في الأئمة ما يقال في الإله والنبي. وهناك أصناف منهم قد أنكروا الفروع وتركوا الصلاة.

مجهولو الحال: وهم الذين لا يؤخذ منهم الحديث لان أهل التراجم والسير لم يذكروهم بخير ولا شر بل لم يعرف عنهم أي شيء مجرد أنهم صحبوا الإمام الهادي (ع).

ومن الملاحظ أن (الضعفاء والغلاة) هم أشر من (مجهولي الحال) وإن كان لا يؤخذ عنه بالرواية، وهكذا (الغلاة) أشر من الأوّل لأنهم يتعمدون الكذب وإضلال الناس والأول يتعمدون الكذب فقط.

وهناك أسباب كثيرة لتواجد مثل هؤلاء منها:

١. قرب بعضهم من السلطة العباسية مثل احمد بن الخطيب احد وزراء الخلافة العباسية في عهد المنتصر وكان مذموماً وصحب الإمام الهادي (ع) فعن أبي يعقوب قال رأيت أبا الحسن مع احمد بن الخطيب يتسايران وقد قصر أبو الحسن فقال له ابن الخطيب سر جعلت فداك فقال أبو الحسن أنت المقدم فما لبثنا إلا أربعة أيام. كان مراد الإمام أنت المقدم بالقتل أو الموت. وقتل؛ وماذا تتوقع ممن هو في الطبقة الأوّلى في البلاط العباسي ومن يعيش على موائدهم غير تنفيذ أوامرهم.

٢. المغالون وأصحاب المذاهب الفاسدة حيث أنهم غالوا في الأئمة فمنهم من جعل الإمام الهادي (ع) رباً وهو نبي مبعوث من قبله، أو جعل الإمام نبياً وهو إمام مبعوث من قبله، وما كان لهم أن يدعوا ذلك إلا بسبب وسوسة الشيطان وحب الجاه والمنزلة العالية وحب المال وهؤلاء هم اشر تلك الأقسام المتقدمة وأكثرهم إيذاءً للإمام الهادي حتى وصل الأمر بالإمام (ع) أن يطلب خدش رأس احدهم وهو الحسن بن محمد بن بابا القمي إذ قال سعد حدثني العبيدي قال كتب إليه العسكري ابتداءً منه: (أبرأ إلى الله من الفهري، والحسن بن محمد بن بابا القمي، فابرأ منهما فإني محذرك وجميع موالي وإني ألعنهما عليهما لعنة الله متآكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذين آذاهما الله يزعم بن بابا: أني بعثته نبياً وأنه باب (عليه لعنة الله) سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تخدش رأسه بالحجر فافعل، فأنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة).

بل نجد أن الإمام يضمن الجنة لمن قتل احدهم وهو فارس بن حاتم بن ما هوية القزويني، فقد ورد أن أبا الحسن العسكري أمر بقتل فارس بن حاتم وضمن لمن قتله الجنة فقتله جنيد وكان فارساً فتانا يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة فخرج من أبي الحسن (ع) (هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتانا داعيا للبدعة ودمه هدر لكل من قتله، فمن هذا الذي يريحني منه ويقتله وأنا ضامن له على الله الجنة)/ انظر رجال الكشي٤٤١، وحياة الإمام الهادي/٢١٠ لباقر شريف القرشي، ولابد من الالتفات إلى أن عدد هؤلاء ليس بقليل وإنما هو ما يقارب (١٢١) راوياً ولكن ليس جميعهم كذابين بل فيهم مجهولو الحال والسبب في عدم اخذ الرواية عن مجهولي الحال هو أن أصحاب التراجم لم يذكروا لهم مدحاً أو ذماً فلا يطمئن لنقلهم الرواية وليس لأنهم كذابون.

النساء

المتابع لكتب التراجم والسير يرى أن هناك مجموعة من النساء قد عدوهن من أصحاب الأئمة (ع) بل نرى أن منهن يروين عن الأئمة وهناك من يروي عنهن وقد وثق بعضهن وقد ظهرت من بين الرواة من أصحاب الإمام الهادي امرأة واحدة وهي كلثم الكرخية وقد عدها الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الهادي (ع) وأضاف انه قد روى عنها عبد الرحمن الشعيري وهو أبو عبد الرحمن بن داوود البغدادي/ تابع الشيخ الطوسي في رجاله، ومعجم رجال الحديث٢٣/١٩٩، وبذلك نرى أن هناك لوناً جديداً من الوان رواة الإمام الهادي (ع) قد أضيف.

خاتمة

بعد هذا الاستعراض السريع الموجز لأصناف الرواة الذين رووا عن الإمام الهادي (ع) نجد هناك ميزات لرواة هذا العصر منها:

١. هناك عدد من الرواة على درجة من النضج العلمي بحيث أصبحوا يؤلفون الكتب وهذا يدل على ازدهار الحركة العلمية في عصره (ع) عند الشيعة.

٢. هناك عدد من رواة الإمام الهادي (ع) ثقة يركن إليهم في نقل الرواية وتسلم الحقوق وهؤلاء أظهرهم الإمام لشيعته ووثقهم بكتبه لكي يميز الصالح من الطالح وفي نفس الوقت أخفاهم عن أعدائه.

٣. هناك مجموعة من ضعفاء النفوس والمنتفعين من الدنيا الذين أغراهم الشيطان غالوا في الإمام وهم فرقة تأذى منها الإمام (ع) وعالجها من خلال فضح رؤوس تلك الفرقة.

٤. هناك مجموعة من الذين وردت أسماؤهم في الروايات التي رويت عن الإمام الهادي (ع) ولكن لا يعرف عنهم شيئ فلم تذكر عنهم كتب السيرة والتراجم مدحاً أو ذماً.

٥. من ضمن رواة وأصحاب الإمام الهادي (ع) امرأة كانت تروي الحديث ويؤخذ منها أي يروى عنها.

والى هنا يمكن للمتتبع أن يرى امتزاج عدة أطياف من الرواة من أصحاب الإمام الهادي (ع) فإن منهم المؤلفين والوكلاء والثقاة والرجال والنساء، وكانت نتيجة هذا الامتزاج هو قيادة سفينة شيعة آل محمد من قبل الإمام الهادي إلى بر الأمان رغم العواصف العاتية والأمواج المتلاطمة، لان صانع هذا الامتزاج هو ممثل الرسالة الإلهية وسليل العترة النبوية الإمام علي بن محمد الهادي (ع) جعلنا الله ممن تنالنا شفاعته والسائرين بسيرته.

الاجتهاد والتقليد..
وموقف المكلف في عصر الغيبة

مركز الأبحاث العقائدية/ خاص

التقليد من الأمور التي دائماً ما يتحدث عنها المؤمنون في عصر الغيبة وتارة يكون السؤال عن حكم فقهي وتارة أخرى يكون السؤال عن أصل ذلك الحكم ولِمَ اختلف الفقهاء بآرائهم فيه؟ فهل اختص التقليد على المذهب الجعفري فقط..؟ وهل هناك أسس روائية في مشروع التقليد..؟ وفي أي زمن بدأ..؟ وهل كل إنسان يحتاج إلى التقليد..؟ متى يكون الإنسان مجتهداً ومتى يكون مرجعاً..؟ وغيرها من الأسئلة الملحة والتي تطرح على المؤسسات الحوزوية والإسلامية، وفي بحثنا هذا وضعنا بعض الإجابات عن تلك التساؤلات.

❖ أصل التقليد هو الرجوع إلى أهل الاختصاص، وبما أنّهم مختلفون في مستوياتهم العلمية، فالعقل يحكم بالرجوع إلى الأعلم.

❖ الاجتهاد بما هو اجتهاد موجود عند الشيعة والسُنّة..

الاجتهاد بين المذاهب

إنّ الاجتهاد عند الشيعة والسُنّة واحد، وهو: السعي وبذل الجهد لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية، التي هي: (الكتاب، والسُنّة، والإجماع، والعقل)، مع أمور قد تضيفها المدرسة العامّية، كالقياس والاستحسان وغيرهما..

نعم، يختلفان في الطريقة السلوكية للاجتهاد، وفي مقدار حجّيته.

إذاً، الاجتهاد بما هو اجتهاد موجود عند الشيعة والسُنّة، ولكن مرحلة الاجتهاد توقّفت عند السُنّة، وانحصرت في أصحاب المذاهب الأربعة، بينما الاجتهاد عند الشيعة الإمامية لم يتوقّف لضرورته.

رجوع المكلف للتقليد

لا بدّ للمكلّف ـ إذا لم يكن أهلاً للاجتهاد أو الاحتياط ـ من التقليد لمعرفة الحكم الشرعي والوظيفة العملية، بمعنى رجوع المكلّف الجاهل بالأحكام إلى العالم بها، ويستدلّ على ذلك بعدّة أدلّة، منها:

الأوّل: سيرة المتشرّعة وإجماعهم العملي على الاجتزاء بأخذ الأحكام من المجتهدين.

والظاهر أنّ السيرة المذكورة متفرعة ارتكازاً عن سيرة العقلاء في جميع أمورهم على الرجوع إلى أهل الخبرة، فكلّ من لا يتسنّى له العلم بشيء يرجع إلى العالم به، ولولاه لاختلّ النظام؛ ولتعذّر العلم لهم بجميع ما يحتاجونه، فتكون سيرة المتشرّعة كاشفة عن إمضاء الشارع الأقدس لسيرة العقلاء المذكورة.

الثاني: قوله تعالى: (فَلَولا نَفَرَ من كُلِّ فرقَة منهُم طَائفَةٌ ليَتَفَقَّهُوا في الدِّين وَليُنذرُوا قَومَهُم إذا رَجَعُوا إليهم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ)؛ فإنّ التفقّه عبارة عن تعلّم الأحكام واستنباطها من أدلّتها، وظاهر الإنذار هو: الإنذار بما تفقّهوا فيه، فيدخل فيه بيان الأحكام الإلزامية المستتبعة للعقاب والفتوى بها، وحيث كان ظاهراً جعل الحذر غاية للإنذار الواجب مطلوبيّته كان ظاهراً في حجّية الفتوى بالأحكام الإلزامية، ويتمّ في غيرها بعدم الفصل.

الثالث: قوله تعالى: (فَاسألوا أهل الذِّكر إن كُنتُم لا تَعلَمُونَ)؛ فانّه ظاهر في أنّ وظيفة الجاهل السؤال من العالم، والمتصرف إرادة السؤال للعمل، فيكشف عن حجّيّة الجواب.

الرابع: النصوص الكثيرة الواردة في فضل العلم، وتحصيله، والانتفاع به، والرجوع للعلماء، والأخذ منهم... كالتوقيع الشريف: (وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم)، وقول الإمام (ع): (فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه).

صفات الفقهاء

يشترط في الفقيه توافر أُمور حتّى يصحّ الرجوع إليه؛ ففي (الذكرى) للشهيد الأوّل، قال: ((يعتبر في الفقيه أمور ثلاثة عشر قد نبّه عليها في مقبولة عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق(ع): (انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً؛ فإذا حكم بحكمنا ولم يقبله منه، فإنّما بحكم الله استخفّ، وعلينا ردّ وهو رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله، فإذا اختلفا فالحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما).

الأمر الأوّل: الإيمان؛ لقوله: (منكم)، لأنّ غير المؤمن يجب التثبت عند خبره، وهو يناي في التقليد.

الثاني: العدالة – لذلك أيضاً – وعليه نبّه بقوله: (أعدلهما).

الثالث: العلم بالكتاب.

الرابع: العلم بالسُنّة، ويكفي منهما ما يحتاج إليه، ولو بمراجعة أصل صحيح.

الخامس: العلم بالإجماع والخلاف لئلا يفتي بما يخالفه.

السادس: العلم بالكلام.

السابع: العلم بالأُصول.

الثامن: العلم باللغة والنحو والصرف، وكيفية الاستدلال، وعلى ذلك دلّ بقوله: (وعرف أحكامنا)؛ فإنّ معرفتها بدون ذلك محال.

التاسع: العلم بالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والظاهر والمؤوّل، ونحوها ممّا يتوقّف عليه فهم المعنى والعمل بموجبه، كالمجمل والمبيّن، والعامّ والخاصّ.

العاشر: العلم بالجرح والتعديل، ويكفي الاعتماد على شهادة الأوّلين به، كما اشتملت عليه كتب الرجال؛ إذ يتعذّر ضبط الجميع مع تطاول الأزمنة... وإلى ذلك أشار بقوله: (وروى حديثنا).

الحادي عشر: العلم بمقتضى اللفظ لغة وعرفاً وشرعاً.

الثاني عشر: أن يعلم من المخاطب إرادة المقتضى إن تجرّد عن القرينة، وإرادة ما دلّت عليه القرينة إن وجدت، ليثق بخطابه، وهو موقوف على ثبوت الحكمة.

الثالث عشر: أن يكون حافظاً، بمعنى أنّه أغلب عليه من النسيان؛ لتعذّر درك الأحكام من دونه..)).

هل التقليد سلب لحرية الفرد؟

وأمّا ما ذكرتموه من سلب حرية الفرد، فهو في غير محلّه، فإنّ العقل باستقلاله ـ فضلاً عن الشرع والقواعد الأصولية ـ يؤيّد متابعة الأعلم في كلّ مجال، أما ترى أنّ الإنسان في مجالات الحياة عندما يرى موضعاً مختلفاً فيه يبحث عن رأي الأكثر خبرةً واختصاصاً في الموضوع، فهل هذا يعتبر سلباً لحرّيته؟!

وبعبارة أوضح: إنّ أصل التقليد هو الرجوع إلى أهل الاختصاص، وبما أنّ أهل الاختصاص مختلفون في مستوياتهم العلمية وفي مقدار تخصّصهم، فالعقل يحكم بالرجوع إلى الأعلم منهم والأكثر خبرة في تخصّصه.

الجذور التاريخية للتقليد

إنّ الناس في زمن النبيّ (ص) وفي زمن الأئمّة المعصومين الظاهرين (ع) كانوا يرجعون إليهم صلوات الله عليهم أجمعين في معرفة الأحكام الشرعية، وهذا الذي يعمله الناس ما هو إلاّ تقليد منهم لهم صلوات الله عليهم، وفي بعض الأحيان يجعل الإمام بينه وبين الناس واسطة ممّن يعرف الأحكام الشرعية ويجيد فهم أقوال الإمام، فيكون واسطة لنقل الحكم من الإمام إلى الناس..

ففي رواية للإمام أبي جعفر (ع) أنّه قال لأبان بن تغلب: (اجلس في المسجد وافت الناس، فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك).

ويسأل أحد الرواة الإمام الرضا(عليه السلام) عن يونس بن عبد الرحمن: أيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال: نعم.

أمّا ما حصل في زمن الغيبة الصغرى، فإنّ الإمام (عجّ) عيّن شخصاً ليقوم مقامه في إيصال الأحكام إلى الناس، وهم السفراء الأربعة.

وأمّا ما حصل في زمن الغيبة الكبرى، فإنّ الإمام الغائب (عجّ) أرجع الناس إلى رواة حديث الأئمّة (ع)، فقال: (وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم)، وقال الإمام الصادق (ع): (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه).

وقد برز مع بداية الغيبة الكبرى مجموعة من الفقهاء واستمرت الحال إلى الآن، ومن أولئك الفقهاء نذكر:

١- العيّاشي، صاحب التفسير، المتوفّى سنة (٣٢٠هـ).

٢- علي بن بابويه القمّي، المتوفّى سنة (٣٢٩هـ).

٣- ابن أبي عقيل العماني، أستاذ جعفر بن قولويه، عاصر السمري آخر السفراء توفّي سنة (٣٦٩هـ).

٤- ابن الجنيد الاسكافي، من أساتذة الشيخ المفيد، توفّي سنة (٣٨١هـ)، ويعرف هو وابن أبي عقيل بالقديمين؛ لأنّهما كانا في أوّل الغيبة الكبرى.

٥- الشيخ المفيد، ولد سنة (٣٣٦هـ) وتوفّي (٤١٣هـ).

٦- السيّد المرتضى، ولد سنة (٣٥٥هـ) وتوفّي (٤٣٦هـ).

٧- الشيخ الطوسي، ولد سنة (٣٨٥هـ) وتوفّي (٤٦٠هـ).

هؤلاء مجموعة من الفقهاء الذين عاصروا بداية الغيبة الكبرى، وكانت لهم مؤلّفات في الفقه، وكان الناس يرجعون إليهم في معرفة الأحكام الشرعية.

وقد بحث وكتب في تاريخ علم الفقه الشيخ محمّد علي الأنصاري في مقدّمته لكتاب (توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد) للآغا بزرك الطهراني، وكذلك الشيخ محمّد مهدي الآصفي في (مقدّمته لشرح اللمعة الدمشقية)، المعروفة بطبعة كلانتر، والشيخ علي آل كاشف الغطاء في كتابه (أدوار علم الفقه وأطواره).

وقد استدلّ الفقهاء على نفوذ الاجتهاد وحجّية فتوى المجتهد وعلى صحّة تقليد الجاهل له، بقوله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ من كُلِّ فِرقَة منهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَومَهُم إذا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ)، فأوجب الله تعالى على طائفة التفقّه في الدين، وهو يشمل الاجتهاد وتحصيل الحجّة على الأحكام، وطلب من آخرين الحذر العملي من إخبار المنذرين، وهو يشمل التقليد.

وما يذكر من أنّ أوّل من نادى بالتقليد هو الشيخ الأنصاري ناتج عن سوء فهم! وذلك لأنّ المشكّكين لمّا لم يجدوا في الكتب الفقهية ذكر باب الاجتهاد والتقليد إلاّ عند الشيخ الأنصاري وما بعده، توهّموا أنّ أوّل من نادى بالتقليد هو الشيخ الأنصاري، في حين تجد فقهاءنا الذين سبقوا الشيخ الأنصاري كانوا يبحثون كتاب الاجتهاد والتقليد في الكتب الأصولية، فعدم ذكرهم لباب الاجتهاد والتقليد في الكتب الفقهية بسبب أنّهم بحثوا ذلك في الكتب الأصولية، لا أنّهم لا يدعون الناس إلى التقليد لمن لا يستطيع منهم الاجتهاد أو الاحتياط!

العمل بدون تقليد

من يعمل بالأحكام من دون تقليد، فإن أصاب حكمه الواقع فعمله صحيح، وإن لم يصب حكمه الواقع فإنّه مقصّر بسبب عدم تقليده، والحال أنّ هذا الشخص هو إمّا مقلّد يأخذ الأحكام ممّن علّمه تلك الأحكام، كالمعلّم أو الأب أو الأمّ أو الأخ أو الصديق، ولكنّه لا يريد الاعتراف بأنّه مقلّد! بل يقبل أن يقلّد هؤلاء ولا يقلّد ذوي الاختصاص وهم الفقهاء والعلماء، أو هو مجتهد يبحث عن الحكم من خلال الكتب، فإن أخذ الحكم جاهزاً فهو مقلّد لصاحب الكتاب، أو فهم دليله الشرعي فهو مجتهد، ولكنّه إن استطاع فهم حكم واحد أو أكثر فإنّه لا يستطيع فهم كلّ الأحكام الشرعية إلاّ بالوصول إلى ملكة الاجتهاد التي لا تحصل إلاّ بدراسة مقدّمات كثيرة، وبعد قطع شوط طويل في طلب العلم.

أمّا ما يتعلّق باختيار مجتهد في كلّ مسألة شرعية فهو مرفوض؛ وذلك لأنّ أغلب الفقهاء يفتون بوجوب الرجوع إلى الأعلم من المجتهدين، والانتقال من مجتهد إلى آخر يوقعه في أخذ الأحكام من غير الأعلم.

نعم، يجوز له الانتقال من مجتهد إلى آخر... وفق ضابطة معينة، وهي: أنّ المجتهد الأعلم الذي يقلّده إن لم يكن له في المسألة حكم شرعي، بل يفتي بشيء معين وفق الاحتياط اللزومي أو الوجوبي، فإنّه يحقّ للمقلّد الرجوع إلى مجتهد آخر له فتوى في المسألة، ولكن لا بدّ أن يكون هذا المجتهد الذي يرجع إليه هو الأعلم من بين أولئك المجتهدين الذين يرغب في الانتقال إلى أحدهم.

أمّا ما يتعلّق بالسؤال عن الأدلّة الشرعية، فمن حقّ أي شخص السؤال عن ذلك، ولكن ذلك ليس بواجب عليه، ولا بدّ أن يكون السائل ممّن يجيد فهم تلك الأدلّة الشرعية.

ومعنى الكلام بتقليد نفسك أنّك لا تقبل الوساطة للوصول للحكم الشرعي عن طريق أي شخص، بل تريد الوصول إليه بنفسك، وهذا يمكن تسميته بـ(الاجتهاد)، إذا كنت تملك الأدوات العلمية التي تتيح لك الاستنباط والوصول للحكم الشرعي، ولكننا نشكّ في ذلك لكلّ من لم يدرس مقدّمات كثيرة، ويتقن علوماً معقّدة، تتيح له الاستنباط!

فالذي تعمله إذن ليس هو باجتهاد، بل هو تحكيم للرغبات والأهواء النفسية للوصول لعمل معيّن تعتبره حكماً شرعياً، ومثل هكذا سلوك قد أوصل بعض الناس كما في الخوارج ونظرائهم اليوم إلى تكفير طوائف من الناس وتجويز قتل المسلمين الأبرياء، فأيّ حكم شرعي هذا؟!

وأما خبر (من كان من الفقهاء صائناً...) المروي في تفسير العسكري، فقد قال السيّد الخوئي عنه: ((وقد يستدلّ عليه برواية الاحتجاج المروية عن التفسير المنسوب إلى العسكري(عليه السلام)؛ حيث ورد فيها: (فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه...).

ويدفعه أوّلاً: أنّ الرواية ضعيفة السند؛ لأنّ التفسير المنسوب إلى العسكري (ع) لم يثبت بطريق قابل للاعتماد عليه، فإنّ في طريقه جملة من المجاهيل، كمحمّد بن القاسم الاسترابادي، ويوسف بن محمّد بن زياد، وعلي بن محمّد بن سيار، فليلاحظ. هذا إذا أريد بالتفسير المنسوب إلى العسكري (ع) هو الذي ذكره الصدوق (قد) بإسناده عن محمّد بن القاسم الاسترابادي، والظاهر أنّه مجلد واحد، كما لا يخفى على من لاحظ التفسير الموجود بأيدينا اليوم.

وأمّا لو أريد به: الذي ذكره محمّد بن علي بن شهرآشوب، على ما نقله في المستدرك، فالسند به صحيح؛ لأنّه ذكر: الحسن بن خالد البرقي، أخو محمّد بن خالد، من كتبه: تفسير العسكري، من إملاء الإمام (ع)، والحسن بن خالد ممّن وثّقه النجاشي، وللمشايخ إليه طرق صحيحة)).

ولكن لصاحب (تنقيح المقال) رأي آخر في الدفاع عمّن روى التفسير المذكور، فقال في الدفاع عن الاسترابادي: ((إنّ مثل الصدوق (رض) العدل العارف قد أكثر الرواية عنه، فتارة يعبّر عنه بمحمّد بن القاسم الاسترآبادي، وأخرى بمحمّد بن علي الاسترآبادي، وثالثة بمحمّد بن القاسم المفسّر، وكلّما ذكر المفسّر فهو المراد به، وفي جميع الموارد يذكره مترضّياً، وهذا الالتزام منه بالترضّي يكشف عن كون الرجل جليلاً ثقة ثبتاً، وعن بعض الفقهاء

رواية للإمام أبي جعفر (ع) أنّه قال لأبان بن تغلب: (اجلس في مسجد المدينة، وأفتِ الناس؛ فإنّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك)..

المتأخّرين: أنّ من له أدنى ربط بأحاديث الأئمّة الأطهار(ع) يجزم بأنّ هذا التفسير من كلام المعصوم...

ولكن بعض الفقهاء لا يقبل قول صاحب التنقيح؛ لأنّ مجرّد رواية الصدوق عنهم لا يدلّ على توثيقهم؛ لأنّه روى في بعض كتبه عن غير الموثّقين.

وأمّا حديث: (وأمّا الحوادث...)، فقد ذكره الصدوق في (كمال الدين)، والشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة)، وسند الحديث لا بأس به إلاّ من جهة إسحاق بن يعقوب؛ فإنّه مجهول، لكن نقل الكليني عنه في سند الحديث قد يدلّ على اعتماده عليه، فإذا قبلنا هذا كان الحديث مقبولاً.

تقليد الأعلم

الرأي المتّبع عند المحقّقين من علماء الشيعة هو تقليد الأعلم - مع فرض عدالته - فالفقيه إذا كان أعلماً لا وجه للرجوع عنه إلى الآخرين؛ إذ لا حجّية لرأي غير الأعلم بالنسبة للمقلّد، والقدر المتيقّن من حجّية كلام غير المعصوم (ع) في الأحكام في عصر الغيبة هو: قول الأعلم من الفقهاء.

نعم، لو تبدّل الحال، وأصبح غير الأعلم أعلماً، أو ارتفعت صفة العدالة عند الأعلم، فيجب حينئذ الرجوع والعدول إلى غيره ممّن اتصف بالمواصفات المذكورة، أي: الأعلمية والعدالة.

تحديد الأعلم

من يحدّد رتبة العلم... أقصد من يحدّد أن هذا المرجع هو الأعلم... هل الفرد هو الذي يحدّد هذا أم هناك جهة أخرى؟

إنّ الذي يحدّد الأعلم من الفقهاء هم أهل الخبرة، وهم الذين لديهم القدرة على فهم الأبحاث العالية للمجتهدين، ومعرفة مدى متانتها، ولذا لا بدّ أن يكونوا من المجتهدين أيضاً، أو ممّن يدانيهم، ولذا لا بدّ أن تكون عندهم معرفة بآراء المجتهدين الذين تدور الأعلمية بينهم.

وهناك طرح آخر في هذه الفقرة: إذا تمّ تحديد الأعلم، فهل يحقّ للفرد أن يرجع إلى المرجع الآخر (الأعلم) غير الذي يقلّده في بعض المسائل، أم يجب عليه أن يرجع له في كلّ المسائل، أي: يغيّر مرجعه؟

الجواب: إنّ هذا الأمر يرجع إلى البحث في إمكان التجزّئ في الاجتهاد ووقوعه، ففيه أقوال ثلاثة:

الأوّل: القول بامتناعه؛ نُقل ذلك عن بعض بدعوى أنّ ملكة الاستنباط أمر بسيط، فإمّا أن تحصل، أو لا؟ فإن حصلت فلا يمكن تجزئتها.

وبعبارة أخرى: إنّما يدور أمر الملكة بين الوجود والعدم، ولا يعقل أن تتحقّق متبعّضة.

ونجيب عن ذلك: بأنّ بساطة الملكة وعدم قبولها التجزئة لا تمنع من حصولها بالنسبة إلى بعض الأبواب بحيث يتمكّن بها من الإحاطة بمداركه.. أو بأنّ التجزئة ليست في أجزاء الملكة نفسها حتّى يقال بأنّها بسيطة بل في أفرادها.

وبعبارة أُخرى: ليس المقصود من التجزّئ في الاجتهاد هو تجزئة الكيفية، بل المقصود منه هو التجزّئ في متعلّقها سعة وضيقاً، كملكة الشجاعة وغيرها؛ فإنّها قد تتّسع وقد تتضيّق باعتبار متعلّقاتها، وأمّا الملكة نفسها فهي واحدة.

الثاني: لزوم التجزّيء: بمعنى أنّه لا يمكن التوصّل إلى الاجتهاد المطلق إلاّ باجتياز مرحلة التجزّئ، فكلّ مجتهد مطلق لا بدّ وأن يكون يوماً مجتهداً متجزّئاً، كما ذهب إليه صاحب (الكفاية).

ويظهر من السيّد الخوئي الرغبة إلى ذلك إذ قال: ((بل لا يبعد أن يقال: إنّ المطلق من الاجتهاد مسبوق بالتجزئ - دائماً - وأنّ أي مجتهد مطلق كان متجزّئاً في زمان، ثمّ قوي وترقّى شيئاً فشيئاً حتّى تمكّن من استنباط أكثر الأحكام أو كلّها، وذلك لأنّ دعوى أنّ الرجل قد أصبح مجتهداً مطلقاً من ساعته أو ليلته من غير أن يكون مسبوقاً بالتجزّئ في زمان ممّا لا شاهد له، بل هي أمر غير عادي، ولا نستعهد وقوعه بوجه، ولعلّه إلى ذلك أشار صاحب الكفاية(قدس سرّه) بقوله: بل يستحيل حصول اجتهاد مطلق عادةً غير مسبوق بالتجزّئ)).

الثالث: إمكان التجزّئ: وذهب إليه الأكثر، بل نقل عن المحقّق الرشتي أنّه نسب القول بعدمه إلى الشذوذ.

وهناك محاولة للجمع بين الأقوال ربّما كانت قولاً رابعاً في المسألة، وحاصلها: أنّنا لو لاحظنا ملكة الاجتهاد في مرحلة تكوّنها فيستحيل التجزّئ؛ لأنّ الملكة تتوقّف على مقدّمات ومعدّات إن حصلت حصلت الملكة، وإلاّ فلا، ولا يعقل حصول بعض مقدّماتها. وإن لاحظناها في مرحلة أعمالها فلا بدّ من القول بالتجزّئ، بل ((التجزّئ في مقام إعمال الملكة يكاد يكون من الضروريات، بل لا يوجد في هذا المقام اجتهاد مطلق أصلاً)).

وعلى هذا الأساس من لزوم التجزّئ في الاجتهاد قال السيّد الخوئي في (كتاب الاجتهاد والتقليد):

((التبعيض في التقليد: قد اتّضح ممّا ذكرناه في مسألة وجوب تقليد الأعلم وجوب التبعيض في التقليد فيما إذا كان هناك مجتهدان، أحدهما أعلم في العبادات - مثلاً - والآخر في المعاملات، لكثرة اطّلاع أحدهما بالمصادر والأخبار، وتضلّعه في الفروع والنظائر، وقدرته على الجمع بين متعارضات الروايات، والآخر كان أكثر اطّلاعاً على القواعد الأصولية والكبريات، ومن هنا كان الأوّل أعلم في العبادات، والآخر في المعاملات، فإنّه يجب على المقلّد أن يبعّض في تقليده بأن يقلّد الأعلم في العبادات في العبادات، ويقلّد الأعلم في المعاملات في المعاملات، والوجه فيه هو: الأدلّة الدالّة على وجوب تقليد الأعلم، كما قدّمناها في محلّها.

هذا كلّه عند العلم بالمخالفة بينهما، وأمّا مع عدم العلم بالمخالفة فمقتضى ما قدمناه من جواز تقليد غير الأعلم أو المتساويين حينئذ جواز التبعيض في تقليدهما دون وجوبه؛ لجواز أن يقلّد العامّي أحدهما في مورد، ويقلّد الآخر في مورد آخر، لعدم العلم بالمخالفة بينهما، بل الحال كذلك بالنسبة إلى أجزاء عمل واحد وشرائطه، فللمكلّف أن يقلّد من أحدهما في الإكتفاء بالمرّة الواحدة في غسل الثياب أو في عدم وجوب السورة في الصلاة، ويقلّد الآخر في جواز المسح منكوساً - مثلا - أو الإكتفاء في التسبيحات الأربع بالمرّة الواحدة وذلك لأنّه استند في عمله وقتئذ إلى ما هو حجّة في حقّه)).

وهذا الذي ذكرناه ما هو إلاّ بحث علمي قد تطابق الفتوى على أساسه، وقد تخالف إذا كان هناك مانع آخر يذكر في محل آخر، وأنت من أجل العمل على هذا الحال وهو التبعيض في الاجتهاد لا بدّ من الرجوع إلى المرجع الأعلم الحي وهو الذي يحدّد أحكام ذلك، وجوازه أو عدم جوازه.

علي الوردي وموقفه من المؤسسات الدينية

العلامة الشيخ خالد البغدادي

علي الوردي حصل على الماجستير عام ١٩٤٨م، من جامعة تكساس الأمريكية، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٠م، من الجامعة نفسها، وصفه رئيس جامعة تكساس عند تقديم الشهادة له: (أيّها الدكتور الوردي ستكون الأوّل في مستقبل علم الاجتماع)، كتب في طبيعة المجتمع العراقي بنحو خاص، وقرأ العديد من الظواهر،إلّا أن في قراءته العديد من التأملات التي تستوقف ذوي الاختصاص، واليوم نريد أن نطالع ما كتبه الوردي عن علماء الشيعة وكيفية تعاطيهم مع المجتمع العراقي، والمظاهر الدينية التي كان يعيشها المجتمع المذكور.

في محطتنا اليوم من (متاهات المشككين) لنا وقفة مع الدكتور علي الوردي وتبيان موقفه من علماء الشيعة بالذات، وهل أن أقوال الواردة في هذا الخصوص هي كلمات تحاكي الواقع أم أنها كانت متجنية عليه؟ هذا ما سيطلعنا عليه سماحة العلامة الشيخ خالد البغدادي في حلقته هذه من (متاهات):

من المعروف في علم المنطق أن الاستقراء الناقص بملاحظة بعض الجزئيات لا يمكن استشفاف حكم عام منه يطال بقية الجزئيات التي لم يتم الاطلاع عليها، فإن أقصى ما يوفره لنا الاستقراء المذكور هو الظن بالحكم لا الجزم به، ومن هنا لا يليق بمن يتابع الظواهر الاجتماعية أن يلاحظ بعض الجزئيات ليعمم منها سلوكاً عاماً يطال فئة مهمة في المجتمع، فضلاً عن التقصير الحاصل في قراءة الظاهرة نفسها وعدم الخوص في أسبابها ودواعيها، فإن كل ظاهرة في المجتمع توجد فيها ثلاثة أبعاد هي: الشخص والفكرة والمبدأ، والاقتصار على قراءة الظاهرة من خلال الشخص نفسه دون الترقي إلى مناقشة الفكرة أو المبدأ فيه الكثير من التعسف في قراءة الظاهرة، فضلا عن الافتقار إلى الموضوعية وما ينبغي أن يلّم به من يدّعي الاختصاص في قراءته لظواهر المجتمع.

ولنا في هذه الأسطر القليلة وقفة مع الدكتور علي الوردي في قراءته لواقع علماء الشيعة في العراق وما لهم من دور وسلوكيات في التعاطي مع العامّة.

❖ ففي كتابه (دراسة في طبيعة المجتمع العراقي) يذكر علي الوردي هذه العبارة:

(لعلني لا أغالي إذا قلت إن فقهاء الشيعة هم من أكثر الناس دأباً في طلب العلوم الدينية واللغوية، وفي التنافس عليها، فهم لا يعتمدون على مرتبات مخصصة لهم يأخذونها من الحكومة، بل يعتمدون على ما يردهم من الناس من أموال، والناس بطبيعتهم حريصون على أموالهم، فهم لا يعطونها إلاّ لمن يثقون بعلمه وتقواه من الفقهاء، ولهذا أصبح كل فقيه شيعي واثقاً بأن مصيره المعاشي والاجتماعي منوط بمبلغ تبحره في العلم وزهده في الدنيا) ص٢٣٠.

إن محل التأمل في كلام الوردي هو عبارته الأخيرة، فإنها تعطي للمتلقي صورة مشوهة عن الواقع العلمائي لفقهاء الشيعة، فهذه العبارة توحي بأن رجل الدين إنما هو أسير أموال الناس، يعيش على ما تجود به أيديهم من فتات الدنيا وحطامها، وهذا منحى وطرح خطير وأسلوب متعسف في بيان واقع العوائد المالية للمؤسسة الدينية وكيفية تمويلها الذي خطته لها يد السماء قبل أن يأتي الوردي ويختزله هنا ببيانه الذي وقف فيه عند الأشخاص دون الولوج إلى عمق الفكرة أو المبدأ الذي تقوم عليه العوائد المالية المذكورة.

فهل من سائل للوردي في عبارته - المشوشة - هذه عن الجهة التي أوجبت على الناس دفع هذه الأموال، والتي يصطلح عليها شرعاً بـ: الحقوق الشرعية، إلى الفقيه الجامع للشرائط، ومن ثمّ هل أن أخذ الفقيه لهذه الأموال وصرفها يكون بشكل عشوائي أم أنه يخضع لضوابط شرعية يلزم توفرها عند الأخذ والعطاء؟!

فهذا مطلب علمي كان ينبغي للوردي بيانه ولو بكلمات قليلة حتى تتضح للقارئ الذي يطالع كلماته، الصورة كاملة وليست مجتزءة أو مشوشة بالشكل الذي طرحه هنا، والذي ربما أراد من خلاله أن يمرر غاية في نفسه يناهض بها الدين وأهله، وهو غير بعيد لمن يطالع كلمات الوردي ويتابعها.

فالذي أوجب على الناس دفع الحقوق الشرعية (المالية) إلى الفقيه الجامع للشرائط إنما هو الشارع المقدس، والذي حدد صرف هذه الحقوق في مواردها المخصصة لها هو الشارع المقدس، والذي حدد المواصفات والشرائط اللازم توفرها في الفقيه الآخذ لهذه الحقوق - من الاجتهاد والعدالة والإيمان ونحو ذلك - هو الشارع المقدس.. فإذا كانت كل الأمور هي بتوجيه من الشارع فما الذي كان يهدف إليه من عبارته القارصة هذه، والتي ألقاها على عواهنها من دون بيان علمي رصين للنظرية والتطبيق؟! أو إلى مَن كان يهدف الوردي من عبارته هذه؟!

❖ ولأن الحقيقة ناصعة لا يمكن للوردي أو غيره اخفاؤها أو مصادرتها بالمرة، فتراه يضطر إلى الاعتراف بزهد علماء الشيعة وعزوفهم عن الدنيا، إلا أنه لم يفتأ أن يعود إلى طريقته المعروفة من خلط السم بالعسل، ليقول كلاماً هو أقرب إلى التصريح بأن هذا الزهد إنما كان لغايات هو الحصول على رضا الناس لغرض الاستيلاء على أموالهم فقط.. فانظر إلى قوله في المصدر ذاته (ص٢٣١)-: (الواقع إن الكثيرين منهم يعانون الشيء الكثير من الحرمان وشظف العيش. فالموارد التي تردهم لا تكفي لأن يعيشوا بها عيشة مرفهة، ولكنهم على الرغم من ذلك منكبون على دراستهم انكباباً يدعو إلى إعجاب، فكل واحد منهم يأمل أن ينال بعمله وزهده رضا الناس. وتلك هي الغاية التي يسعى إليها طيلة حياته، فإذا وصل إليها بعد كفاح طويل صار مجتهداً كبيراً يشار إليه بالبنان).

فالغاية إذن عند علماء الشيعة في سعيهم وتحصيلهم العلمي، حسب بيان الوردي المتقدم، هو الحصول على رضا الناس، فهم يواصلون الليل بالنهار تحصيلا وجهداً وانقطاعاً من أجل هذه الغاية لا غير، ولا همَّ لهم سوى أن يحصلوا على فتات الناس وحطامهم، لأن هذا الأمر هو من لوازم الرضا المذكور، مع أنه في أحسن الأحوال- حسب اعتراف الوردي نفسه - أن ما يحصلون عليه لا يكاد يسد رمقهم فضلاً عن أن يمكنهم من العيش برفاهية..

وكما نلاحظ فإن الغاية لا تكافئ الوسيلة بأي حال من الأحوال، بل هي تكشف عن جملة تناقضات لا يرضاها أدنى الناس علماً وفهماً لنفسه فضلاً عمن يكون فقيهاً ومضطلعاً بعلوم الدين ومنقطعاً في تحصيلها ليله ونهاره، فإذا كانت الغاية هي رضا الناس والحصول على فتات الدنيا فهذا الأمر يمكن الحصول عليه بأقل القليل من الجهد الذي يبذله الفقيه في تحصيله العلوم، فما بال هذا الفقيه يعمل لما لا يناله، وينال ما لا يوازي عمله بأي حال من الأحوال، وهل يمكن أن يُكون الحمق لهؤلاء الناس - حاشاهم - قسمة متساوية لا يبغون عنها حولا؟! إن هذه الكلمات ستقض على الوردي مضجعه يوم يلتقي بأناس كان قد ظلمهم ولم ينصفهم وتجنى عليهم ولم يعطهم حقهم.

❖ وفي تخبط واضح في تبيان الحقيقة القرآنية والنبوية التي يسير عليها علماء الشيعة في مداراة العامة للوصول بهم إلى بر الأمان فيما يتعلق بشؤون دينهم ودنياهم ترى الوردي ينحى منحىً أقل ما يقال عنه أنه عيال على معارف الدين وأهله، وأنه كحاطب ليل لا يجيد سوى القيل والقال..فانظر إلى قوله - في المصدر ذاته(ص٢٣٢): (إن العامة بوجه عام ميالون للخرافة في شؤونهم الدينية، وكثيراً ما يبتدعون طقوساً وعقائد جديدة، حسب مقتضيات ظروفهم وحاجاتهم النفسية والاجتماعية. والملاحظ أن فقهاء الشيعة يدركون ذلك في أكثر الأحيان ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً إزاءه. فهم يخافون من العامة خوفاً شديداً، ولا يحبون معارضتهم في شيء إلا قليلا).

وهنا لابد لنا أن نعيد للوردي رشده ونذكره بأن مداراة العامة - بشكل عام- إنما هي سياسة قرآنية وسيرة نبوية وسلوك سار عليه الأئمة الهداة من آل محمد (ع).. فها هو القرآن الكريم، مدار للعامة الذين كانوا مولعين بشرب الخمر، فلم يقم بتحريم الخمرة دفعة واحدة، بل يمهد ذلك على مراحل ثلاث، فينزل في المرة الأوّلى ما يبين جانباً من جوانب الخمر بأن فيها إثماً كبيراً، قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس، وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعضهم، وقالوا: نأخذ بمنفعتها، ونترك إثمها، فنزلت هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى)، فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشربها بعضهم في غير أوقات الصلاة حتى نزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، فصارت حراما عليهم، حتى صار بعضهم يقول: ما حرّم اللّه شيئاً أشد من الخمر، إذا أكد تحريم الخمر والميسر بوجوه من التأكيد: منها: تصدير الجملة بإنّما.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى قرنهما بالأصنام، ومنها: انه جعلهما رجساً، ومنها: أنه جعلهما من عمل الشيطان، ومنها: أنه أمر باجتنابها، ومنها: أنه ذكر ما ينتج عنها من الوبال ثمّ ذيّله بالتهديد والوعيد منه بقوله تعالى: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)، فتحريم القرآن الكريم - كما شاهدناه- لم يأت دفعة واحدة، ولم يكن بأسلوب واحد، أو طريقة واحدة من البيان، وإنما كان على دفعات متعددة وبعدّة بيانات، وليس ذاك إلا مداراة للعامة وترغيباً لهم في الوصول إلى الهدف المنشود من إمتثال التكليف والعمل به، وهذه السياسة القرآنية من المداراة تراه سبحانه حتّى يندب أنبياءه للعمل بها مع أطغى طغاة الأرض، فانظرا إلى قوله سبحانه تعالى لموسى وأخيه هارون (ع) حينما بعثهما إلى فرعون: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ❖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)، والى هذا المعنى كانت تشير كلمات النبي الأعظم (ص) حين قال: (إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم) - أمالي الصدوق: ٣٤١. وفي هذا الصدد أيضاً يقول الإمام الصادق (ع): (مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش) (الكافي١١٧ باب المداراة)، وكما جاء عنه (ع) قوله: (قال رسول الله (ص): أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بإداء الفرائض) (المصدر نفسه). هذا، ومن راجع الباب المذكور - باب المداراة - في كتاب (الكافي) اطلع على جملة مهمة من الأحاديث الشريفة التي تبين طبيعة المداراة وأهدافها والغايات المستوحاة منها شرعاً، فعن الإمام الصادق (ع)، قال: (قال رسول الله (ص): ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن المعاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل) (المصدر نفسه). فالمداراة التي يعمل بها العلماء هي ليست أمراً منفصلاً عن الورع والأخلاق الحميدة، وإنما هي حلم ينبغي أن يشتمل عليه العالم في التريث بالناس حتى تسنح له الفرصة التي تمكنه من تبليغ أحكام الله إليهم، وفي وقت تكون نفوسهم قد استعدت لقبول الأحكام والعمل بها، تماماً كما شهدناه في مراحل تحريم الخمر من قبل المولى سبحانه وتعالى.

هذا، فضلاً عن حالة التقية التي ينبغي على العالم العمل بها في مقام التزاحم بين الأهم والمهم، وهي - أي التقية - مفهوم قرآني نبوي ربما غاب عن الوردي فهمه وإدراك أبعاده وسبر معانيه. ومن يقرأ التاريخ يجد كيف أن الأئمة (ع) بل نفس الصحابة في زمن الخلفاء الثلاثة الأوائل كانت قد مرت بهم أدوار في حياتهم لم يقدروا معها أن يغيروا شيئاً مما تعارف عليه الناس واشرأبوا محبته في قلوبهم، فانظر إلى قول أنس بن مالك فيما رواه الزهري عنه، قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: وما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت. (البداية والنهاية ٩:٩٤)... فهذا أنس بن مالك يشهد بما حصل من تغيير وتبديل في الكثير من معالم الدين حتى طال الأمر الصلاة وهي عمود الدين، ومع ذلك لم يستطع هو ولا جميع الصحابة العودة بالناس إلى ما كان الأمر عليه أيام رسول الله (ص)... فإذا كان الأمر بهذا الشكل مع من هم مقربون من بلاط السلطان وفي دار الحكم - كأمثال أنس- ولم يستطيعوا أن يغيروا شيئاً ممّا غيّره الناس واعتادوا عليه فما بالك بمن هم في حال من التضييق والتقتيل والتهديد والحبس والتهجير والمطاردة والتشريد كالأئمة (ع) وأتباعهم من العلماء الصالحين...

وفي بعض الأحيان قد يصل الشره بالعامة إلى عدم إطاعة إمام زمانهم وهو في سدّة الحكم إذا طالبهم بتغيير ما اعتادوا عليه من عبادات باطلة أو سنن موضوعة ارتضاها البعض لهم، فها هو أمير المؤمنين (ع) عندما آلت الأمور إليه طالب الناس بالكف عن أداء نافلة رمضان جماعة في المساجد والعودة بما

كانت عليه أيام رسول الله (ص) من الصلاة بها فرادى، لأن صلاتها جماعة بدعة كما اعترف بها مبتدعها الذي قال: (نعمت البدعة هذه) (البخاري ٥٨:٣)، ولكن الناس لم يصغوا لقوله بل تصايحوا باسم مبتدعها حتى كادت أن تقع الفتنة فتركهم (ع) على ما كانوا عليه... فقد روى الشيخ الطوسي في (التهذيب) (٧:٣ حديث ٢٧) بسنده إلى الإمام الصادق (ع): أن أمير المؤمنين (ع) لما قدم الكوفة أمر الحسن بن علي أن ينادي في الناس (لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة) فنادى في الناس الحسن بن علي بما أمره به أمير المؤمنين (ع)، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا: وا عمراه! وا عمراه! فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين (ع) قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين: الناس يصيحون: وا عمراه! وا عمراه! فقال أمير المؤمنين (ع): قل لهم صلّوا. (انتهى).

ولكن هذا لا يعني أن الأئمة (ع) والعلماء كانوا يسايرون العامة إلى نهاية الخط، بل هناك حدود لا يمكن تعديها في هذا الجانب، وذلك فيما إذا كان يدهم الإسلام أو المسلمين أمر يخاف معه على بيضة الإسلام ويخشى بواره، فتراهم (ع) أوّل المتصدين لذلك بل المضحين بكل غالٍ ونفيس في سبيل رفع كلمة الإسلام والحفاظ على شريعة سيد المرسلين (ص)، وهذا المعنى قد تجلى بوضوح في ثورة سيد الشهداء الحسين (ع) حينما كادت معالم الدين أن تندرس وهيبته أن تذهب بعد أن جلس على سدّة الحكم من يحتسي الخمر جهاراً نهاراً ويهارش القرود ويرتكب المنكرات ولا يتورع عن محرم في كتاب الله، فكانت تلك الثورة العظيمة التي صححت المسار للأمة وأعادت للإسلام روحه المحمدية الأصيلة، وهو الأمر الذي استشرفه النبي الأعظم (ص) من سبحات الغيب حين أخبر عن هذه الثورة العظيمة وأن بقاء رسالته العظيمة منوطٌ بها كما هو المستشف من قوله (ص): (حسين مني وأنا من حسين)، وهكذا أيضاً كان الحال عند باقي الأئمة الباقين من ذرية الحسين (ع) وكذلك هو شأن العلماء التابعين لهم، في التصدي والتضحية من أجل نصرة الدين إذا ادلهمت به الخطوب وتصارعت النوائب..

❖ وفي موضع آخر من كتابه- السالف الذكر- نجد الوردي لا يروق له أن يمدح أحد علماء الشيعة أو يذكرهم بخير، الأمر الذي يؤشر لروح المنازعة والمماكسة التي كان ينطوي عليها هذا الرجل مع العلماء أو ربما حتى مع الدين، فانظر إلى قوله في المصدر ذاته(٢٣١): (زار أحد الصحافيين المصريين بعض المجتهدين الكبار في النجف، فكتب في صحيفة مبدياً إعجابه بحياة الزهد والبساطة التي يحييها أولئك المجتهدون، مع العلم أن لهم نفوذاً كبيراً على عشرات الملايين من الناس، وتجبى لهم الأموال من كل مكان، لم يدرِ هذا الصحفي أنهم حصلوا على ذلك النفوذ الواسع بزهدهم، ولو كانوا مترفين لفقدوا نفوذهم).. انتهى

فيا لحظ العلماء مع هذا الوردي فحين يأتي الآخرون ويقولون إن علماء الشيعة زاهدون، ويبدون إعجابهم الفطري بذلك، يأتي الوردي ليقول إنهم زاهدون ليرضوا الناس وليستولوا على أموالهم، فتراه دائما يفرغ القيم والصفات العالية عند العلماء من محتواها ليهوي بها إلى قاع التسافل ليرضي حاجة في نفسه.

❖وفي خطأ منهجي تابع فيه المستشرقين، يظهر الوردي لقارئه أن فقهاء الشيعة هم ورثة المعتزلة في العلوم الفلسفية والكلامية، وأن هذه الدقة التي يتمتعون بها من عمق التفكير إنما هي من بركات متابعتهم للمعتزلة في نزعتهم الفلسفية، فانظر إلى قوله في المصدر ذاته(ص٢٣١): (ممّا يجدر ذكره أن فقهاء الشيعة هم ورثة المعتزلة في نزعة التفلسف وحرية التفكير. ولهذا وصلوا في تطوير فقههم إلى درجة كبيرة من الدقة والتشعيب). انتهى

ولا ندري هنا ماذا نقول أمام هذا الجهل بحقائق التاريخ ممن ينتمي لنفس حضارة المتحدث عنهم ويعيش بين أتباعهم ومحافلهم الثقافية ولا يتجشم عناء البحث عن الحقائق التي يتحدث عنها.. ولماذا نذهب بعيداً في هذه القراءة فلنأتي للوردي بكلمات أهل الاعتزال أنفسهم ليبينوا له بأن هذه العلوم التي أبدع فيها المعتزلة إنما كان مشكاتها هو أمير المؤمنين (ع).

وانتماء الشيعة له وأخذهم عنه إنما كان قبل الاعتزال بعشرات السنين.

يقول: ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه المعروف بـ(شرح نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين (ع): (... ما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى، وقد عرفت أن اشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف المعلوم... فإن المعتزلة - الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر، ومنهم تعلّم الناس هذا الفن - تلامذتهُ وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه (ع)، وأما الاشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن الاشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالاشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن أبي طالب (ع)، وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر). انتهى

فشهادة ابن أبي الحديد المعتزلي تكفينا في رد دعوى الوردي هذه، ولولا ضيق المقام لأسهبنا في رد الدعوى المذكورة وبيان عدم صحتها بالأدلة والوثائق التاريخية.

❖ ومن ثم في تصرف ملفت للنظر يصوب الوردي سهامه هذه المرة نحو الشعائر الحسينية، الركن المهم من اللحمة الشيعية، والتي تشكل عنصراً مهماً من عناصر ديمومة المذهب الشيعي وحيويته، فانظر إلى قوله - في المصدر ذاته(ص٢٣٧)-: (إن كل وجيه أو غني من الشيعة يميل إلى إقامة مجلس يقرأ فيه مقتل الحسين (ع) لمدة عشرة أيام، خصوصاً في شهر محرم وشهر صفر من كل عام. ومن يشهد هذه المجالس ويستمع إلى القصائد الحزينة التي يلقيها الخطباء فيها، وإلى وصفهم مقتل الحسين وأولاده وأخوته وأقربائه (ع)، يحس بالميل إلى البكاء. وقد تفنن خطباء الشيعة في ذلك تفننا عجيباً بحيث استطاعوا أن يحدثوا في كل مجلس يخطبون فيه عويلاً شديداً. وهؤلاء الخطباء يتحدثون إلى الناس على قدر عقولهم وباللغة التي يفهمونها. وكثيراً ما ينشدون الأشعار العامية بصوت حزين ومنغم فيحدثون أثراً بالغاً في النفوس).

يقول الوردي: (إن هذه الوسائل أصبحت الآن مستهجنة في نظر المتعلمين من الشيعة. والكثيرون من فقهاء الشيعة لا يرتضونها، وقد أعلن بعضهم شجبها وتحريمها. وهي في الواقع صارت تنفر الناس من التشيع بدلاً من جذبهم إليه). انتهى

ولا يسعني هنا إلا أن أقول بكلمة موجزة: إنه لم ترد في التراث لأهل البيت (ع) وأحاديث وأقوال من الحث على شيء كما وردت في إقامة الشعائر وقضية الحسين (ع)، فها هو الإمام الصادق (ع) يطلب من أبي هارون المكفوف أن ينشده في الحسين (ع). يقول: (أبو هارون): فأنشدته، فقال لي: أنشدني كما تنشدون (يعني بالرقة: أي بالطريقة التي تستعملونها عند الإنشاد التي فيها الرقة والتلاوة، والتي توجب التأثير في القلب، لا مجرد التلاوة). قال: فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى، ثم قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأخرى.

قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، فلما فرغت قال: يا أبا هارون من أنشد في الحسين فبكى وأبكى كتبت له الجنة - إلى أن قال (ع) - ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله (عز وجل)، ولم يرض له بدون الجنة. (ثواب الأعمال للصدوق،٨٤). فلا ندري بعد هذا - يا وردي - مَن من علماء الشيعة أفتى بحرمة الإنشاد على الحسين (ع)، وترقيق القلوب في الحزن عليه؟! ولعل الوردي كان يقصد بعض الشعارات التي كانت محلاً للكلام عند بعض الفقهاء كالتطبير ونحوه، مع أن هذا المعنى ليس ظاهراً من كلامه، ومع ذلك نقول: إن هذا البعض قد ذكر ما ذكر بالعنوان الثانوي وليس بالعنوان الأوّلي، وهذا المعنى يفهمه من يعرف لغة الفقه واصطلاحاته، ولا أظن الوردي وأمثاله هناك.

سماحة العلامة الشيخ عبد الحميد الجاف:

تأثر الوهابيون بانتقالي إلى المذهب الحق رغم إني لم أصرح لهم بذلك

حوار: سجاد الفتلاوي

بعد معاناة من الصراع مع لجج البحر المظلم وأمواجه القاسية،و العالية التي تقاذف الإنسان بين مجاهيل الواقع و عتمة المستقبل، هذه العتمة المستمدة من فقدان مصدر النور الحقيقي.. وسط كل هذا كان هناك في داخل ذلك الإنسان بصيص أمل.. بانتصار ما.. أو نجاح ما.. بسكون بحر.. أو إشراقة شمس.. أو ركوب سفينة.

وطالما تخيل العالم صوراً من سفينة نبي الله نوح (ع).. وكيف واجهت الطوفان وعاش من فيها.. ومات الآخرون.. سفينة من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.. سفينة تنقذ الإنسان.. تمر بسرعة البرق تكسر أعلى الأمواج بكل قوة.. كانت هذه أفكار الإنسان الذي وجد السفينة فتمسك بحبلها فركبها ونجا فكانت هذه قصة المستبصر الشيخ عبد الحميد الجاف احد أساتذة الحوزة العلمية.

ما هي الإشكاليات التي استوقفتك في التاريخ الإسلامي قبل استبصاركم وهل اقتنعت بما قدمه مفكرو هذا المنهج؟ ولماذا؟

عدم الاهتمام بأهل البيت (ع) وجعلهم كغيرهم بل كقاتليهم ومقاتليهم في ميزان واحد وعدم تفضيلهم في أي شيء رغم اهتمام النبي (ص) بهم وبفضلهم وحتى بوفاتهم وقتلهم!!

موقف علماء الوهابية العدائي من الإمام علي (ع) هل جاء من نتاج الموقف الشيعي أو لحجمهم في الساحة الإسلامية أم أن لهذا الموقف جذورا معادية لشخصيته أو مشروعه؟

بالحقيقة الوهابية امتداد حقيقي للخوارج والمنهج الأموي المعوج حيث أنهم أخذوا الإسلام عن بني أمية ومن ثم كان منظرهم الأوّل هو ابن تيمية الذي ثبت للجميع نصبه العداء لأهل البيت (ع) وتأسيسه لمنهج معاد واضح تتبناه للأسف الوهابية إضافة إلى إحساس الوهابية بخطر التشيع على أبنائها لكونه مذهبا يمتلك أدلة قوية تهز كيان كل مسلم مخلص يريد النجاة من النار و الفوز بالجنان.

عشت مرحلتين وهابي وشيعي فأيهما تراها اقرب إلى الله؟ ولماذا؟

بالحقيقة مع الوهابية لا تشعر بأي روحانية دينية ولا تركز الوهابية على تربية الفرد المسلم على التدين الحقيقي وأعني بها الأعمال القلبية والعبادة الروحية وإنما يقتصرون على التركيز على الشكليات و المستحبات الظاهرية

مع الوهابية لا تشعر بأي روحانية دينية

والحركات العبادية وبذلك يبتعدون عن روح الإسلام و جوهره فلا يمكن التقرب إلى الله تعالى من دون القلب والروح، أما التشيع فإنه يتميز بالعاطفة والعبادات الروحية والقلبية بالإضافة إلى الإتباع وعدم الإبتداع.

ما هي قصتك مع الألباني؟ ولماذا الألباني من باقي علماء الوهابية؟ وهل تعتقد أن الألباني قد كان فاهما أم جاهلاً لفكر أهل البيت (ع)؟

كنت معجباً بالألباني وبشخصيته وعلمه حيث كان الألباني مدرسة ومذهباً له قناعاته وفكره الخاص ولذلك كان يخالف حتى علماء الوهابية وقد طرد من السعودية لأنه اعترض على وجود قبر النبي (ص) في المسجد النبوي الشريف وكان محدثاً منصفاً نوعاً ما ذا قناعة وحرفة دقيقة في علم الحديث والرجال والحكم على الأحاديث بالصحة والضعف بغض النظر عن كونها توافق قناعاته ومذهبه أم تخالفها، ولذلك صحح حديث الثقلين وحديث الغدير وحديث (إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي) وخالف في ذلك إمامه وشيخه ابن تيميه ولكنه كان معجباً بنفسه وآرائه رغم كونه ضعيف الفهم باعتراف الكل، فلم يصل إلى الحقيقة التي أوصلني لها، مع الأسف!

بعدما اقتنع الجاف بما ظهر له واعتنق الإسلام المحمدي الأصيل، هل استطاع أن يثبت للآخرين ممن شاطروه قواسم المعتقد لما قبل التشيع بالمذهب الحق؟

الحمد لله بذلت في سبيل ذلك جهدا لا يعلم به إلا الله مع إخواني وأخواتي ووالدتي وكذلك أهل مسجدي الذي كنت أصلي فيه وزملائي في الكلية وفي سوق الكتب الذي كنت ارتاده وقد هدى الله تعالى على يدي العشرات ممن لم يسمعوا ولم يعرفوا أهل البيت (ع) وكذلك من الحيارى والمضطهدين الشيعة.

هل استهدفتك الوهابية؟ وهل حاججوك وناظروك؟ وكيف تصديت لهم؟

لقد تأثر الوهابيون بانتقالي إلى المذهب الحق رغم إني لم أصرح لهم بذلك حينها وعليه فقد ناقشني العديد من علماء بغداد السلفيين المتكلفين المجيء إلى بيتي لمناقشتي وكذلك في سوق الكتب (شارع المتنبي) أما أستاذي فقد أرسل إليّ بأن آتيه إلى بيته ولكنني أحرجت من ذلك لكونه علم بتشيعي من احد الوهابيين بعد أن صارحته بكل شيء وبعد أن دعوته للرجوع إلى التشيع الذي تربى عليه لكونه كردياً فيلياً، وبعد أن يئس أستاذي من مجيئي إليه أتى إلى المسجد الذي أصلي فيه فأخذني بسيارته وتوعدني واخذ مني موعداً كي أزوره في داره وذهبت له وناقشته وكان ضعيفا غير متخصص أمامي في المناظرة ولله الحمد أما الإخوان المسلمون فهم متنفذون في الدولة وقد اخبرني احد أصدقائي الذين يصلون في المسجد بأنهم قد نصبوا لي كميناً أمنياً وحذرني بأن اقترب من المسجد ومن بيت أهلي في بغداد. أما المواضيع التي حاججت الوهابية بها فهي وجوب إتباع أهل البيت وصحة حديث الثقلين وتحذير النبي (ص) أمته من الضلال مع عدم التمسك بهما. وتكلمنا في عدالة الصحابة وأفضلية أمير المؤمنين (ع) على عثمان وفسق معاوية ويزيد ونحوها من المسائل ولم أستطع البوح لهم بكل شيء حينها وغايته تكلمت في بعض مواقف عمر بن الخطاب المخالفة للكتاب والسنة فكشفوا أمري وابتعدت عنهم حينها.

سافرت إلى النجف والتقيت بعلمائها (رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء).. أولاً هل تحدثنا مقتطفات مما دار معهم من حوارات عقائدية؟ وثانياً كيف تصف لنا انطباعاتك بعد هذه اللقاءات؟

الحوار مع مراجع النجف حديث ذو شجون وله طعم خاص وهو طويل ومهم ولذلك ذكرته في كتابي (ثم شيعني الألباني) وقد دار الحديث والأسئلة والاستفهامات حول التوحيد والصفات وعدالة الصحابة والإمامة وسماع الأموات وحياتهم البرزخية وكان حواراً نافعاً جداً وقد أثلج صدري حينها.

تروي في كتابك (ثم شيعني الألباني) أن ليلة انتقال المرجع السبزواري (قدس) إلى الرفيق الأعلى كانت ظاهرة فلكية لفتت أنظارك.. فما هي؟

تساقط النجوم. نعم كانت ظاهرة عجيبة حقا! كان من عاداتنا كسلفيين نتعوذ من الشيطان حينما يسقط نجم مصداقا لقوله تعالى: (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب) في ليلة نظرت إلى السماء فبدأت النجوم تتهاوى فبدأت أتعوذ من الشيطان ولكن النجوم أصبحت تتوالى دون أن استطيع اللحاق بها وإكمال تعوذي من الشيطان فاستمر الأمر فسكتُّ هنيهة فتذكرت وجال بخاطري قوله تعالى: (فما بكت عليهم السماء) فقلت في نفسي كأن السماء تبكي وهذه ليست رجوماً للشياطين لعل أمراً عظيماً قد حصل اليوم! وفي اليوم التالي ذهبت إلى سوق الكتب فعلمت من الإخوة الشيعة بأن السيد السبزواري قد فارق الحياة بالأمس.

هل ما زلت على اتصال مع أقاربك الوهابية الآن؟ وكيف هي العلاقة؟ وهل التواصل معهم كان منطلقاً منك، أم منهم؟

الحمد لله ليس من أقاربي من هو وهابي ولكن أصدقائي كفروني وفارقوني!!

هل حاول بعض الوهابية إرجاعك إلى الوهابية؟

الكثير من الوهابية علماء وعامة حاولوا ذلك ولكن دون جدوى وبشتى الطرق؛ منهم من جاء إلى بيتي ليناقشني ويقنعني، ومنهم من عرض عليّ الإغراءات الكبيرة لأترك التشيع!

ماذا يمثل لكَ علي بن أبي طالب (ع) قبل وبعد الاستبصار؟

علماً شامخاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه جعله الله تعالى آية ومعجزة حية لتأييد الإسلام وهداية من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

حبذا لو تعطونا فكرة عن مشاعركم تجاه ضريح الإمام علي (ع) بعد الاستبصار، وذلك أثناء زيارتكم لمدينة النجف الأشرف؟

حينما أشرفت علينا قبة الإمام (ع) الذهبية رأيت شموخ الإمام (ع) وشجاعته ونور علمه وكأن الشمس مقرها قبر علي (ع) منه تشرق وإليه تؤوب ومن روحه الكاملة الكريمة تستشف نورها وتلألؤها ووجودها.

ما هي مشاعرك مع لقائكم وأول عالم من علماء الدين الشيعة، ومن هو؟ وكيف تعاملتم معه في باطنكم وخارجكم، وهل وضعت في نفسك مقارنة معه ومع علماء الوهابية؟

التقيت في النجف الاشرف مراجع النجف الكبار حينها وكأنني جالس عند رسول الله (ص) أو أحد أئمة أهل البيت (ع) من الوقار والهيبة والعلم الجم والأخلاق العالية وحسن الظن والقلب الكبير والرحمة الواسعة وهذا ما لم نتعوده في علمائنا سابقاً من دون مجاملة لأحد ولا ظلم لآخر.

كلمة أخيرة بحق علي (ع)؟

يكفي علياً اسمه العلي، ويكفي علياً أنه خالد وشامخ عند العدو والصديق، ويكفي علياً انه ولد في بيت الله ولا تزال له آية في بيت الله يريد الأعداء إخفاءها دون جدوى فهو آية الله الكبرى وحجته العظمى والنبأ العظيم والقرآن الناطق وأخو الرسول (ص) وزوج البتول (ع) وأبو السبطين الحسنين (ع) وأبو الأئمة الأطهار (ع) جميعاً.

دور الحوزة في تنمية المجتمع

د محمّد جواد شبع
كلية الآداب ـ جامعة الكوفة

إن الرسالة الاجتماعية للحوزة العلمية واضحة المعالم، فهي تعني قدرة الإسلام على معالجة المشاكل الاجتماعية التي يخلقها التغير الإجتماعي، فالفقيه الكفوء المجتهد قادر على معالجة المشاكل الحقوقية، والأخلاقية، والتعبدية، والفكرية عبر تسلّمه مقاليد الولاية الشرعية للأمة، إن السلطة مسؤولية أخلاقية يُكلف بها المعصوم (ع) أو من يمثّله من الفقهاء العدول من أجل تنظيم حقوق الناس وحفظ مصالحهم الشخصية والدينية والاجتماعية، وللتكليف الشرعي درجات مختلفة، أعلاها درجة الولاية للمعصوم (ع)، ثم الولاية الشرعية للفقيه زمن الغيبة والتي تتم من خلالها الإدارة الاجتماعية للأمة.

من الظواهر الاجتماعية التي تتميز بها المدن العراقية هي كثرة المؤسسات الدينية فيها، كالمساجد والمدارس والحسينيات ومجالس الوعظ (التعزية) وما أشبه نتاج الحوزة، وقد نشأت في هذه المؤسسات طبقة اجتماعية معينة تتألف من الفقهاء والوعاظ والخطباء، وهؤلاء يشعرون بأن من واجبهم إرشاد الناس إلى الأخلاق التي جاء بها الدين.

إن الغزو الثقافي موجود في امتنا الإسلامية والحوزة العلمية هي التي يمكن ان تقوم بدور الهداية، وتقدم الجواب الصحيح والرؤية الواضحة التي تنطلق من الإسلام، وما يشاع من ضلالات وانحرافات وبدع وإثارات تؤدي إلى تشويش أفكار الناس وتفرقتهم وتمزقهم، وتقوم الحوزة العلمية بدورها الحقيقي عندما تنفتح على مشكلات الأمة لاسيما المشكلات الاجتماعية، وتقدم الحل الصحيح لهذه المشكلات.

ومن واجبات الحوزة العلمية وعلى رأسها المرجعية الدينية كما يذكرها شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم(قدس سره)، إيجاد مؤسسات وتجمعات وكتل صالحة قادرة على ملاحقة المنكرات الجماعية كالرشوة ومعاونة الظالمين والجائرين واستغلال المناصب والمواقع لذوي النفوذ والقدرة لأغراضهم الشخصية أو العشائرية أو المحلية أو الغربية أو محاربة البوح والإفتاء بغير علم ومن بين الإعمال التي قامت بها المرجعية الدينية في فترة ستينات القرن العشرين والمتمثلة بالإمام السيد محسن الحكيم (قدس سره) ترسيخ دعائم حركة جديدة في بناء المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية بصورة واسعة من اجل إعطاء تلك المرحلة قدرتها على الإدامة والاستمرار، فكانت جماعة العلماء، وغيرها من التنظيمات الإسلامية.. والجمعيات الثقافية الكبيرة التي أسست أمثال جمعية الصندوق الخيري، وجامعة الكوفة، وغيرها من المؤسسات.

وأسهمت الحوزات العلمية في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية وتعريب المسلمين القادمين إلى تلك الحوزات من الصين ومنغوليا وأوزبكستان وأفغانستان والهند وتركيا وإيران..ومثل هؤلاء الطلاب من غير العرب يعودون إلى بلادهم علماء نحو وصرف وبلاغة، فضلا عن كونهم علماء دين، وغير خفي ما لمثل ذلك من أهمية في نشر اللغة العربية وعلوم القرآن، إذ بمجرد أن يعود هؤلاء الطلاب المغتربون إلى بلادهم فإنهم يعودون وهم يشعرون بشيء غير قليل من الفخر لأنهم يعرفون العربية، ويقرأون القرآن، ويفهمون كتب التاريخ الإسلامي والعربي، بلغتها العربية، وقد ينقلون ذلك لأبنائهم ومواطنيهم في تلك البلدان الأجنبية.

وإذا ما تخطينا الأدوار الأول للحوزة العلمية في مواجهتها للتيارات الفكرية المنحرفة، وتصميمها على تقوية دعائم الدين، وإرساء قواعده في العصور السابقة، وانتهينا إلى القرن الأخير، لأدركنا مقدار المسؤولية التي تحمل أعباءها علماء الإسلام ومفكروه، وحجم الخدمة التي قدمتها الحوزة العلمية للمحافظة على بقاء الشريعة، واستمرار حركتها خلال المنازل التي اتسمت بسعة ساحة الصراع وشموليتها وجدية التحدي ووفرة إمكانات الخصم وتعدد وسائل التضليل والتمويه والانحراف، ولاحظنا مقدار النضوج الحاصل في عمق هذه المواجهة، وقوة الإرادات المبارزة لهذه الانحرافات، لاسيما عند انتشار الحملات التبشيرية المرافقة لاستعمار البلدان الإسلامية، والأفكار الاعتقادية المنحرفة كالوهابية والبهائية والبابية، وهجمة التيارات الغربية المضللة، وكان في طليعة المواجهين لهذه التيارات الشيخ محمد جواد البلاغي (م١٣٧٨هـ)، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد الشهيد محمد باقر الصدر (م١٤٠٠هـ) والشيخ الشهيد مرتضى المطهري (م ١٣٩٩هـ) وغيرهم كثيرون.

ولم يقتصر دور الحوزة العلمية على هذا الأمر الحيوي، بل مارست الحضور الدائم والفاعل في الفترات الحساسة التي مرت بها الأمة الإسلامية بمنعطفات مصيرية فاصلة،انطلاقا من موقعها الذي تأخذه في ساحة المواجهة،ومناهجها التي تستوعب كل خصوصيات الحياة، فان (علم الفقه) الذي يمثل المحور الأساس والعمود الفقري لكيان الحوزة العلمية يتكفل بتلبية جميع مطاليب المجتمع ويدخل في جميع شؤونه ويعين التكاليف الإلهية والمواقف العملية التي يحتاجها الفرد والمجتمع إزاء الوقائع والأحداث في الميادين المتعددة.

فالحوزة العلمية والمرجعية الدينية بالخصوص صمام الأمان للأمة في مواجهة التحديات المتنوعة، وانفتاحها على التجربة الإنسانية والإسهام في التفاعل الحضاري للأمم والشعوب، الذي بات اليوم يمثل هاجساً للأمم والشعوب مما يعرف بالعولمة، إذ لولا الدور الريادي للمرجعية الدينية في إدارة المجتمع الإسلامي وسط هذا السيل العالمي من الشبه والانحرافات والابتذال المعرفي، لغدت الأمة واحدة من الأمم التي جرفها السيل، فتغدو بعيدةً عن دينها وثقافتها ولغتها كما هو الحال في كثير من الشعوب والمجتمعات.

المدرسة الشبرية.. شاهد يتحدى الطغاة

حوار: علي الوائلي

متولي المدرسة الشبرية
سماحة السيد محمد أمين شبر

ما إن تدخل إلى محلة البراق إحدى المحلات الأربعة لمدينة النجف الأشرف القديمة والقريبة من مرقد الإمام علي (ع) وأثناء تجوالك في الدهاليز الضيقة لهذه المحلة تجد معلما من معالم هذه المدينة وتراثاً شامخاً يروي قصص وحكايات عدد من العلماء الذين ارتادوه لتبقى جدرانه تحكي فترة من تاريخ العراق المعاصر ولمحة من لمحات تاريخ مدينة النجف المضيئة، إنها المدرسة الشبرية التي درس فيها منذ تأسيسها العديد من الطلبة لاسيما ممن هم من رجال الدين والتي تضم آلاف المخطوطات والكتب والمصادر المهمة، تعرضت للإغلاق من قبل جلاوزة النظام المقبور الذي لم يراعوا إلى أي مركز أو مدرسة تمنح العلم لأبناء هذا البلد والذي حاول طمس العلم والثقافة، فقتل العديد من العلماء والمثقفين وهجّر الكثير منهم وكانت النجف الأشرف لها الحصة الكبيرة من هذا الإرهاب الصدامي فسفك الدماء الطاهرة من العلماء الأعلام وهجّر الكثير منهم وراقب الذين ينتمون إلى الحوزة العلمية أو من يقترب منهم وأغلق المدارس الدينية والتي كانت المدرسة الشبرية إحدى تلك المدارس التي طالتها أيادي البعثيين إلا أنها وبعد زوال تلك الطغمة الفاسدة تم افتتاحها من جديد من قبل السيد محمد أمين شبر ليبث الروح فيها، وهي اليوم يرتادها الكثير من طلبة الحوزة العلمية والمثقفين وطلبة الجامعات وقد فتحت أبوابها لجميع من يأتيها من داخل وخارج البلاد لذا كانت لنا في هذا التراث الخالد وقفة مع سماحة السيد أمين شبر المتولي لها لنتعرف عليها أكثر.

متى تأسست المدرسة الشبرية ومن هو مؤسسها؟ ومن هو أوّل متول لها؟

تأسست المدرسة الشبرية أي بدأ البناء بها في سنة (١٩٦٤م)؛ كنت صغيراً في حينها، وأنظر لمّا وضعوا حجر الأساس لهذه المدرسة واستمر البناء بها لمدة ثلاث سنوات وقد تم افتتاحها في سنة (١٩٦٧م)، هذا واختار الجد والوالد (رحمهم الله) المناسبة في يوم ميلاد الإمام الحجة المنتظر (عج)، فلذلك تم الافتتاح في ليلة (١٥) من شعبان بافتتاح المدرسة في حفل مهيب جدا حضره مجموعة من العلماء والمراجع والفضلاء.. وهذا الحفل موثق بالصور ومن ذكرياتي إن المرجع الكبير سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي (دام ظله) كان من الحضور وجالس مقابل المنصة، وهو في سن شبابه، كما وأنه من أوائل من انتسب إلى هذه المدرسة منذ تأسيسها.

أما مؤسس المدرسةَ فهو جدنا المقدس آية الله السيد علي شبر عالم الكويت آنذاك، ولما أسسها جعل التولية من بعده إلى ولديه وهما والدي (السيد جواد شبر، وعمي المرحوم السيد محمد علي شبر) كلاهما توليا المدرسة لكن العم قُتل في سنة (١٩٦٩م) في شارع الرسول وبقيتْ التولية للوالد (رحمه الله) واستمرَ في تولية المدرسة الشبرية إلى سنة (١٩٨٢م)، حيث تم اعتقاله في ليلة (١٥/٧) والتي توافق ليلة النصف من شهر رمضان المبارك؛ اعتقل من المدرسة الشبرية وغُيِّبتْ أخباره.

الكثير من الأشخاص يسمعون أن هناك مدارس دينية، ويود التعرف عن دواعي تأسيس هذه المدارس؟ وليفهم الشخص الآخر البعيد عن أجواء النجف الأشرف ماذا تعني كلمة المدرسة؟ نضع بين أيديكم سماحة السيد توضيح ذلك؟

النجف الأشرف مما لا يخفى عليكم هي مركز الإشعاع الفكري أو عاصمة العلم، لذا تحتاج مدينة النجف إلى مدارس، وهي على نوعين مدارس يحضر الطلبة فيها الدروس، وأخرى للسكن والدراسة.. فيأتي الطالب من محافظات العراق أو من الدول الأخرى ليسكن فيها حتى يواصل دراسته، فلذلك أنشئتْ المدارس لهذا الغرض؛ فهي لسكن طالب العلوم الدينية، (غرفة معدة للنَوم، ومكان للأكل، وآخر لمواصلة الدرس)، والمدرسة الشبرية أنشئت فيها (٤٥) غرفة من دورين وأربعة سراديب، وفيها سطوح، فالطالب يأتي إلى هنا من الخارج تهيأ له الغرفة لنومه، وهناك مطبخ يأكل فيه، وفي الغرف ينام، وفي فصلي الشتاء والصيف ينزل إلى السراديب، وبالنهار والليل يصعد إلى السطح صيفا، وفي نفس الوقت يدرس في (المدرسة) أو يخرج إلى المساجد الموجودة (كجامع الهندي، وجامع الخضراء، وجامع الترك.. وغيرها) فأنشئت المدرسة الشبرية لهذا الغرض على يد جدنا (رحمه الله) فهو قد فكر في مكان للطلبة لأن طلبة العلوم آنذاك كانوا يعانون من قلة المدارس، وفي سنة (١٩٦٧م) أسستْ المدرسة، فكان الموجود آنذاك (مدرسة البروجردي، والبغدادي، ومدرسة الكلنترية)، فجدنا رأى ضرورة لإنشاء مدرسة دينية ينام بها الطلبة ويدرسون ويتباحثون في الوقت ذاته، وعلى هذا اشترى ثلاثة بيوت (لآل مرزة) وتم هدمها وإنشاء خريطة جديدة وشيدت المدرسة..

بالتأكيد أن المدرسة منذ ذاك العهد وليومنا هذا مرت بالعديد من مراحل الإصلاح والتغيير والتجديد، نأمل من سماحتكم إطلاع القارئ على مراحل التجديد فيها؟

المدرسة واجهت تحديات كثيرة من أزلام النظام المباد، وأنا عاصرت تلك التحديات منذ صغري واستطيع القول أني وُلدتْ مع المدرسة منذ وضع الأساس. إلى أنْ اكتملت وأنا كنت حاضراً مع والدي الذي كان يستقبل الطلبة الجدد، وكيف كان يتعامل معهم، وكنت أقيم علاقات طيبة مع الطلبة الموجودين، وقد تم افتتاحها قبل مجيء حزب البعث الخبيث بسَنَة، فعانتْ المدرسة في بداية وصول حزب البعث الحاقد عدة معاناة فكان أزلام الأمن يأتون للوالد بين فترة وأخرى وهم يرومون التجسس على الطلبة والحصول على أسمائهم وعناوينهم، ووالدي كان يُحْرَجُ معهم وكنا كلما نأتي إلى هنا ليلا نرى أزلام النظام في باب المدرسة يريدون الانقضاض على بعض الطلبة، فعشنا حالات من الرعب أيام حزب البعث، وأتذكر لما سُجنتُ في عام (١٩٧٤) في زنزانات الأمن وكنت في

حينها صغيراً كان المحقق المجرم الذي اسمه (فيصل) مسؤول الشعبة الخامسة **يسموها مكافحة الرجعية أي (ضد المتدينين، ورجال الدين) فأيُّ واحد يسأله: أنتَ من أين؟ فيقول: من المدرسة الشبرية، فقال الجلاّد مقولته الشهيرة وبغضب شديد: (كل البلاء جاءنا من المدرسة الشبرية، سنحرق المدرسة الشبرية)**. أي توعد بحرق المدرسة . وهذه كلمته لا أنساها لكن الآن والحمد لله أراني العكس، أحرقهم وبقيت المدرسة، وهنالك بيت شعر يحضرني من خلال قصيدة الشيخ المرحوم محمد مهدي مطر التي ألقاها في افتتاح المدرسة:

وتبقى الشبرية وهي مجدٌ ... لما تركَ الأوائلُ والجدود

ليس خفياً أن البعث الفاشي قد تفنن بالإجرام، ومحاربة الحوزة العلمية بجميع كياناتها وأروقتها، هل لسماحتكم أن تطلعونا عن مراحل الصراع مع هذا الحزب اللئيم..؟

في (١٩٨٢/٧/١٥) تم اعتقال الوالد من المدرسة، بعد أن كسروا الباب في منتصف الليل الساعة (١٢:٣٠) وصعدوا إليه وكان نائماً في سطح المدرسة فأخذوه واعتقلوه، ومنذ عام (١٩٨٠م) بدأت سلسلة من الاعتقالات، والإعدامات لطلبة المدرسة الشبرية عدا بعض من ذهب إلى خارج العراق، والمدرسة آنذاك كانت تعتبر عند النظام (مدرسة الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) وهذا الاسم مخيف للسلطات لأن أكثر الطلبة من مؤيديه، ولما اعتقل الوالد في سنة (١٩٨٢م)، اضطررتُ أنا لمغادرة العراق إلى الجمهورية الإسلامية، وبقيتْ المدرسة بلا متول، سوى قيام بعض الناس الذين حافظوا عليها، وبرأيي أنها رعاية إلهية ففيها من المخطوطات بحدود (٣٠٠) مخطوط وبقيت محفوظة إلى يومنا هذا بمعجزة من الله، فمن المعلوم أن النظام طالما أحرق المكاتب والكتب، فهو معادٍ للكتاب والمكاتب.

ما هو الرابط بين سماحة السيد الشهيد جواد شبر وسماحة السيد الشهيد الصدر؟

علاقة قوية جداً بين سماحة السيد الوالد وبين سماحة السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رحمهما الله)، حيث كان السيد الصدر (قدس سره) يقيم مجلس العزاء ولمدة ثلاث ليال في منزله بمناسبة استشهاد الإمام موسى بن جعفر (ع) وكان الخطيب الوحيد الذي يقرأ له هو السيد جواد شبر، لأن السيد جواد شبر كان معروفاً بشجاعته؛ جريئاً في الحق، وأعتقد أن السيد جواد شبر كان من أبرز الخطباء الذين تصدوا للنظام بقوة. فكان موقفه هذا من أهم أسباب غلق المدرسة الشبرية في ذلك الوقت.. فكان من أهم الرموز العلمائية المتصدية للنظام المقبور هو سماحة السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس)، وعلى صعيد الخطباء سماحة السيد جواد شبر (رحمه الله)، هذا فضلاً عن وجود روابط ووشائج عائلية بين عائلتنا وعائلة السيد الشهيد (قدس).

كما وكان للسيد جواد شبر شخصية قوية، كان ينتقي الطلبة من أهل الثقافة والوعي، وكان ينسق مع السيد الشهيد الصدر بانتقاء الطلبة، وكانا يفضلان خريجي الجامعات وخريجي كلية العلوم، كخريجي كلية الهندسة، ومن طلبة الشبرية من ذوي الكفاءات: (المهندس المعماري الشهيد حسين باقر، صهر السيد الشهيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)، فهو أحد الشخصيات الكبيرة المتميزة بالتقوى والورع والروحانية العالية والإيمان الكبير، وكذلك الشيخ المرحوم محمد جواد مغنية.. وغيرهم).

هل لديكم مشاهدات أخر عن العلماء الذين تخرجوا من هذه المدرسة؟

نعم: هناك أسماء لامعة تخرجتْ من الشبرية من جملتهم، (العلامة الشهيد السيد عارف الحسيني زعيم شيعة الباكستان، كان طالباً في هذه المدرسة، ومن مجتهدي حوزة قم المقدسة، السيد احمد المددي، ومن أبرز علماء استراليا، السيد هاشم نصر الله، ومن الشهداء الشيخ ناظم عبيد البصري، والسيد عصام شبر من علماء البصرة، والسيد عادل شبر، والشيخ عبد الأمير الساعدي من العمارة... وغيرهم الكثير.

هل ثمة موقف أو حادث شهدته جدران هذه المدرسة المباركة، ما زال يعلق في مخيلة سماحة السيد محمد أمين شبر؟

أنا شاركت في كل الانتفاضات في عهد النظام المقبور، ففي انتفاضة رجب بعد اعتقال السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) خرجنا إلى السوق الكبير صباحاً وهتفنا ضد النظام وهرعنا إلى (سوق المسابج) وجئنا إلى المدرسة الشبرية واختبأنا فيها، النظام كان يجن جنونه من الطلبة. فكان عندنا (الشهيد السيد صباح هاشم الطباطبائي صهر الشهيد السيد حسن القبانجي الخطيب المعروف آنذاك، والشيخ مهدي الناصري عضو مجلس نواب الآن، ومن علماء البصرة الشيخ حسن آل عبد الله الحسن، والشيخ خير الله كاظم كان عضواً لمجلس النواب أيضاً وهو من طلبة المدرسة الشبرية..).

هل هناك شروط لقبول الطلبة؟

بالطبع..

أوّلاً التقوى والورع، وهي أهم نقطة ونحن لا نقبل أي طالب إذا لم يكن لديه ورع وتقوى والمفروض كل شيعي عنده ورع وتقوى فالإمام الصادق (ع) يقول: (والله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه)، فكيف بطالب العلم؟!

ثانياً العلم.

ثالثاً: عنده حس اجتماعي يجب أن يفكر بالأمة والناس، وأن يكون بتماس مع المراجع العظام والحوزة العلمية، فإذا ارتفعت الحوزة، فالناس ترفع رؤوسها..

هل هناك أكاديميون تركوا الدراسة الأكاديمية وانتقلوا للحوزة؟

ج/ نعم: كان السيد محمد الحيدري، وهو الآن إمام جامع الخلاني خريج كلية العلوم، والسيد حامد علي حامد الحسيني من سوريا كان خريج كلية أيضا، والشيخ حسين الأنصاري خريج كلية علوم، والشيخ ناجي النجار خريج معهد المعلمين، والسيد علي مهدي الخرسان خريج كلية، والدكتور علي رمضان عنده

دكتوراه في الشريعة وهو من أهالي محافظة ميسان ومواليد عام (١٩٥٣)، والشيخ محمد رضا الشاهرودي وهو عالم إيراني درس في المدرسة ومن ثم أصبح سفير الجمهورية الإسلامية في ليبيا والجزائر والسعودية.

هل هناك رجال آخرون ذكروا هذه المدرسة عن طريق كتاب أو محور لقاء؟

نعم هناك الكثير.. وما من عالم إلا وذكرها أو درس فيها وأثنى عليها وعلى تاريخها وجهادها وأصالتها.

وفي هذا الصدد التقيت بمراجع عظام وأثنوا عليها وفي مقدمتهم سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، وسماحة المرجع الديني الكبير الشيخ بشير حسين النجفي، وسماحة المرجع الديني الكبير الشيخ إسحاق الفياض، (دام ظلهم الوارف)، وهكذا سماحة السيد صادق الشيرازي، والسيد محمود الهاشمي وغيرهم من العلماء الأعلام (حفظهم الله ذخراً للإسلام)..

ذكرتم شيئاً عن المخطوطات، هل يمكن أن نتعرف على المخطوطات الموجودة في هذه المدرسة المباركة؟

مع افتتاح المدرسة الشبرية سنة (١٩٦٧م) أنشئت مكتبة لطلبة العلوم فيها، فكما يقول برناردشو: البيت الذي بدون مكتبة، كالجسد بلا روح. فأسست المكتبة بتزويد من المؤسس الجد (رحمه الله) إذ بذل أموالاً لشراء دورات (فقهية، وأصولية، وكتب تاريخية) هذا حقل، وحقل آخر للكتب المخطوطة والتي في مقدمتها مخطوطات جدنا السيد عبد الله شبر والتي ورثها عن أبيه السيد محمد رضا، وكانت الكتب المخطوطة متناثرة عند بعض أفراد الأسرة وكان عندنا عالم في البصرة السيد عباس شبر عنده مكتبة ضخمة وهذا الرجل أديب وشاعر وقاضي، توفى سنة (١٩٧٠م) فكتب في وصيته كتبي كلها المخطوطة والمطبوعة تذهب إلى المدرسة الشبرية لكن بعض أبنائه لم يقبلوا، ولكن جدي استطاع إقناعهم فقبلوا بذلك، ووالدي ذهب بنفسه وحملها وجاء بها إلى المدرسة الشبرية، فصارت مكتبة رائعة وفيها من الكتب المطبوعة والمخطوطة ما يثري طالب العلم، وبعد عودتي من إيران عدت إلى المدرسة ودخلت إلى المكتبة وإذا بي أرى أن المخطوطات موجودة، وأنا اعتبرها معجزة إلهية من الله فالمخطوطات موجودة لحد الآن وأدخلتها في أقراص مدمجة، وبدأنا بتحقيقها وإعادة طباعتها. وفي هذا الصدد أسست مؤسسة باسم (المؤسسة الشبرية لإحياء التراث) في سنة (١٩٩٩م) وعملها الأساس إحياء تراث آل شبر.

هل هذه المخطوطات والكتب مختصة بالمناهج الحوزوية والكتب الدينية فقط أم هي متشعبة في الفلسفة والطب وبقية العلوم؟ وهل مختصة باللغة العربية أم هناك تعدد في اللغات؟

اللغات الموجودة في المكتبة هي اللغة العربية والفارسية، والمواضيع عندنا كثيرة (الطب، والفقه، والأصول، والتفسير، والتاريخ، والشعر والأدب، والأخلاق.. والمواضيع الأخر).

هل باستطاعة سماحة السيد المتولي أن يعطينا تصوراً عن ظروف الوقفية والتولية لهذه المدرسة المباركة؟

أنا استلمت تولية المدرسة في سنة (٢٠٠٣م) بعد سقوط النظام لأن جدي كتب في الوقفية المتوليان بعدي السيد (جواد شبر، والسيد محمد علي شبر) ومن بعدهما لأبنائهم الذكور دون الإناث الورع والأصلح، وعندما سقط النظام اجتمعت الأسرة الشبرية في بغداد وأنا كنت في الكويت، فالسيد محمد علي عنده خمسة أبناء يعملون بالتجارة في بغداد وبعيدين عن أجواء الحوزة فبقي أبناء السيد جواد نحن خمسة الكبير (البروفيسور كاظم في لندن اختصاصه إدارة الإنتاج وهو غير مستعد أن يأتي إلى النجف لظروفه الأكاديمية، واصغر منه الدكتور صلاح في كندا اختصاص بالطب، واثنين استشهدا إبان النظام المباد، فبقي سيد محمد أمين تنطبق عليه الوقفية فاتصلوا بي وجئت لاستلام المدرسة فدخلت النجف بعد فراق (٢١) سنة.

هل قام الوقف الشيعي والدولة العراقية بالاسهام في تأهيل أو تقديم ما يمكن تقديمه لهذه المدرسة المباركة باعتبارها معلما عراقيا دينيا مهما؟

لما أتيت واستلمت المدرسة وجدت فيها مجموعة من الطلبة مع الأسف الذين لا يصلحون لطلب العلم. فبدأت بجمع الطلبة، وقلت لهم: أنا أريد من الطلبة أن تتوفر فيهم شروط، وهي: التقوى، والورع، والعلم. وبدأت أعيش معهم وأراقبهم وبدأت أنتقي النماذج الرائعة، والآن والحمد لله، طلبتنا من خيرة طلبة الحوزة العلمية في النجف الاشرف، فكانت مهمتي في المدرسة على صعيدين: الأوّل: اختيار أفضل الطلبة وفق الشروط التي ذكرتُها، فأهل البيت (ع) صَنعوا الإنسان. فانتقيتُ الطلبة من أهل الورع والتقوى والطيبة والعلم وأهل الحس الاجتماعي، وعلى الصعيد الثاني أن المدرسة كانت آيلة للسقوط قد بُنيتْ في سنة (١٩٦٧م) وإلى عام (٢٠٠٣م) لم يتم ترميمها فبدأت بترميمها، نعم بمساعدة الوقف الشيعي ساعدونا بجزء وبعض المحسنين.

أين هي المدرسة الشبرية من هذا الكم الهائل من المدارس اليوم؟

المدرسة الشبرية اليوم من أفضل مدارس النجف الأشرف من ناحية بنائها وموقعها الاستراتيجي وقربها من مرقد الإمام (ع)، وكذلك نوعية الطلبة فيها وتاريخها، يعني المدرسة متكاملة، لذلك أنا أعاني يومياً من زحام الطلبة لطلب مكان في المدرسة، فأحرج منهم.

المعروف عن النجف أنها ذات جلسات شعرية، وندوات ومحطات ثقافية مشعة ومتزودة ومتزينة برجالات الحوزة العلمية ومراكزها، ما هي اسهامات الصرح الشبري في ذلك الشأن؟

السيد جواد شبر مدرسة، فهو شاعر، وأديب، ومؤرخ، وخطيب، وعالم، لذلك كان يستقبل في غرفته الصغيرة الشعراء والأدباء وفي مقدمتهم: جعفر الخليلي رائد القصة العراقية، والدكتور محمد حسين الصغير وعلي الخاقاني صاحب شعراء الغري، وصاحب البابليات، ومحمد علي اليعقوبي، والعديد من الشعراء الشعبيين وكذلك الرواديد أمثال عبد الرضا، وفاضل الرادود، والشيخ هادي القصاب، وياسين الرميثي، ووطن.

من ضمن مشاريع المدرسة إنشاء متحف، ما هي طبيعة ومكونات هذا المتحف؟

حقيقةً ستكون الغرفة التي كان يجلس فيها السيد الوالد والتي كان يستقبل فيها العلماء والأدباء والمفكرين أن تكون مكان المتحف، ويكون في الغرفة مقتنيات الوالد كالعمامة والقلم والعوينات وغيرها ويتم فيها إنشاء نصب له، يبين مكان جلوسه، ومكان جلوس السيد الشهيد الصدر الأوّل، والسيد مصطفى الخميني، والسيد محمد باقر الحكيم.. وغيرهم وقد تم الاتفاق مع مهندس مختص لوضع التصاميم الخاصة لهذا المتحف.

كلمة أخيرة:

تحية إلى مجلتكم الغراء.. وأرجو لكم التوفيق في رفع كلمة الحق والحقيقة.. وإن شاء الله تكون منبراً رسالياً لطلبة العلوم ولجيل المستقبل..

(وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ).

الحوزة العلمية في النجف الأشرف

واثرها في جيوبولتيك السياسة الداخلية والخارجية

عادل كاظم عباس العبدلي
ماجستير جغرافيا

يعرف الجيوبولتيك على أنه العلم الذي يدرس ويحلل الظاهرة الجغرافية السياسية المحلية أو الاقليمية أو العالمية في ضوء المتغيرات الكوكبية، ومؤثراتها الإقليمية والدولية وإقاليمها المتغيرة بالمكان والزمان، وبعبارة أخرى أنه العلم الذي يفسر جغرافيا (مكانيا) بإسلوب منطقي تحليلي، الاسباب الجغرافية التي تفعل وتحرك الحدث السياسي وتعقده، أو تشله، أو تساعد في حله، من إيجاد الرابطة السببية لمثل هذا الحراك.

فالجيوبولتيك هو العلم الذي يدرس المشهد العالمي من وجهة النظر المكانية، ويهتم بالتحليل المكاني للظواهر السياسية، والروابط السببية بين القوى السياسية ومجالها الجغرافي، وأن العلاقة بين الجغرافية والسياسة يجب أن توصف بطرق متميزة تماما، فهو ليس مصطلح للمزج العام بين السياسة والجغرافية، ففي الأحرى يجب أن يفهم على أنه تقليد تصوري ومصطلحي في دراسة الصلة السياسية والستراتيجية بالجغرافية.

إن قيام الحوزة العلمية في النجف الأشرف، بوصفها إحدى أكبر المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، أعطى للمكان وزناً جيوبولتيكياً على مستوى العالم الإسلامي، كونه مركزاً للفكر والثقافة لإحدى الفرق الإسلامية، اكثرها تعقيداً على المستوى السياسي على مر التاريخ الإسلامي.

فالمسلمون الذين يمتد تأثير مرجعية النجف اليهم الموجودون في منطقة الشرق الأوسط وجنوب غرب اسيا على وجه التحديد، كانوا دائماً محوراً للأحداث السياسية في المنطقة، وشكلوا الهاجس الأكبر لدى القوى العظمى التي تُهدد مصالحها الاستراتيجية، ولا سيما بعد نجاح الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ إن امتداد تأثير النجف في تلك الدول، فضلاً عما تتمتع به هذه الدول من إمكانات استراتيجية، من شأنه أن يغير ملامح الخارطة الشرق أوسطية، وقلب العلاقات الدولية والتحالفات التي من شأنها إعادة النظر بخا صة على مستوى توازن القوى الكبرى بنظام التقليد المتبع في حوزة النجف، الذي يعول فيه الفرد على المرجع في أموره الدينية، والاجتماعية، والسياسية، فضلاً عن أنهُ لا يتقيد بمكان ولا يتحدد بقومية، أعطى بعداً مكانياً لتأثير المرجع على المجتمع.

وهنا تجدر الإشارة إلى إن أغلب المجتهدين الشيعة لا يصلون إلى درجة الاجتهاد(وهي الخطوة الزمنية التي تمهد لوصول المجتهد نحو المرجعية) الا إذا كانوا قد حصلوا على إجازة الاجتهاد من كبار الأساتذة في حوزة النجف، وهو ما يبين البعد الديني على المستويين الإقليمي والدولي للنجف، حيث يمتد أثرها على المسلمين في العالم أينما وجدوا، ومن ثم يتحدد فعل ذلك الأثر بالنسبة السكانية التي يمثلونها في كل دولة، ومع نظام الحكم فيه (ديمقراطي - فيدرالي- ديكتاتوري)، الأمر الذي يحدد علاقة النجف بتلك الدول، لأن قوة المرجعية تكمن في تأثيرها على الجماهير.

لذا كان للنجف حضوراً بارزاً في معظم الأحداث السياسية ومن النادر أن نذكر أي حدث سياسي بمعزل عن موقف النجف منه لكننا أرتأينا في هذا البحث أن نقف عند الاحداث التي أثرت فيها النجف على سياسة العراق الخارجية:

أوّلا: أثر العامل الديني في سياسة العراق على المستوى القومي:

إن العراق كجزء من المنظومة العربية الإسلامية، جعله أحد القوى المؤثرة في قضاياها، فهو أول بلد عربي حصل على الإستقلال ودخل عصبة الأمم، وأنه عضو مؤسس في جامعة الدول العربية.

والنجف العراقية العربية المسلمة، لم يكن موقفها بمعزل عن القضايا الوطنية القومية والإسلامية، فتأثيرها السياسي على الصعيد القومي يأتي من محورين ينطلق منهما حراكها السياسي:

المحور الأول: تحريك القوى الداخلية الضاغطة على الحكومات العراقية، إذا كان موقفها الرسمي يخالف الاتجاهات الشعبية، ويكون هذا الضغط الجماهيري داعماً للموقف الحكومي إذا اتسم موقف الاخير بالإيجاب تجاه القضايا الوطنية.

المحور الثاني: التحرك بصورة مباشرة نحو الخارج العراقي، وذلك من خلال قنوات الاتصال مع المحيطين العربي والاسلامي، الأمر الذي يكون ضغطاً خارجياً على السياسة الخارجية للعراق، وينتج أحياناً من ذلك الضغط تغييرا في مسار السياسة الحكومية، وهو متوقف على نسبة ذلك التأثير، وفي أدناه أهم الامثلة التي توضح ذلك:-

أثر النجف في دعم القضية الفلسطينية :

كافح العرب المستعمرين الأوربيين في شمالي افريقيا كفاحاً أختلف قوة وعنفاً، وامتداداً في الزمن، تبعاً لاستعداد كل جزء من أجزاء هذا الوطن عند تعرضه للهجوم الأجنبي، فضلاً عن كفاحهم في الشرق الأدنى ضد الحكم العثماني إلى جانب الحلفاء، هكذا حدثت ثوراتهم وتعاقبت متفرقة في كل جزء من أجزاء الوطن العربي، لتنبيه الأجزاء الاخر إلى وجوب التضامن القومي من أجل تحقيق الأهداف القومية.

وكانت النجف في مقدمة المدن العربية التي اهتمت اهتماماً كبيراً بقضايا العرب القومية بشكل عام، والقضية الفلسطينية على نحو خاص، فقد تحسست النجف الخطر الصهيوني على الأمة العربية منذ الوعد الذي اعطاه وزير الخارجية البريطاني (بلفور) لليهود بإقامة دولة لهم على الاراضي الفلسطينية (عام ١٩١٧) وعندما بدأت حركة المقاومة العربية الفلسطينية تتصاعد الحركة التضامنية في النجف معها، بعد قرار (لجنة بيل) القاضي بتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق عربية ويهودية وبريطانية، فعد يوم ١٩٣٧/٧/٢٦ يوم فلسطين في النجف، اذ نظم اعتصام شامل قام فيه العلماء بإرسال برقية إلى الملك غازي، دعوه فيها إلى اتخاذ موقف ايجابي يدعم العروبة والإسلام.

تمثل الحراك السياسي في تلك الفترة باتجاهين : اتجاه (داخلي وخارجي)، جاء الاول

بتحرك المرجعية نحو توظيف رصيدها الشعبي والقيام بالتظاهرات المنددة بالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، و عن طريق إرسال علماء النجف العديد من البرقيات إلى الحكومة العراقية من أجل دعم القضية الفلسطينية.

اما التحرك السياسي الخارجي فتمثل في توظيف الإمتداد الجيوبولتيكي لمرجعية النجف، وتسخيره لنصرة الشعب الفلسطيني، وذلك من فتح قنوات الإتصال الشعبية والرسمية والمشاركة في المؤتمرات المنعقدة من أجل نصرة فلسطين.

ولم يكن ما اتخذه السيد الحكيم من مواقف إزاء القضية الفلسطينية نابعاً من عدالة تلك القضية وما يوجبه الشرع من نصرة للمسلمين في الدفاع عن أوطانهم فحسب، وإنما لإدراكه المبكر ومن موقعه المرجعي لأبعاد المشروع الصهيوني الذي هو جزء من المشروع الغربي وامتداداته وما يمثله من خطر على الأمة، فلم يقتصر على الاحتلال الإستيطاني للأرض، بل تعداه ليغزو موارد المكان الثقافية والاقتصادية.

وكان السيد محسن الحكيم أول فقيه مسلم أجاز إنفاق الأموال الشرعية من الخمس والزكاة على المقاومة ضد المشروع الصهيوني، وهي ليست مجرد إذن لبعض الناس بأن يدفع حقوقه الشرعية إلى المقاومة الفلسطينية، إنما انعكاس للرؤية السياسية الشاملة للمشروع الإسلامي، إن احتضان منطقة جبل عامل في الجنوب اللبناني لحركة المقاومة الفلسطينة بناءً على طلب من مرجعية النجف الأشرف، بعد رفض بعض الحكومات العربية لاحتضانها، يوضح لنا أثر الامتداد الجيوبولتيكي للعامل الديني للنجف، والثوابت القومية والدينية لمرجعية النجف بقيت متمسكة بالموقف نفسه الداعي لنصرة الشعب الفلسطيني في قضيته العادلة حتى الوقت الحاضر.

فنظرة المرجعية للقضية الفلسطينية والتعامل السياسي معها، جاء مطابقاً لأفكار المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، إذ إن الهوية القومية للأمة، جاءت نتيجة حتمية لأثر العامل الديني في تكوينها، وإنها نتيجة حتمية لتطابق العروبة والإسلام في تكوين هوية الأمة.

أثر النجف في توظيف العامل الديني لحث الجماهير ضد العدوان على مصر في (عام ١٩٥٦)

إن السياسة التي اتخذتها مصر بعد ثورة (١٩٥٢) أدت إلى الإضرار

بمصالح بعض القوى الاستعمارية سواء كانت اقتصادية أم مشاكل حدودية، ذلك بأن مصر تشكل الخطر الأكبر لأمن اسرائيل، لاشتراكهما بالخط الحدودي الفاصل بينهما، وأن السيطرة المصرية على قناة السويس فعّل قوة موقعها الجيوبولتيكي في المنطقة، لذا دعم مصر لثوار الجزائر، والميول المصرية نحو الاتحاد السوفيتي في فترة الحرب الباردة، وتأميم قناة السويس (عام ١٩٥٦)، وحد الاهداف الاسرائيلية مع كل من فرنسا وبريطانيا، إذ اصبحت السياسة المصرية بعد الثورة في الخطر المباشر لمصالح تلك الدول في المنطقة وكانت تلك مسوغات العدوان على مصر في (عام ١٩٥٦)، فعُدت هذه الحرب فاتحة عصر جديد في الصراع بين القوى العظمى بعد الحرب العالمية الثانية، التي تمثلت بظهور الولايات المتحدة الامريكية قوة طامحة لتبوء مكانة مهيمنة على السياسة الدولية، جاءت ضمن العالم الغربي لتحتل عنوة جميع مواقع الدول العظمى السابقة، التي بدأ نجمها بالأفول بعد هذه الحرب، ناهيك عن وجود الصراع الاستراتيجي بين الولايات المتحدة ممثلة للعالم الغربي وبين الاتحاد السوفيتي ممثلا للعالم الشرقي، ومحاولاتهما لفرض السيطرة على المصالح الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة العربية، فضلا عن التحالفات التي قامت بها الكتلة الغربية في تلك المرحلة التي ارادت منها تحجيم الدور السوفيتي في المنطقة وهو ما يبين الاهمية الجيوبولتيكية التي يحتلها الموقع الجغرافي للعالم العربي الاسلامي.

لقد و ظف السيد محسن الحكيم إحدى المناسبات الدينية في النجف فدعا إلى تجمع جماهيري في الصحن الحيدري، إذ انطلقت تظاهرات تندد بالعدوان على مصر، مما دعا الحكومة العراقية آنذاك لقمع المتظاهرين، الذين طالبوا بتغيير سياسة العراق تجاه العدوان على مصر، وطالبوا في الوقت نفسه باقالة حكومة نوري السعيد، واستمرت التظاهرات حتى اجبرت الحكومة على الدعوة إلى التهدئة بدلا من سياسة القمع، وهذا ما يمكن عده نصرا سياسيا للنجف في ذلك الوقت.

دور النجف الأشرف في الأحداث السياسية في العالم الإسلامي

إيمانا بالحركة التي تؤدي إلى التغيير الرامي إلى إعادة وحدة صف المسلمين، كانت

حوزة النجف تدعم الشعوب الإسلامية بكل فرقها أينما وجدت وكانت اثارها واضحة في كل ارجاء العالم، وبسبب التأثيرات المباشرة للجوار الاسلامي العراقي، سنسلط الضوء على جانب مشاركة الحوزة العلمية في المؤتمرات الدولية ودورها في قضايا الامة الاسلامية فمرجعية النجف طرفا مهما في المؤتمرات الاسلامية إذ سجلت حضورا متميزا وفاعلا فيها، لاسيما في عهد السيد محسن الحكيم، فقد تم في تلك المرحلة الاعتراف من الأزهر في مصر بالمذهب الجعفري كخامس المذاهب الاسلامية وأجيز الأخذ بأحكامه الفقهية.

إن هذا المكسب الديني والسياسي للنجف جاء بفضل تحركها الفاعل والمؤثر في قضايا الأمتين العربية والاسلامية، فالمعروف عن مراجع النجف هو رفضهم الحضور الشخصي للمؤتمرات العامة والظهور الاعلامي، لكن الخطوات التي قام بها السيد الحكيم غيرت من هذا الواقع، وذلك من إنابته لوكلائه لتمثيل المرجعية في المؤتمرات الاسلامية، و ارسال مشاركاته المكتوبة إلى تلك المؤتمرات.

إن الخط الذي رسمه السيد الحكيم أصبح منهجاً يسير عليه بقية المراجع في النجف،وكان يهدف إلى استثمار تلك المشاركات، وتسخيرها لصالح تقوية العلاقات العراقية مع محيطه الاسلامي، وقد اتسمت مشاركات النجف في المؤتمرات الاسلامية بالدعوة إلى الاهتمام بالقضايا القومية والاسلامية.

فقد دعا السيد الحكيم في كلمته لمؤتمر مكة إلى وحدة الصف محذرا الأمة الاسلامية من خطورة السياسة الصهيونية الموجهة لتمزيق الأمة الاسلامية، و قام بتقديم رؤية متكاملة عن اسباب نكسة حزيران ١٩٦٧ إلى المؤتمر الاسلامي فقد تضمنت مشاركته تقديمه الحلول الكفيلة بالنهوض بالأمة العربية والاسلامية من أجل حل القضية الفلسطينية.

واستمر نهج المرجعية في المشاركة والتواصل مع العالم الاسلامي على وفق ما سار عليه السيد الحكيم، فمرجعية النجف كان لديها اسلوبها الخاص في التواصل مع محيطها الاسلامي، لكن مشاركتها في المؤتمرات الاسلامية شكلت إحدى الدعائم المهمة للسياسة الخارجية للدولة والعلاقة مع العالم الاسلامي.

وإن مشاركتها أتاحت لها مقاومة بعض الأفكار التي يحاول بعض الساسة تمريرها من تلك المؤتمرات، التي تمس السيادة الوطنية والقومية العراقية، وبهذا الصدد نشير إلى رسالة السيد علي السيستاني إلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي حول لقاء مكة الذي كان يدعو الأطراف الدينية العراقية للتحاور حول الفتنة الطائفية في العراق، حيث أوضح في رسالته بأنه لا وجود للفتنة الطائفية في العراق، إنما هناك خلافات سياسية وقوى خارجية عملت على سفك الدم العراقي، ودعا المؤتمر لإيجاد حل للخلافات السياسية والدعوة إلى ايجاد حكومة عراقية منتخبة.

إن كسب المشاركة في المؤتمرات الدينية من أجل مناهضة الأفكار السياسية الرامية إلى تمزيق الأمة، هي سياسة اتبعتها النجف كأحد الطرق الدبلوماسية، فكل عمل أو ظاهرة سياسية تبدأ بفكرة، وقد تكون هذه الفكرة معروضة بشكل مبطن في المؤتمرات الدينية، ومن الممكن أن يكون تأثيرها كبيرا من دون أن تتنبه القنوات الدبلوماسية الحكومية لها، ومن هنا تبدو لنا الأهمية التي أكسبتها مشاركة حوزة النجف في المؤتمرات الاسلامية إلى سياسة العراق الخارجية.

تخضع الجيوسياسية لتأثيرات الهوية واستمرارها في القرينة الايديولوجية، لكنها لا تستطيع أن تكون حقيقة طبقاً للايدلوجية المهيمنة، وهذا ما يمثل فرضية إدخال الايديولوجية في الجيوسياسية نفسها.

لذا شهد مفهوم (القوة الناعمة) صعوداً بعد نهاية الحرب الباردة على الرغم من وجوده قبلها، وهو المفهوم المشتق من ثقافة الدولة أو الأمة وقيمها، وإنجازاتها، فهو ليس مفهوماً ثابتا، بل يتغير تبعاً لتغير أدوات التأثير الثقافي وتحولاتها النوعية في ظل تحولات مفهوم المكان، وتقوم القوة الناعمة على ثلاث ركائز هي: الثقافة، القيم السياسية، والسياسة الخارجية.

إن مركزية النجف الدينية وامتدادها الذي تطور ليشمل كل ارجاء العالم، عن طريق الوكلاء و المعتمدين والمؤسسات الثقافية والدينية التابعة لمرجعية النجف و المنتشرة في معظم بلدان العالم، عملت على اعطاء المكان سياسة الجذب اللين، في التعريف بخصوصيتها الثقافية والاجتماعية التي هي اصلاً متكونة من مجموعة ثقافات اندمجت فيما بينها لتكون خصوصية لذلك المكان.

وإن مواقف النجف السياسية منذ مرجعية السيد محسن الحكيم حتى الوقت الحاضر اتسمت بانفتاحها على القنوات الدولية والمنظمات الرسمية والشعبية من اجل التأثير على سياسة العراق (سواء بالدعم أم الضد) وذلك بما يتناسب مع مصلحة الشعب، فقد استثمرت ذلك الانفتاح للحصول على المواقف المؤيدة لرأي الجماهير في القنوات الدبلوماسية التي وضعتها واتفقت عليها الامم وسمتها الشرعية الدولية، كدعمها للانتخابات البرلمانية ودستور العراق في عام ٢٠٠٥، و نقل هموم الشعب العراقي في مرحلة حكم حزب البعث للعراق بعد قمعه للانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، التي تحركت فيها المرجعية من مؤسساتها الثقافية في العالم ووكلائها للتعريف بالظلم الذي وقع على الشعب العراقي جراء ذلك الحكم، و ان رسائل الاحتجاج التي ارسلها مراجع النجف إلى الامين العام للأمم المتحدة في عام ١٩٩٠ يدعونه فيها لرفع الحصار عن الشعب العراقي الذي كان موجها إلى الشعب ولم يصل إلى نظام الحكم في ذلك الوقت، كل هذه المواقف وغيرها جعلت من النجف، قوة ناعمة مؤثرة على صعيد علاقات العراق الدولية.

أكلة لحوم البشر

العلامة الشيخ علي حسان شويلية

قال (عز وجل): (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ). هناك موضوع مهم جدير بالطرح؛ يجب أن نتفقه فيه، لشدة حاجتنا إليه ولخطورة النتائج المترتبة عليه؛ ولأن الصحوة اليوم بحاجة إلى ترشيد وتوجيه، لكي لا تؤتى من داخلها فالنار تأكل بعضها... إن لم تجد ما تأكله.

إن لم تجد هذه الصحوة المباركة من يوجهها ويرشدها فإنني أخشى عليها من نفسها، قبل أن أخشى عليها من أعدائها.

وقبل الشروع في الموضوع لابد من التنبيه إلى أن له قصة لا بد أن تروى، فقد بلغني أن هناك بعض الصالحين يلتقون في مناسبات متعددة. وما أكثرها وأعظمها. ويكون جُل حديثهم عن العلماء يقوّمون العلماء، ويذمون ويمدحون، ويرفعون وينزلون، وهم شباب أحسن ما تصفهم به أنهم طلاب العلم لا من العلماء فتأثرت بذلك الأمر، وطفقت أقرأ في كتب الماضين وأفتش في صفحاتها متسائلاً: هل كان شبابهم وعلماؤهم يفعلون مثلما نفعل؟

ولم يكن في بالي أن اكتب في هكذا موضوع حتى جاءت الأحداث الأخيرة المريرة، وجاءت الفتن كقطع الليل المظلم حيث نعيشها هذه الأيام ونتجرع غصصها. فماذا حدث؟ حدث ما يريده الأعداء، واستبيحت لحوم العلماء، ولم يقتصروا على نهش أعراض طلاب العلم والدعاة، بل فُتح الباب على مصراعيه لكل من هبّ ودبّ حتى تطاول العامة وتطاول المنافقون والمنتفعون وطلاب الدرهم والدينار على علمائنا وقلّما تدخل مجلساً فتجده منزها عن الوقيعة في عالم من العلماء، فقلت: إن تأخير الإعلان عن وقت الحاجة لا يجوز، فشرعت أدوّن هذه السطور تذكيراً، ونصحاً، وتبياناً، وتحذيرا من عاقبة الحديث في العلماء والولوغ في أعراضهم وحرصت. قدر الإمكان. على توضيح السبيل الصحيح لمعالجة مثل هكذا أمور وفق منهج القرآن ومدرسة أهل البيت (ع).

ويذكرني هذا الموضوع بقول ابن عساكر قال: (إعلم يا أخي. وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه في تقاته. إن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة وان من أطلق لسانه في

العلماء بالقلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب)، (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

وموضوع التعرض للعلماء طويل وعناصره كثيرة ولكنني سأحاول بقدر الإمكان. مكتفياً من القلادة بما أحاط بالعنق ويمكن تلخيص أسباب الحديث في هذا الموضوع فيما هو آت:

منها إن مكانة العلماء في الإسلام مكانة عظيمة، مما يوجب توقيرهم وإجلالهم ومنها تساهل كثير من الناس في هذا الأمر ومنها وقوع بعض طلاب العلم في علمائهم من حيث لا يشعرون ومنها الهجمة الشرسة المنظمة من قبل الاستكبار والمنافقين وإتباع اليهود والنصارى وإتباع الدجالين والمتقولين ولا بأس من طرح مقدمة موجزة عن مكانة العلماء وفضلهم كمقدمة للموضوع.

قال الله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، ويقول سبحانه: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)، ويقول تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)،

وفي (الأمالي) عن محمد بن علي، عن علي بن محمد بن أبي القاسم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير العدني، عن العباس بن حمزة، عن أحمد بن سوار، عن عبيد الله بن عاصم، عن سلمة بن وردان، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم، إلا ناداه ربه عز وجل: جلست إلى حبيبي، فوعزتي وجلالي لأسكننك الجنة معه، ولا أبالي.

وعن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن الحسين بن سعيد، عن محمد بن

جمهور العمي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله الصادق عليه‌السلام، قال: من حفظ من شيعتنا أربعين حديثا، بعثه الله عزّ وجلّ يوم القيامة عالما فقيهاً، ولم يعذبه.

وفي (عيون الأخبار) عن عبد الواحد بن محمد بن عبدوس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن عبد السلام الهروي، عن الرضا عليه‌السلام، قال: رحم الله عبدا أحيا أمرنا، قلت: كيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا.

إذن فالنيل من العلماء وإيذاؤهم يُعد إعراضاً وتقصيراً في تعظيم حرمات الله وما أبلغ هذا القول: (أعراض العلماء على حفرة من حفر جهنم) وان مما يدل على خطورة إيذاء أسباب نجاة الأمة (العلماء) ما رواه البخاري عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ص) قال الله (عز وجل) في الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب).

ولعلك (هداك الله) تدرك أن من أكل الربا فقد آذنه الله بالحرب إن لم ينته ويتب عن ذلك الجرم العظيم من الحديث السابق فهل نحن نستحضر هذا الوعيد الشديد عندما نهم بالحديث في عالم من العلماء؟!

وقال ابن عباس (من آذى فقيها فقد آذى رسول الله (ص) ومن آذى رسول الله (ص) فقد آذى الله عز وجل)، لعل في هذه النصوص كفاية وتبيانا لفضل العلماء وتذكيراً ببعض ما يجب لهم علينا من حقوق وغير خائف عليك أن اخطر أداة نستعملها لذبح العلماء، هو اللسان فلنقف وقفة لا بد منها في هذا المقام للتنبيه إلى خطورة اللسان، لأننا - والحق يقال - قد تمادينا في التساهل بأمره والغفلة عن صونه من الزلل وكما هو خطر على الإنسان فهو في المقابل نعمة فتلك جارحة أنعم الله بها علينا، وإن مما يدل على عظم شأنها ما حكاه الله تعالى عن موسى (ع) من قوله: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي × يَفْقَهُوا قَوْلِي)، وقوله عن أخيه هارون (هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً)، ويقول سبحانه ممتنًا على عبده (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ × وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ).

وعندما نسال من باب المثال حال المحروم من هذه النعمة وهو (الأبكم) فإننا ندرك (عقلياً) عظم هذه المنة الإلهية: هل يستطيع الأبكم أن يعبر عما في نفسه، انه عندما يريد التعبير عن شيء فإنه يستخدم كثيراً من أعضائه ومع ذلك لا يشفي نفسه ولا يبلغ مراده، وان بلغه فبشق الأنفس إذن فنعمة اللسان من أجل النعم ومن أكبر المنن الإلهية علينا. فهل حافظنا عليها؟ هل استخدمناها في الخير وجنبناها الزور في أعراض العلماء وغير العلماء؟

إن النصوص تدل على خطورة أمر هذه الجارحة وفداحة الخسارة الناجمة عن التهاون في حفظها. قال تعالى: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ)، وقال تعالى في المنافقين: (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ)، وقال عزّ من قائل: (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)، (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى).

ولذلك جاء الأمر بحفظ اللسان والتحذير من إطلاق العنان له من خلال قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً)، وفي الحديث الشريف قال: (إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تستكفي اللسان أي تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وأن أعوججت أعوججنا)، وقال (ص): يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح فيقول: يا رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح: فيقال له خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب به المال الحرام وانتهك به الفرج الحرام).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قوله: (اللسان ميزان الإنسان) وقوله: (زلة اللسان أنكى من إصابة السنان) وقوله: (ما من شيء أجلب لقلب الإنسان من لسان ولا أضرع للنفس من شيطان)، وقوله: (ما اضمر احد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)، وقال الإمام الباقر (ع): (كان أبو ذر يقول يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك)، وفي الحديث: (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه، اضمن له الجنة).

ومعلوم أن كثيراً من الناس - خاصة أصحاب الاستقامة- يضمنون ما بين الفخذين وهذه نعمة كبيرة ولكن... هل نحن نضمن ما بين اللحيين؟ هل يمر علينا يوم بدون أن نقع في عرض مسلم عالماً كان أو غير عالم؟ ليحاسب كلٌ أمريء نفسه، ولنناقشها في ذلك الأمر الخطير لكي نصحح أوضاعنا في هذا الجانب امتثالاً لقوله (ص): (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

وما أحكم قول الشاعر:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

وصفوة القول: كم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في إعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول بعد هذه المقدمة ندلف إلى صلب الموضوع وسنبحثها بالإيجاز:

من ابرز أسباب أكل لحوم العلماء

الهوى: إن بعض الذين يأكلون لحوم العلماء لم يتجردوا لله تعالى وإنما دفعهم الهوى للوقوع في أعراض علماء الأمة وإتباع الهوى لا يؤدي إلى خير، قال سبحانه: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ). وقال النبي (ص): (إنما سمي الهوى لأنه يهوى بصاحبه)، وقيل أن إبليس قال: (أهلكتهم بالذنوب فأهلكوني بالاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون). وقال الإمام علي بن أبي طالب (إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع...).

تقليد الآخرين: لقد نعى الله تعالى على المشركين تقليدهم آباءهم على الضلال: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أمة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ).

والتقليد ليس كله مذموماً. بل فيه تفصيل ذكره العلماء ولكنني في هذا المقام أحذر من التقليد الذي يؤدي إلى نهش لحوم العلماء. فإنك تسمع - أحياناً - بعض الناس يقع في عرض العالم فتقول له هل استمعت إلى هذا العالم؟ فيقول: لا والله. فتقول: إذن كيف علمت من حاله وأقواله كذا وكذا؟ فيقول: قاله لي فلان وهكذا يطعن في العلماء تقليداً من غير علم ولا دراية ولا تفحص ولا يقين غير مراع حرمة العالم.

العصبية: من خلال سبري لأقوال الذين يتحدثون في العلماء وبخاصة طلاب العلم والمبلغين والمرشدين تبين لي أن التعصب من أبرز أسباب ذلك والباعث على التعصب هو التحزب لمذهب أو جماعة أو قبيلة أو بلد، هذه الحزبية الضيقة هي التي فرقت المسلمين وجعلتهم شيعاً.

وقد رأينا قريباً من ينتصر لعلماء بلده ويقدح في علماء بقية البلدان،

سبحان الله، أليست بلاد المسلمين واحدة؟ أليس هذا من التعصب المذموم؟ أليس من الشطط أن يتعصب أهل الشرق لعلماء الشرق؟ وأهل الغرب لعلماء الغرب؟ وأهل الوسط لعلماء الوسط؟ أن هذا التعصب مخالف للمنهج المستقيم. الذي يدعونا إلى أن نأخذ بالحق مهما كان قائله، وقد قيل قديما (وهذه عادة ضعفاء العقول، يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق).

التعالم: لقد كثر المتعالمون في عصرنا، وأصبحت تجد شاباً حدثاً يتصدر لنقد العلماء ولتفنيد آرائهم وتقوية قوله، وهذا أمر خطير، فإن من أجهل الناس من يجهل قدر نفسه ويتعدى حدوده وأخطر ما في الموضوع أن يتقمص الجهلاء جلباب العلماء فيسيئوا التصرف ويجلبوا الويلات للمجتمع وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً... وتلك فتنة وقانا الله شرها.

المنافقون: قال تعالى عن المنافقين: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً)، إن المنافقين الكارهين للحق من المعادين للمذهب، والحداثيين وغيرهم من أقوى أسباب أكل لحوم العلماء لما في قلوبهم من البغض والضغينة للحق واهله، ومن المؤسف جداً أن نسمع بعض الناس يقلدون هؤلاء المنافقين والحاقدين في استطالتهم على علماء الأمة، أن المبغضين للعلماء يتحدثون بكلام يعفُّ القلم عن تسطيره، مما يدل على ما في قلوبهم من الحقد والشنآن ومعاداة ورثة الأنبياء الداعين إلى الحق والصواب.

تمرير مخططات الاستكبار العالمي ونحوها: أدرك أعداء الدين - أخزاهم الله - أنه لا يمكن أن تقوم لهم قائمة والعلماء لهم شأن وهيبة في نفوس الناس فأخذوا في النيل من العلماء، وشرعوا في تشويه صورتهم، وتحطيم قيمتهم، بالدس واللمز والافتراء والاختلاف، وتأليف القصص الكاذبة ودبلجة الموضوعات المفتراة لتمرير مخططاتهم العدوانية ضد قادة الأمة من العلماء والمصلحين.

الآثار المترتبة على الوقيعة في العلماء

إن هناك عواقب وآثار وخيمة تترتب على النيل من علمائنا، والوقوع في إعراضهم. يدرك تلك الآثار من تأمل في الواقع، ووسع أفقه، وأبعد نظره وإليك أهمها.

١. إن جرح العالم سبب في رد ما يقوله من الحق:

إن جرح العالم ليس جرحاً شخصياً، كأي جرح في رجل عامي، ولكنه جرح بليغ الأثر وخطير، يتعدى الحدود الشخصية، إلى رد ما يحمله العالم من الحق، ولذلك استغل المشركون من قريش هذا الأمر فلم يطعنوا في الإسلام أولاً. بل طعنوا في شخص الرسول الأكرم (ص) لأنهم يعلمون أنهم إذا استطاعوا أن يشوهوا صورة الرسول الأعظم (ص) في أذهان الناس، فلن يقبلوا ما يقوله من الحق، لذا نعتوه بصفات عديدة منها: أنه ساحر، كاهن، مجنون... ولكنهم فشلوا وانقلبوا صاغرين.

وقد كانوا قبل نعته يصفونه بالأمين، الصادق، الحكيم، الثقة. فما الذي تغير بعد بعثته؟

ما الذي حوله إلى كاهن، مجنون، ساحر؟ إنهم لا يقصدون شخص محمد رسول الله (ص)، فهم يعلمون من هو محمد، وأنه هو هو، ولكنهم يقصدونه بصفته رسولاً يحمل رسالة ومنهجاً فهم يحاربونه وعليه فإن استطاعوا تشويه صورته في أعين الناس وتنفيرهم منه فقد نجحوا في صدهم عنه وعما معه من الحق. وهذا هو أسلوب المنافقين اليوم.

إن جرح العالم للعلم الذي معه وهو ميراث النبي الأكرم (ص) إذ العلماء ورثة الأنبياء فجرح العالم جرح النبي (ص) وهذا هو معنى قول ابن عباس: (إن من آذى فقيها فقد آذى رسول الله (ص) ومن آذى رسول الله (ص) فقد آذى الله جل وعلا).

إذن فالذي يجرح العالم يجرح العلم الذي يحمله ومن جرح هذا العلم. فقد جرح ارث النبي المصطفى (ص) وعلى ذلك فهو يطعن في الإسلام كله من حيث لا يشعر.

إن جرح العلماء سيؤدي إلى بُعد طلاب العلم عن علماء الأمة، وحينئذ يسير الطلاب في طريقهم على غير هدى وبدون مرشدين، فيتعرضون للأخطار والأخطاء. ويقعون في الشطط والزلل وهذا ما نخشاه على شبابنا اليوم.

إن تجريح العلماء تقليل لهم في نظر العامة، وذهاب لهيبتهم، وقيمتهم في صدورهم، وهذا يسرُّ أعداء الله ويفرحهم. يقول احد الساسة الهالكين في دولة عربية، بعد أن سلط إعلامه على العلماء مستهتراً ومستهزئاً بهم: (عالم.. شيخ.. سيد.. أعطه فلسين تحصل على فتوتين). لقد سقطت قيمة العلماء عند العامة في كثير من الدول الإسلامية. لأن الاستعمار وأعوانه وأعداء الدين ومن معهم. شوهوا صورة العلماء ولطخوا سمعتهم. فأصبحوا من سقط المتاع في نظر كثير من الناس، إما لجهالتهم وإما لاتفاق مصالحهم ومنافعهم التي لن يحصلوا عليها إلا بالغمز واللمز على شريحة العلماء وحماة الدين.

٢. تمرير مخططات الأعداء:

من الأمثلة الواقعية، الطعن في وكلاء العلماء، وهذا ما نراه في المجالس بل في المقاهي والمنتديات وقد أصبحت أعراضهم ودماؤهم مستباحة، فنجد العامة والمنافقين والجهلة والمراهقين يستطيلون في أعراضهم ويسخرون منهم وهم أولى بالسخرية يقول الله عز وجل: (قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)، إننا لو ذهبنا نحصي أخطاء الآخرين من غير رجال الدين لوجدنا أخطاءهم لا تعد ولا تحصى ولكنها حالة سوء روج لها الحاقدون، وساعدهم عليها المغفلون وأما الحديث عن خطباء المنبر الحسيني والمبلغين والمرشدين فحدث ولا حرج، لقد وصم هؤلاء بألقاب لم نكن نعرفها ووصفوا بالمتطرفين، والمحتالين والمدلسين..وإلى آخر القاموس الظالم الذي سلطه الحاقدون على تلك الشريحة تشويها لسمعتهم، وتبشيعاً لواقعهم في عقول الناس.

واجزم لك عزيزي القاريء أن كل تلك الحملات الشعواء على العلماء وطلاب العلم ووكلاء العلماء والخطباء وغيرهم من أهل الدعوة والدين تؤدي إلى تمرير مخططات الاستعمار والصهاينة وأعداء الدين، فاليقظة اليقظة، وحذار حذار أن تزل أقدامكم فتنقلبوا على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين.

أما الذين يصرون على محاربة العلماء والنيل منهم والتعرض لأعراضهم وهتك سمعتهم وتشويه صورتهم والتقليل من شأنهم فنقول لهم:

يا ناطح الجبل العالي يوماً ليثلمه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

الدكتور صاحب الحكيم

مقرر حقوق الإنسان في الامم المتحدة

يتحدث عن جرائم النظام المباد على الحوزة العلمية

حوار: مهدي الفحام

ممارسات النظام العفلقي ضد المؤسسة الدينية الحوزوية في النجف الأشرف ممارسات قل نظيرها في دول العالم الدكتاتوري والقمعي فسجن طلابها ورموزها ولاحقهم في محافظات العراق بل حتى خارجه وعاقب أقاربهم بمختلف درجات القرابة ومهما كانت أعمارهم مبتعداً عن كل الأعراف والتقاليد والقيم الإنسانية والدينية والإدارية.

فملأ سجونه من المفكرين وأغلق مدارس لطالما كانت عامرة بذكر الله واتلف مؤلفات لم يكن لها ذنب إلا أنها تسعى لنشر الخير والفضيلة في المجتمع وتعم السلام والاطمئنان في العالم.

مجلة نقطة التقت بمقرر حقوق الإنسان في هيأة الأمم المتحدة الدكتور صاحب الحكيم الذي قضى شطرا كبيرا من حياته يوثق ويدون حقائق وقصصاً عن تلك الفترة المظلمة في تاريخ العراق المعاصر ليبين في حديثه نماذج لما تعرضت له المؤسسة الحوزوية في النجف الأشرف من مؤامرة.

كيف هجم النظام الصدامي على المؤسسات الدينية في النجف الاشرف، وكيف كان يضع التدابير للوقوف بوجهها كحاضرة إنسانية دينية عريقة، تعد هي الأقدم في الواقع العراقي والمنطقة؟

لقد دمر صدام جميع المؤسسات الدينية في العراق وحاربها بشتى الطرق، كذلك عطل جميع تلك المؤسسات بالملاحقة والترهيب واعتقال العاملين، مثل جمعية التحرير الثقافي وجمعية منتدى النشر في النجف الأشرف، ومدرسة العلوم الدينية فيها، ومصادرة مدرسة السيد الخوئي قرب الصحن العلوي الشريف، ومدرسة الجزائري، والمدرسة الدينية في سامراء، ومدارس الإمام الجواد في الكاظمية، وكان يمنع حتى كتب الزيارة كما هو معلوم... ومنذ وصل حزب البعث للسلطة اصطدم مع المراجع، وأعدم قسماً منهم، ومنع تشييع الشهداء، وهدم دور بعضهم وأوقف ومنع تجديد إقامات الآخرين، وهجم جلاوزته على المدارس الدينية في النجف الأشرف، واعتقل طلبتها في الليل، ونشر دراسات لترويج الفكر الإلحادي، وعقد مؤتمرات عليها صبغة إسلامية لتأييد ممارسات السلطة الجائرة، وتهجير الكتّاب والمفكرين وحل كثيراً من الجمعيات الدينية والأدبية، وإهمال العتبات المقدسة والسيطرة عليها، حتى تحولت بعض غرف الصحن العلوي مثلاً إلى مراكز اعتقال، وملاحقة العلماء وطلبة العلم حتى في داخل العتبات المقدسة بدون حياء، والسيطرة على كلية الفقه في النجف الأشرف وحولها إلى كلية رسمية تدرس فيها مناهج السلطة، وملاحقة الموارد المالية للمراجع وهدم بعض المساجد واغلاقها كما جرى لمسجد الخضراء الملاصق للصحن العلوي الشريف، ومصادرة أراضي جامعة الكوفة الأهلية ومطاردة أعضاء الهيأة المؤسسة، وإيقاف الاحتفالات الدينية واعتقال القائمين بها مثال ذلك الاحتفالات الكبرى التي كانت تقام في النجف الأشرف بمناسبة ميلاد الإمام الحسين (ع) والإمام علي (ع) في كربلاء المقدسة، تجنيد العلماء وطلاب العلوم الدينية العاملين في المؤسسات الدينية في الخدمة العسكرية الإلزامية وتغيير ملابسهم وإهانتهم.. وغيرها، وهناك تفاصيل كثيرة ذكرتها في موسوعتي...

تنقل موسوعتكم نماذج عديدة من الوثائق الكبيرة لما تعرضت له الحوزة العلمية.. فأيها كانت أشد تأثيرا عليكم؟

رأيت الملف الخاص بشهيد وقد كتب أمام اسمه:

حسن السيرة والسلوك.. الحكم: الإعدام رمياً بالرصاص.. كما حكم على آخر بالإعدام ٣ مرات!! وقطع يد آخر ست مرات والرقم واضح جداً (٦)!!

وهناك وثيقة عن أمر إلقاء القبض على طفلة عمرها أقل من (٥) سنوات فقط وجاء في أمر مديرية أمن السليمانية أنه في حالة اعتقالها وأخواتها وأمها إرسالهم مخفورين إلى هناك، علماً أنها من مواليد النجف الأشرف، رقم الوثيقة هي: (٥٤٨٠٦) وتاريخ الأمر في: ١٩٨٣/١١/٥م ومواليد الطفلة هو ١٩٧٨ فقط!!

من خلال متابعتكم وتحقيقكم لجرائم النظام المباد، هل يعد صدام هو المسؤول الوحيد عن هذه الجرائم أم أن أفراداً وجهات داخلية وإقليمية ساعدته على ذلك؟

نعم إن صدام هو المسؤول الأوّل عن كل الجرائم التي ارتكبت في العراق، وساعده في ذلك جلاوزة الأمن والمخابرات والاستخبارات والشرطة ومنظمات تعمل كواجهات لحزب البعث كالشباب والمرأة والإتحاد الوطني لطلبة العراق، ونقابات العمل وقد وجدت من الوثائق حتى

أن شرطة المرور كانوا يعتقلون الأبرياء، وكذلك الدول العربية وخاصة دول الخليج التي أغدقت المليارات من الدولارات كلها مجتمعة (عدا سوريا) وأكثر دول العالم (عدا إيران وبعض دول البحر الكاريبي البعيدة) وخاصة الدول الغربية، وأذكر بهذا الصدد **إن سفير أمريكا وممثل حقوق الإنسان في مجلس حقوق الإنسان في جنيف كان يرفض حتى الإطلاع على الوثائق التي كانت بحوزتنا عن انتهاكات حقوق الإنسان في العراق، وكنت أقول له أنت لست سياسيا، أرجوك اطلع على هذه التقارير التي تصدرها منظمة هيومن رايتس ووج الأمريكية عن جرائم صدام**، فكان يرفض ذلك، كما أدين الأحزاب الكردية التي دخلت معه في مفاوضات ووقفت ضد الشعب العراقي وخاصة الحزبين الكرديين الإتحاد الوطني والديمقراطي الكردستاني، وكذلك الحزب الشيوعي العراقي الذي تحالف مع النظام ضد الشعب في سبيل الحصول على مقعدين هزيلين في مجلس الوزراء، وأصبح بعض الشيوعيين وكلاء للأمن، وأنا رأيت بأم عيني عبد الرضا فياض عضو الحزب الشيوعي في النجف الأشرف يرشد جلاوزة الأمن على بيوت رجال المعارضة الإسلامية لاعتقالهم.. وقد ضحك صدام على عقول الشيوعيين فساقهم معتقلين أذلاء في سجونه فيما بعد، وأذكر هذه المعلومات فلا أجامل بها طرفاً أو حزباً، فأكثرهم اشترك في ذبح الشعب العراقي، فالجرائم لا تذهب بالتقادم والتاريخ الحي لا يرحم إنساناً أجرم بحق شعبه...

هل اقتصرت جرائم النظام المباد على رجال الدين العراقيين فقط أم أنها شملت العلماء الأجانب في الحوزة العلمية في النجف الأشرف؟ ومن هم أبرز ضحاياه؟

كلا، ليس فقط رجال الدين العراقيين بل شمل الإرهاب علماء وطلاب علوم دينية من بقية الأقطار مثل: (إيران، أذربيجان، أرمينيا (روسيا)، أفغانستان، الباكستان، البحرين، الحجاز السعودية، سوريا، العراق، عمان (ضم العين)، لبنان، كشمير، كينيا).

وأما القوميات التي ينتمي لها الضحايا هي الأوردوية، والعربية، والكردية، والتركمانية، والفارسية، والأفغانية (لا تعرف القومية) والخوجة (كينيا). وأما الدول التي أستشهد بها العلماء الضحايا المذكورون في الموسوعة فهم في (إيران، ولبنان، والسودان، وسوريا، والعراق والهند)، أما الدول التي وقعت فيها محاولات الاغتيال فهي (العراق، وإيران، وتايلند، وبريطانيا، ولبنان، وسويسرا، والصين).

مَن هو أكبر وأصغر سناً من رجال الدين الذين صب عليهم النظام المباد جرائمه من خلال توثيقاتكم.

إن أكبر الشهداء هو الشهيد المفقود ساكن أحد المقابر الجماعية في العراق: السيد محمد صادق القزويني من مواليد ١٩٠٠، وقد قدمت اسمه للأمم المتحدة كأكبر معتقل (وقتها) في العالم، خلال اجتماع لجنة المفقودين في الأمم المتحدة في قصر الأمم في جنيف، و أصغر ضحية هو السيد عبد الصاحب الموسوي وعمره (١٤ عاما) وهو تلميذ الصديق السيد سعيد الخلخالي وأبوه كان إمام جماعة في مسجد منطقة (حنون) الشعبية في النجف الأشرف...

ما هي التهم التي كانت توجه لرجال الدين من قبل النظام الصدامي؟

توجد تهم معينة تبرر انتهاك حقوقهم، وقد وجدت في الوثائق قضايا غريبة منها: إن أحد العلماء قد وجهت له تهمة عجيبة غريبة هي (التسكع في الشوارع)، أحد الضحايا اعتقل لأن اسمه زكريا إسرائيل، وأعطي اسما في السجن وهو (الشيخ بصل)، والشهيد الشيخ محمد الخفاجي أعدم لأنه لبس ملابس الشهيد الشيخ عارف البصري، واعتقل أحد العلماء لأنه زار بيت السيد الخميني، والشهيد الشيخ منيب حافظ أعدم لأنه لبس عمامته خلال اشتراكه في السير للإمام الحسين (ع) في الأربعين، وبعكسه السيد عبد الرسول عزيز الحسيني اعتقل لأنه لم يلبس عمته في السيارة حيث كان قد وضعها بجانبه فقط، أحد الشهداء أعدم لان ميل أبِ زوجته خميني النزعة!! أعدم الشهيد السيد عبدِ الرزاق القاموسي لأنه أخذ طعاماً لبيت الشهيد محمد باقر الصدر المحاصر جوعاً، وأعدم السيد صالح محمد رضا الأشكوري لأنه أجر بيتا للسيد الشهيد مصطفى الخميني، اعتقل أحدهم لأنه كان يساعد السيد الشهيد مرتضى الخلخالي عند مرضه فقط (وهو ثاني أكبر شهيد مفقود من مواليد ١٩٠٢م)، وأعدم الشيخ الشهيد عبد المحسن زاير دهام لأنه نسيب مرافق الشهيد السيد محمد باقر الصدر، والشيخ جلال الدين الصغير طلب منه الجلاوزة (أن يختار تهمة) لنفسه، وهناك قضايا أخر في الموسوعة تثير العجب العجاب والتساؤل المحير إلخ..

تعرض مراجع الدين والعلماء في النجف الأشرف للاعتقال والسجن والتعذيب والترهيب من قبل النظام الصدامي، هل يمكن أن تعطينا نبذة عن ذلك؟

تعرض إثنا عشر مرجعا لانتهاك حقوقهم وهم السيد أبو القاسم علي أكبر الخوئي حيث اعتقل وأجبر على الظهور مع الجلاد صدام المجرم و الشهيد السيد محمد باقر حيدر الصدر أعدم و اعتقلت وفقدت أخته الشهيدة آمنة حيدر الصدر (بنت الهدى) أيضاً الشهيد السيد عبد الأعلى علي رضا السبزاوري، حيث تعرض للقتل بالسم والسيد علي حسين السيستاني. اعتقل و أجبر على الظهور في التلفزيون، وتعرض لمحاولة إغتيال، نجا منها كذلك من المراجع والعلماء الكبار الشيخ مرتضى علي البروجردي حيث أعدم و الشهيد الشيخ علي أسد الله الغروي قتل والشيخ بشير حسين النجفي تعرض لمحاولة اغتيال والسيد محمد السيد مهدي الشيرازي صدر أمر باعتقاله وحكم غيابيا بالموت والشيخ ميرزا جواد عبد الحسين التبريزي اعتقل وهجر والسيد محسن مهدي صالح الحكيم أب وجد وعم وخال الشهداء تعرض للاضطهاد والتعسف والشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر أب الشهيدين والسيد محمد سعيد محمد علي الحكيم أب الشهيد وأخ المعتقلين، اعتقل وعذب.

متى بدأ النظام بأعماله الإجرامية تجاه علماء الدين والخطباء ومن كان أوّل رجل دين اعدم ومن هو أوّل خطيب اعدم من قبل النظام البعثي؟

من أيام الانقلاب الأسود عام ١٩٦٨م، عندما وصل المجرم ميشيل عفلق (انظر معنى عفلق في لسان العرب) إلى بغداد، واستقبله عدد قليل من البعثيين المجرمين، فرأى الجماهير الكثيرة في مطار بغداد فسأل ما الخبر؟ قالوا له إنها تحتفي بالمرجع السيد محسن الحكيم الذي ذهب للعلاج إلى لندن، فقال يجب القضاء على المرجعية الدينية هذه... فأقسم له الجلاد صدام المجرم بأنه سوف يفعل ذلك..

يعتقد أن أوّل حملة إعدامات طالت العلماء وطلاب العلوم الدينية بدأت بإعدام الشهداء الشيخ عارف عبد الحسين حمود البصري

والسيد عماد الدين السيد محمد جواد الطباطبائي والسيد حسين جلو خان والسيد نوري طعمة... الذين أعدموا شنقاً بتاريخ: (١٩٧٤/١٢/٥م) كما يعتقد... في بغداد.

أما أوّل خطيب قتل بسم القهوة، فهو الشيخ عبد الزهراء فلاح عباس الكعبي الذي ولد يوم ولادة الزهراء (ع) وأستشهد يوم شهادتها، في ١٩٧٤/٦/٦م.

هل شملت العقوبة أناساً حول رجال الدين كعائلته وأقاربه وأصدقائه، أو مَن يحتك بهم؟

ج: نعم فقد صدرت أوامر باعتقال عوائل لهؤلاء الأبرياء، فالسيدة الشهيدة (أم ...) زوجة الشهيد الصديق الشيخ العلامة (...) قد تم اعتقالها واختفت منذ ذلك الزمن، وقد كتبت تفاصيل عنها في كتابي (تقرير عن اغتصاب وقتل و تعذيب ٤٠٠٠ امرأة في بلد المقابر الجماعية في العراق) هذا الكتاب يقع في (٩٣٠) صفحة من القطع الكبير وفيها من الجرائم ما لم يرتكبها أي نظام في العالم، أربعة آلاف امرأة بأسمائهن وصورهن، وتفاصيل عن الانتهاكات الفظيعة التي تعرضن لها، كما أعدمت زوجة الشهيد السيد (...) واستشهدت أمها السيدة (...)، كما نشرت تفاصيل (وصورة) امرأة اعتقلت وتعرضت للتعذيب لأنها سمت ابنها (محمد باقر) فقط، وكذلك اعتقلت أم العلامة السيد (...) التي أخذت (رهينة) عنه، وعذبت أم السيد (...)، وهناك قضايا هائلة لا أستطيع ذكرها (!) في ذلك التقرير المثير الذي أخذ مني حوالي (١٢) عاماً لتأليفه وقدمته للجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة...

كيف تعاملت المنظمات العالمية المدافعة عن حقوق الإنسان مع هذه الاعتداءات؟ وهل كانت الأمم المتحدة على علم بها منذ سبعينات القرن الماضي؟ وهل أصدرت مواقف إيجابية في هذا الخصوص، أم كانت لغة الصمت هي الحاكمة في أروقتها؟

لقد أدانت المنظمات العالمية انتهاكات حقوق الإنسان في العراق كمنظمة العفو الدولية في لندن، ومنظمة مراقبة حقوق الإنسان في نيويورك، والإتحاد الدولي لحقوق الإنسان في باريس، والبرلمان الأوربي في ستراسبورغ، والإتحاد العالمي للمدافعين عن حقوق الإنسان في ايرلندا، وغيرها وكانت تعتمد على تقاريرنا، وما نزودها بها من جرائم ارتكبها النظام الصدامي الفاسد.

لماذا لم تتحرك الأمم المتحدة لإيقاف هذه الجرائم؟

أما الأمم المتحدة فكانت تحت سيطرة الدول الغربية التي ساندت الجلاد صدام المجرم ولم تتخذ أي موقف إلا بعد احتلاله الكويت، والذي فتح الباب على مصراعيه ليعرف العالم حقيقة ذلك النظام الفاشي المتخلف، وكذلك الإتحاد السوفيتي الذي كان صدام يشتري ذمته بشراء الأسلحة الروسية فوقف السوفيت ضد الشعب العراقي من اجل مصالحه الاقتصادية، وهم الذين أشاروا على الشيوعيين العراقيين في الدخول في ما يسمى (الجبهة) مع الطغاة البعثيين.

هل هذه الاعتداءات شملت علماء مذهب دون آخر أو دين دون آخر؟

نعم تعرض كثير من علماء السنة (وليس بزخم ما تعرض له علماء الشيعة بالطبع، (لا كما ولا نوعا) فكتبت في الموسوعة عن إعدام الشهداء الشيخ ناظم عاصي العلي العبيدي، والشيخ عبد العزيز عبد اللطيف السامرائي البدري، والشيخ عبد الرحمن قادر يونس، وكذلك تعرض العلماء الأكراد، والتركمان العراقيون للاضطهاد واستشهدوا في أقبية النظام الفاسد...

هل كانت هناك ملاحقات لرجال الدين والمنبر خارج العراق من قبل

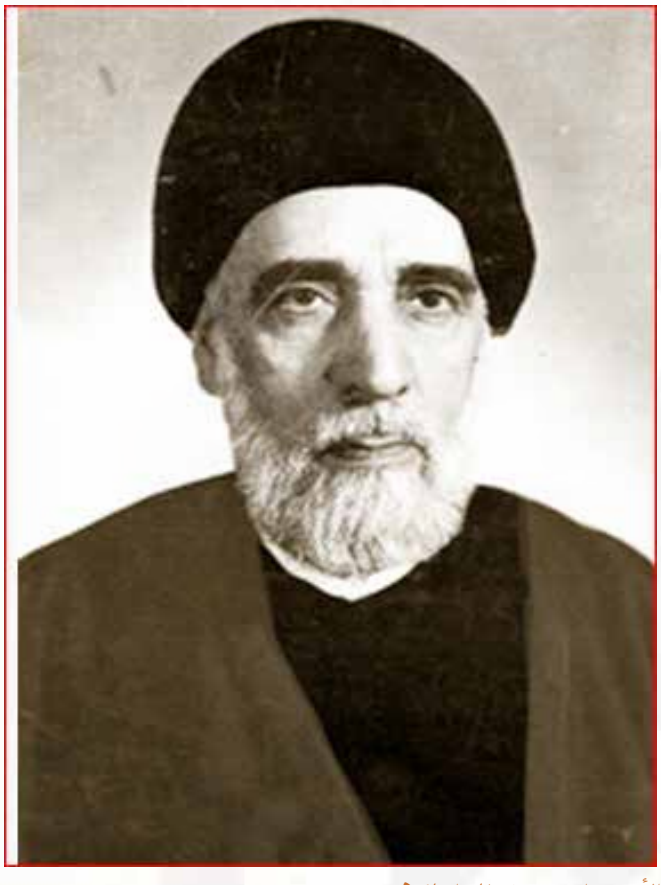

الأجهزة القمعية للنظام البائد؟

نعم فقد قاموا بملاحقة العلماء حتى في خارج العراق وهم الشهيد السيد مهدي الحكيم قتل في السودان. والشهيد السيد حسن الشيرازي قتل في لبنان. والمرحوم السيد محمد زكي السويج أصيب بطلقات نارية بعثية في رقبته بتايلاند. والشهيد السيد محمد باقر الحكيم تعرض لـ (٧) محاولات إغتيال في إيران. والشيخ نجاح الطائي تعرض لمحاولة إغتيال في الصين. والشهيد السيد عبد المنعم الشوكي اختطف من الكويت، واعدم. والشهيد الشيخ عبد الحسين حبيب الحائري استشهد بين لبنان و سوريا.

هل تركت هذه الاعتداءات الأثر النفسي السلبي في طلبة الحوزة العلمية أو عوائلهم، نأمل الوقوف عند مثل هكذا أبعاد؟

وجدت أن أكثر العوائل التي تعرض أحباؤها للشهادة أو الاعتقال أو التعذيب، قد تمسكت بالصبر والجلادة، وطول النفس، وبعضها كانت تفخر بأنها قدمت القرابين في سبيل الله تعالى، أما الضحايا أنفسهم من العلماء وطلاب العلوم الدينية فقد خرجوا من السجون والمعتقلات فمارسوا حياتهم الاعتيادية، واستمروا بالدرس والتدريس وكأن شيئاً لم يكن، بالرغم مما تعرضوا له من تعذيب لا يطاق، فإني أعرف أن مرجعاً ذا درجة عالية من العلم والشأن الكبير قد علق بالمروحة وكان معذبه قد تعب من ضربه بعد أن تراهن مع جلواز آخر أنه سوف ينال من شجاعته فتعبا، ولم يقل ذلك الأسد ولا كلمة آه.

كان للمدارس الدينية والمكتبات والكتب حصتها من السياسات الإجرامية للنظام هلا حدثتنا عن ذلك؟

الكل يعلم كيف قام جلاوزة البعث بسرقة المكتبات في النجف الأشرف منها مكتبة السيد الحكيم العامة في شارع الرسول (ص)، ونسف مدرسة السيد الحكيم في محلة المشراق بما فيها المكتبة العامة، والتي جزء منها مكتبة أخي المرحوم السيد هادي الحكيم الخاصة

التي أهداها إلى المدرسة، ونهب مكتبة الحسينية الشوشترية في (عكَد السلام) القديم في محلة العمارة، ومكتبة الشهيد المفقود السيد صادق القزويني في كربلاء، واضطرت مكتبات كربلاء الأخرى للإغلاق خوفاً من المصير نفسه، وبهذه المناسبة احيي الشيخ شريف كاشف الغطاء الذي عرفت أنه استطاع إنقاذ كثير من الكتب النفيسة لمكتبة آية الله الحكيم العامة، و دفع أموالاً للجلاوزة الذين لا يعرفون قيمتها و أعادها لرفوف المكتبة مشكوراً، وكلنا شاهدنا الأفلام المروعة في الانتفاضة وكيف كان الجلاوزة يفتشون في كتب الأدعية في العتبات المقدسة، وهناك أوامر صدرت بمصادرة كثير من الكتب في مكتبات شارع المتنبي و منع بيعها، ووضعت أسماء أعداد كبيرة من المؤلفين في القائمة السوداء.. مما يدل على مدى تخلف هذه الفئة الضالة التي تنتسب للعراق، بينما أصبت بالدهشة عندما زرت مكتبة الكونغرس الأمريكي التي تحوي ملايين الكتب من كل لغات العالم أجمع، أكرر من كل لغات العالم، حيث أن هناك قانوناً يفرض على كل دبلوماسيي أمريكا في العالم شراء أي كتاب في أي موضوع كان وإرساله إلى أمريكا... و قد وجدت في تلك المكتبة الهائلة ذات البنايات المتعددة حتى قصائد ملالي النجف من النساء باللغة الدارجة.

من نماذج نشاطكم الإنساني إقامة معارض في الساحات العامة في أوربا بين الحين والآخر . ذلك لإبراز جرائم النظام وما يتعرض له أبناء العراق من جرائم أثناء فترة حكمه المشؤوم . وفي العديد من عواصم ودول العالم، كيف تبادرت لكم الفكرة وفي أي بلد طبقت وما الذي عرضتموه من وثائق آنذاك وما هي ردود فعل المجتمعات التي شاهدت تلك الجرائم، وكيف كان الرد الرسمي لتلك الدول؟..

لقد زرت كثيراً من المعارض الثقافية والفنية في أوربا وأمريكا لنتعلم منها طرق العرض والجذب والإعلان والإخراج، وكوني عضواً في منظمة العفو الدولية تعلمت (بتواضع) بعض تلك الطرق الحديثة، وبعدها أقمت معارض عن انتهاكات حقوق الإنسان بالصور والوثائق والحقائق (بدون تهويل ولا مبالغة) في بريطانيا و فرنسا والدانمارك وهولندا والسويد والنرويج والصين الشعبية واليونان وتركيا وباكستان والإتحاد السوفيتي والبرتغال وأسبانيا ودبلن العاصمة الأيرلندية (عدة مرات حيث الإتحاد العالمي للمدافعين عن حقوق الإنسان الذي أنا عضو فيه) وبولندا وغيرها، وكان التعاطف كثيراً معنا من شعوب تلك الدول، ولكننا نقابل كذلك بعدم التصديق أحيانا والإحراج أحيانا، وربما لا تصدقون أننا كنا نميل للتخفيف من حجم تلك الجرائم حتى نستطيع أن ننال ثقة الجمهور، لأنهم يكادون لا يصدقون حجم ومأساة تلك الجرائم وهولها، مثلاً كنت أعرض وثيقة أصلية بإعدام أكثر من ٤٠٠ عسكري في ليلة واحدة فهم يتساءلون كيف يمكن جمعهم ونقلهم وإعدامهم ثم نقل جثثهم إلخ.. كما عرضت صور سيارات مثلجة لنقل جثث المعدومين.. بالإضافة إلى تدمير البيئة في احتلال الكويت، وإعدام الأطفال في العراق (انظر كتاب الأطفال ضحايا أبرياء للقمع السياسي) الذي أصدرته بالتعاون مع منظمة العفو الدولية و غيرها الكثير..

تعرض السيد صاحب الحكيم للعديد من التهديدات الصدامية، هل يمكننا الوقوف عندها..

تعرضت للكثير من الاعتداءات، منها في الأرجنتين حيث كنت أحضر مؤتمراً دولياً عن طرق التعذيب في العالم، وعرضت على الشاشة الطرق الوحشية التي تمارس ضد المعتقلين والمعتقلات في العراق ومنها طريقة لم يسمع بها العالم، وهي أن تملأ الغرفة بالقطن الأبيض المنفوش، ثم تشغل المروحة في أقصى سرعتها وتغلق على المعتقل فيدخل القطن في أذن وأنف وفم المعتقل ويصاب بالدوار والقيء، ثم فقدان الوعي، أقول تعرضت للضرب من مجموعة بعد خروجي من المؤتمر وكنت على الشاطيء الجميل وإذا بتلك المجموعة تقيدني من الخلف، وبدأوا بضربي معهم فتاة، أفرغت ما بجيوبي من أموال و أوراق خاصة.. ولولا تجمهر المارة الذين خلصوني من أيديهم لكان لي شأن آخر، وفي حادثة أخرى تم ضربي من قبل مجموعة فلسطينيين يسكنون في لندن أثناء (الإعتصام المستمر) الذي كنت أنا مسؤوله ومنظمه وراعيه، وهذا الاعتصام الذي استمر لمدة (٣٣٢) أسبوعاً ولسبع سنوات متتالية، والذي أظن أنه أطول اعتصام في تاريخ العراق والعرب والمسلمين، كان في ساحة لندن يؤمها ما يقرب (٣٠) مليون سائح سنوياً، ولولا مساعدة الشرطة البريطانية لكنت قد نلت الشيء الأفظع، وما آلمني أكثر هو قول الشرطة البريطانية أنكم انتم العرب تنقلون اختلافاتكم واستعمال أيديكم وطرقكم المتخلفة إلى شوارع أوربا الحضارية... ولا يفوتني أن أذكر أنني احتفظ بتقرير طويل في عدة صفحات رفع فيه رئيس المخابرات الصدامية إلى رئاسة الجهورية (صدام) (وأظنه من المجرم برزان التكريتي بخط جميل رائع يقترح فيه تصفية المجرم صاحب الحكيم المسؤول عن الاعتصام المستمر في لندن) وحرق وثائقه وبيته.. ولذلك فقد طلب مني البوليس البريطاني (سكوتلانديارد) أن أحمل بجيبي بطاقة بخط يدي (لا بالطابعة) للتأكد من تشخيص جثتي بعد الاغتيال، تقول البطاقة أني فلان معرض للقتل من قبل جلاوزة النظام الصدامي الغاشم لأني معارض، وقد عرضت تلك البطاقة الشخصية في التلفزيون البريطاني، وهناك حوادث أخر لا أرهق القاريء الكريم بقراءتها..

أخيراً خص الدكتور صاحب الحكيم مجلة نقطة، بحقائق وجرائم قد وثقها تجاه النظام المباد، ربما تكون أغرب من الخيال، ولكن الوقوف عليها مهم جداً لتعرف الإنسانية ماذا حل بأبناء العراق عموماً وبرموز العراق (علماء النجف الأشرف) بنحو أخص:

معلومات قصيرة نقدمها في ختام اللقاء:

أصغر معتقلة ذكرت في الموسوعة:

إن أصغر معتقلة ذكرت في الموسوعة هي الطفلة ليلى بنت الشهيد السيد محمد علي نذير البلخي التي اعتقلت و عمرها حوالي الستة (٦) أشهر فقط.

هل هي صدفة؟ أم تعمد؟

لقد استشهد جميع الذين حملوا جثمان المرجع السيد أبي القاسم الخوئي وهم:

١. الشهيد السيد محمد تقي الخوئي
٢. الشهيد عبد الحسن عباس الكوفي الجراح العلياوي
٣. الشهيد مناف عسكر
٤. الشهيد السيد محمد أمين الخلخالي

كم طريقة للقتل تعرف؟

بلغ عدد طرق القتل التي تعرض لها الشهداء من مراجع وعلماء الدين (٤٦) ستاً وأربعين طريقة قتل وإعدام وهذا مما لم يحدث في أي بلد في العالم..

نجا، ثم قتل دفناً و هو حي..

سم بالثاليوم ونجا، ثم اعتقل بعد ثلاث (٣) سنوات، وقتل حياً وذلك بدفنه بالتراب هو الشهيد المفقود الشيخ هادي عباس أبو الطابوق..

١٢ طفلاً مع آل الحكيم

أعلنت منظمة العفو الدولية أن عدد الأطفال الذين اعتقلوا مع آل الحكيم هم اثنا عشر طفلاً (١٢) ممن هم أقل من (١٨) عاماً حسب تقرير (العراق الأطفال أبرياء للقمع السياسي)..

نتف شعر اللحية..

المعتقل السيد هاشم السيد محمد جمال الهاشمي اخبرني أنه قد نتف شعر لحيته كلها، وكما تعرض آخرون لنفس المصير، كما أخبرني، و لا يريد ذكر أسمائهم...

تمنى أن يستشهد مع السيد مهدي الحكيم

الشهيد الشيخ عبد الحسين باقر الساعدي أب الشهيد أحمد وجد الشهيد طارق، كان صديقاً للشهيد السيد مهدي الحكيم، ويرافقه في جولاته، وكان يدعو الله أن يستشهد معه وفعلاً فقد استشهدا في يوم واحد..

الحوزة العلمية
وأثرها في تطور الصحافة في النجف الأشرف

الباحث: حسنين جابر الموسوي

لم تُعرَف النجف الأشرف حوزوياً فقط، ولكن إضافة إلى تميزها بالعلوم الحوزوية والدينية والتي علا فيها سماء النجف الأشرف حتى باتت قبلة للعلوم واعتُبرت المدرسة الأكثر تميزاً والأكثر دقة على مستوى العالم الإسلامي والحوزات العلمية، مع تميزها بالأدب والشعر وغيرهما من العلوم والمعارف المتعددة.

على الرغم من ذلك كله لم تغفل النجف الأشرف عن نصيبها من (الصحافة) والتي بلورت فيها همومها وآراءها السياسية والثقافية والاقتصادية ومشاركتها هموم المسلمين في بقاع الأرض، والتي أيضاً من خلالها بلورت الهموم والآمال التي كان يحملها علماء وأدباء وساسة النجف الأشرف تجاه الأمة الإسلامية، وتجاه مشاكلها المتعددة من حل لشبهة عقائدية وإعطاء رؤية سياسية أو إبداء عواطف جياشة ونصرة للمسلمين، أو إبداء آراء فكرية وغيرها من الأمور التي تدل على ريادة النجف الأشرف في مختلف الميادين.

فقد ظهرت في قلب النجف عشرات الصحف والمجلات والنشرات وتعتبر النجف من أقدم البلدان العربية إصدارا للصحف والمجلات حيث صدرت أولى الصحف فيها وهي مجلة (العلم) والتي أسسها سماحة السيد هبة الدين الشهرستاني في عام ١٩١٠ وهي أوّل مجلة عراقية عربية تصدر بعد الثورة الدستورية العثمانية.

يقول الشهرستاني في افتتاحية العدد الأوّل من مجلة العلم (... إن الصحافة حكمة يريد بها العرف من استعمالها إنشاء الصحف المعهودة المنشورة والأوراق المشهودة المشهورة، وربما يكتفي اشتهار معناها مأونة التعريف وقد يريد العرف منها إدارة أمر الصحايف لا غير سواء تعلق ذلك بنشرها أو إنشائها أو نحوها فيعم المعنى الأوّل ويسمى القائم بأمرها صحفيا)..

ولو أردنا أن نسلط الضوء على تاريخ ودوافع الحركة الصحفية في مدينة النجف الأشرف فإننا سنكون أمام أسباب رئيسة لانبثاق الصحافة منها:

أ. تبليغ رسالة النجف العلمية وإرسال إشعاعها الفكري إلى أنحاء العالم.

ب. رفع منار الدعوة الإصلاحية والاجتماعية.

ج. الرد على بعض الحركات التبشيرية المعادية للإسلام، والتي كانت تلك الحركات حسب ما نشرت مجلة العلم بعددها العاشر عام (١٩١٠م)، إن ما تصدره يوميا في العالم ردا على الإسلام كان يزيد على مليون ورقة ما بين مجلة وجريدة ونشرة وكتاب.

د. إيجاد الوسائط بين النجف والبلاد الأجنبية ونشر آثار علمائها.

أما الأدوار التي مرت بها الصحافة النجفية فهي أربعة ادوار.

١. الدور الأوّل: يبدأ من عام (١٩١٠-١٩١٢) وهو الدور الذي دخلت فيه النجف المعترك الصحفي وشاركت النجف بقية مدن العراق في الدعوة إلى الثقافة العامة بنواحيها المتعددة، وفي هذا الدور ظهرت أربع صحف هي: (الغري، النجف، درة النجف، العلم).

٢. الدور الثاني (مرحلة العشرينات): بدأ بعد اندلاع ثورة العشرين حيث بدأت بعض الصحف على مسرح الصحافة وهي (الفرات والاستقلال) ولم تدم طويلا وبعد سنوات من تنصيب (فيصل) ملكا ظهرت مجلات (النجف والحيرة).

٣. الدور الثالث (دور الازدهار): ويتضمن مرحلة الثلاثينات والأربعينات لتشهد النجف ولادة عدد كبير من الصحف المسبوكة والتي ظهرت فيها مواهب صحفية وإعلامية بإجلى مظاهرها في عقليتها وبمهنية عالية، حتى باتت تعد من طليعة الصحف العراقية بل العربية ك(الاعتدال، الغري، البيان، الهاتف، والمصباح.. وغيرها).

٤. الدور الرابع: ويشمل مرحلة الخمسينات والستينات إلى وقتنا الحالي وتضمن الكثير من الصحف والمجلات التي كانت تزدهر بين مدة وأخرى ولكن ليس بالزخم الذي تألق به الدور الثالث.

وسلطت الصحف والمجلات النجفية الضوء على الآراء والاتجاهات في الميادين المتعددة فنرى مجلة البيان التي كان رئيس تحريرها علي الخاقاني وهي مجلة أدبية اجتماعية تصدر مرتان في الشهر وصدرت لمدة أربع سنوات، صدر العدد الأوّل منها في ٢٩ حزيران عام ١٩٤٦وانتهت بعددها (٨٥) في ١٥ حزيران عام ١٩٥١ والخاص بالشيخ محمد رضا آل ياسين. فقد رسم رئيس تحريرها أهداف مجلته في افتتاحية العدد الأوّل حيث قال: (نحاول في البيان أن نقوم مع الاعتصام بالله ومؤازرة الكتاب والأدباء بمعالجة ما تعقّد من المشاكل الاجتماعية ونكشف عما انبهم من آراء، ونوفق

بين الدين الصحيح والمرتبة السامية، ونوضح كل خاطرة مختلف فيها بجلاء ووضوح، نستقصي تاريخ بلادنا المحبوبة من كافة نواحيه، ونعتني عناية خاصة ببعث مآثر الأجداد وإحياء آثارهم بإيصال تاريخنا الأدبي والسياسي من سقوط الدولة العباسية إلى عصرنا الحاضر، ونزيل الحجب الكثيفة عن القرون المظلمة وما حدث خلالها من الحروب والأهوال التي هلكت فيها أمم وأمم).

وتفاءل آية الله الشيخ عبد الكريم الزنجاني (قدس) خيرا باسم المجلة حيث ذكر في مقال أرسل لرئيس التحرير ونشر في العدد الأوّل حيث قال فيه (قدس): (ولقد أجاد الأستاذ البارع الخاقاني في اختياره لفظ (البيان) اسما لصحيفته الغراء لكي ينم هذا الاسم عن أهدافها الجليلة التي هي العلم والأدب والاجتماع والتوفيق بين الدين والعلم. ورجائي أن تصبح صحيفة البيان مجالا لفحول الأقلام ومسرحا للآراء الناضجة واكبر عامل لأعداد ثقافة علمية أدبية دينية إصلاحية دعامتها القرآن وأساسها العلم وغايتها نشر الحقائق الراهنة واستنقاذ الشباب مما أصابهم من الوهن والفتنة.

في هذه الرسالة دلالة واضحة على اهتمام الحوزة العلمية والمرجعية الدينية في النجف الأشرف في الصحافة ونتاجها وحرصوا على أن لا تتوقف عجلة الصحافة في هذه المدينة المقدسة وخير مصداق على اهتمام المرجعية في الصحافة النجفية **رسالة سماحة آية الله العظمى المرجع الديني السيد محسن الحكيم إلى المسلمين يدعوهم فيها إلى مؤازرة مجلة الأضواء** بعد أن ترتب على مجلة الأضواء مجموعة من الديون المستحقة حيث كان نص الرسالة التي نشرتها مجلة الأضواء بعددها الرابع من السنة الثالثة عام (١٣٨٢ هجـ):

(بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد، إلى إخواننا المؤمنين وفقهم الله لمراضيه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد فقد بلغنا أن نشرة الأضواء الإسلامية مدينة بمبلغ يقارب الخمسمائة دينار عراقي ولما كانت الفوائد الدينية المترتبة على وجود هذه النشرة وبقائها كثيرة فالمأمول من إخواننا الاهتمام بوفاء ديونها ولو كان ذلك من سهم الإمام (ع) والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق والقبول. محسن الطباطبائي الحكيم ١٣٨٢).

وركزت مجلات وصحف النجف على الهاجس القومي والإسلامي الذي كان يعيشه واقع المسلمين من تردي أوضاعهم بشكل عام والعرب بشكل خاص، وهذا ما أثبتته مجلة المصباح لصاحبها محمد رضا الحساني فذكر في افتتاحية العدد الأوّل من إصدارها عام ١٩٣٤م، فقال فيها: أنا عربي وأحب العرب وأتمنى سعادتهم وأسأله تعالى أن يوفقني لخدمتهم بالنفس والنفيس، وبكل ما أوتيت من حول وقوة وأرجو من كل عربي أن يساعدني ماديا وأدبيا بما يقوّم هذه الروح في الشرق العربي والإسلامي)

وحاولت صحف النجف أن تصلح واقع المجتمع الإسلامي من خلال المقالات المنشورة وهذا الإصلاح الذي رسمته مجلة الدليل لنفسها وسارت عليه وفق خطط وأهداف معينة، ذات خطط وأهداف رسمتها وطبقتها على أرض الواقع، إضافة إلى عنايتها واهتمامها بالبحوث والمقالات ذات خصوصية واضحة في القومية العربية والوطنية ودراسات في القرآن وعلومه والتاريخ والجغرافية والاجتماع والأدب وسيرة أهل البيت (ع) وسياساتهم، كذلك كانت مجلة الإصلاح قد كتبت عن تاريخ الأقوام والحكومات السابقة وعلم الكلام والفلسفة والرد على بعض الأفكار والطروحات. وكتب في مجلة الإصلاح أعلام الفكر والأدب أمثال سماحة آية الله السيد محمد تقي الحكيم، والدكتور مصطفى جواد، والشيخ محمد رضا الشبيبي، وعبد الرزاق الحسني والشيخ عبد المهدي مطر والشيخ عبد المنعم الفرطوسي والسيد محمود الحبوبي والشيخ علي الصغير وغيرهم.

وحاولت الصحف جاهدة أن توصل ثورة الإمام الحسين (ع) من خلال الكتابات والمقالات، ورأت بعض هذه الصحف كمجلة الغري لشيخ العراقيين الشيخ عبد الرضا آل كاشف الغطاء، أن ثورة الإمام الحسين (ع) لم تأخذ حقها من البحث والدرس والمعاني والعبر التي تستنبط من تلك الثورة العظيمة والافادة منها لمحاربة الفساد والظلم والطغيان، حيث اعتبرت مجلة الغري حافظة للتراث النجفي والعراقي من خلال ما نشرته من موضوعات متعددة مما عدّها البعض من المجلات الوثائقية، وقد وصف الدكتور حسن عيسى الحكيم مجلة الغري بأنها مجلة أرادت أن تكون في حصاد المجلات العربية التي تعاصرها وفتحت الباب على مصراعيه للباحثين وأصحاب الكلمة من فروع المعرفة كافة، وأشارت إلى أنها (مجلة علمية أدبية دينية جامعة) وكتب على أعدادها الأخيرة (مجلة علمية أدبية فلسفية فنية اقتصادية جامعة) ومن المبادرات الجميلة للمجلة أنها خصّصت عددا من إعدادها لقصيدة واحدة للشاعر النجفي السيد محمد رضا الحبوبي بعنوان (شاعر الحياة) وخلت المجلة من أية موضوعات أخر سوى هذه القصيدة التي وصل عدد أبياتها إلى (٤٠٠) بيت فكتب الشيخ كاشف الغطاء المقدمة لهذا العدد الخاص.

وفي ذلك أشاد زعماء الحوزات العلمية في النجف الأشرف بالصحف بل وراحوا يأسفون عن انقطاعها وهذا ما قاله آية الله العظمى الشيخ الكبير محمد حسين كاشف الغطاء في رسالة بعثها إلى مجلة الاعتدال التي أصدرها محمد جواد البلاغي عام (١٩٣٣) حين عودتها للإصدار بعد انقطاعها حيث قال (قدس): بلغني أنك قد صممت العزم على أن تعود إلى إصدار مجلتك التي غابت عن الأبصار أكثر من غيبة الأقمار ليالي السرار وكنت أنا وكثير ممن يقدّر لها قدرها ويعرف من الأدب مكانتها آسفا لهذه الغيبة ومرتقبا لها حسن الأدب وما أجمل الأسماء إذا طابقت مسمياتها وما أفضل المسميات إذا جاءت وفقا لأسمائها.

ومجلة الاعتدال للبلاغي رسمت لنفسها أهدافاً معينة من أهمها إصلاح وتنوير الأفكار على أساس العلم والأخلاق والمبادئ الصحيحة، وتعتبر مجلة الاعتدال من أمهات المجلات لا في النجف أو العراق فحسب بل في البلاد العربية جمعاء فحفظت التراث العربي ورفعت مستوى الأدب النجفي وشارك في تحريرها أعلام الفكر وشيوخ الأدب وقادة العرفان.

ولم يكتف المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (قدس) بارسال رسالة إلى مجلة الاعتدال، بل قام (قدس) بكتابة بعض الافتتاحيات لبعض المجلات كمجلة العدل الإسلامي وكتب رسالة الى رئاسة تحريرها جاء فيها (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) إن هذه أجمع آية لأصول الخير والشر ونواميس الحياتين وقوامیس السعادتين وما من دين من الأديان ولا شريعة من الشرائع كشريعة الإسلام وطدت جميع أحكامها وحكوماتها وقضاتها واقضيتها وجميع شؤونها في عباداتها ومعاملاتها وعمالها وأخلاقها كل ذلك جعلته مبتنياً على العدل وموازين ثم زادت على ذلك ففسحت مجالا واسعا للفضل)، فقال في نهاية الافتتاحية (فإذا استطعت يا رائد (العدل الإسلامي) أن توفي هذا المشروع الشاسع الأكناف الواسع الأطراف نعم إذا استطعت أن توفيه ولو بعض حقه فقد منحك التوفيق صفاياه وأعطاك الحظ أطايبه فكن رائد خير أو خير رائد لأمتك ونسأله تعالى لك التوفيق ولصحيفتك السداد وطول العمر إن شاء الله).

وإذا أردنا أن نحصي عدد المجلات والصحف النجفية فعددها يربو على الثلاثين مجلة وصحيفة إضافة إلى ثلاث وعشرين نشرة طلابية، وهي: (مجلة العلم، جريدة الفرات، جريدة الاستقلال، جريدة النجف، مجلة الحيرة، جريدة الفجر الصادق، مجلة الاعتدال، جريدة الراعي، مجلة المصباح، جريدة الهاتف، جريدة الحضارة، مجلة القادسية، مجلة الغري، مجلة المثل العليا، مجلة العدل الإسلامي، مجلة البيان، مجلة الدليل، مجلة الشعاع، نشرة البذرة، مجلة العقيدة، مجلة لواء الوحدة الإسلامية، مجلة النجف، مجلة التحرير الثقافي، جريدة الحوزة، مجلة المعارف، نشرة الأضواء، نشرة الإسلام، جريدة العدل، مجلة الإيمان، مجلة الرابطة، جريدة الفيحاء، مجلة كلية الفقه، وجريدة النور).

أما النشرات الطلابية فهي: المواهب، العلم، التهذيب، الطرائف، روضة العصمة، صوت المحمدية، فلسطين، صدى التهذيب، الخنساء، صدى الفتوة، الواجب، الكميت، التلميذ، الثقافة، المنتدى، المعرفة، صدى الأمير، الرياض، أنوار الرياض، الخمائل، والأنوار.

وكل هذه المجلات والصحف والنشريات، قد نشأت حتى ثمانينات القرن الماضي كتب فيها أساتذة في الحوزة العلمية والفكر والأدب وأصبحت هذه الصحف والمجلات بمثابة مراجع، أما كتّابها فهم اليوم من كبّار أساتذة الحوزة العلمية أو من شهدائها ومن رواد الفكر والفلسفة في المذهب والعالم الإسلامي.

دور حوزة النجف في الحفاظ على اللغة العربية

بقلم السيد طلال الحكيم
استاذ في الحوزة العلمية

كانت ولا تزال حوزة النجف الأشرف المعين الذي لا ينضب والنبع الذي لا يغيض في إثراء طلبة العلم في كافة العلوم التخصصية (كالمنطق والكلام والحكمة والفلسفة، ومن الفقه والأصول والدراية والرجال، ومن الأخلاق والسلوك والعرفان، ومن التأريخ والتفسير وعلوم القرآن، ومن الصرف واللغة والنحو والبلاغة.. وغيرها من العلوم الأخرى)، وكان لعلم النحو وكغيره من العلوم القاعدة الرصينة والأساس المتين في هذه الحوزة لا لأن الحوزة في بلد عربي يتقن اللغة، ولا لأجل فهم الرواية عن المعصومين (ع) فيتعلق بها الغرض، فإن هذا وذاك يمكن أن تجده في غير مكان ولكن ما لا تجده إلا في حوزة النجف الأشرف إنها بجوار مؤسس هذا العلم ومقنن أصوله علي بن أبي طالب (ع) فكان من الطبيعي أن تأخذ دراسة علم النحو في هذه الحوزة دور الريادة والسيادة كيف والمدرسة الكوفية منها والبصرية ليس ببعيد عنها من هنا تجد طلبة العلوم إليها تزدلف ومن بحرها تغترف تحصيلاً لدروسها العالية وتحقيقاً لمطالبها الشافية؛ وتلخيصاً للقارئ الكريم نقدم بين يديه دور حوزة النجف الأشرف في صيانة اللغة العربية وحفظها.

وكان لعلم النحو كغيره من العلوم القاعدة الرصينة والأساس المتين في هذه الحوزة لا لأن الحوزة في بلد عربي يتقن اللغة، ولا لأجل فهم الرواية عن المعصومين (ع) فيتعلق بها الغرض، فإن هذا وذاك يمكن أن تجده في غير مكان ولكن ما لا تجده إلا في حوزة النجف الأشرف إنها بجوار مؤسس هذا العلم ومقنن أصوله علي بن أبي طالب (ع) فكان من الطبيعي أن تأخذ دراسة علم النحو في هذه الحوزة دور الريادة والسيادة

١. إنها جزء أساس من المنهج الدراسي فلا تجد طالباً في الحوزة العلمية في النجف الأشرف لا يمر بكتب اللغة العربية درساً ومباحثةً وتدريساً وهي تؤخذ في مرحلة المقدمات عبر جملة من أهم الكتب التي ألفت في اللغة العربية بداية من كتاب الاجرومية إلى كتاب قطر الندى إلى ألفية ابن مالك عند اغلب الطلبة، وهناك بعض من يدرس ألفية ابن مالك إلى دراسة كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، هذا من غير شروح تلك الكتب كحاشية الفاكهي والسجاعي والآلوسي على قطر الندى وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك وحاشية الدسوقي والسيوطي والأمير على مغني اللبيب من غير المتون الأخرى كالكافية لابن الحاجب وشرح الرضي عليها وكتاب النحو للجامي وشذور الذهب للأشموني وأوضح المسالك لابن هشام وشرح المفصل لابن يعيش والكافية لابن مالك والنحو الوافي لعباس حسن.

٢- إن الدراسة والتدريس من مرحلة المقدمات إلى السطوح وصولاً للبحث الخارج لا تكون إلا باللغة العربية الفصحى وهذا يدل على اهتمام حوزة النجف الأشرف بها وصونها لها.

٣- فتح المجال للطلبة الراغبين بالتخصص فالحوزة العلمية بما أنها متحررة فسوف تجد فيها من يزاول التخصص في شتى العلوم ومنها اللغة العربية درساً وتدريساً وبحثاً وتصنيفاً.

٤- إمتازت حوزة النجف الأشرف ومن خلال أهل التخصص في مجال اللغة العربية من تصدير كثير من التصنيفات والمؤلفات والرسائل النحوية وعبر أساطين أهل هذا الفن نذكر منها: الفوائد الصمدية في علم العربية لبهاء الدين بن الحسين المعروف بالبهائي، المنظومة في النحو للشيخ نجم الدين الهمداني المتوفى سنة ١٢٧١، الوجيز الجامع في الصرف والنحو للشيخ عبد الكاظم العبيدي المتوفى ١٣٩٠، المنظومة في النحو أيضاً للسيد عبد الصاحب الموسوي المتوفى ١٣٦٠، هبة الحازم في شرح ألفية ابن الناظم وهو من أربعة أجزاء للشيخ جعفر الكرباسي، وله أيضاً كتاب منتخب النحو وإعراب القرآن والفلسفة النحوية ومواقع حالات الإعراب وكتاب الثلاثي اللازم والمتعدي وغيرها من المؤلفات والمخطوطات، والمنظومة في النحو أيضاً للشيخ هادي كاشف الغطاء، وغيرها من المؤلفات والرسائل التي ذخرت بها حوزة النجف الأشرف.

السيد محمد التيجاني ومذكراته

لقاء: عباس شربة

لكل باحث مواقف وحقائق عاشها خلال فترة معينة، أو أحداث معينة لم يبح بها جميعها، ولقراءة أو متابعة محمد السماوي التيجاني احدى الشخصيات البارزة التي كانت لها مواقف كثيرة ومحطات منوعة في مختلف بلدان العالم.. ولكن محطة تحرره الأوّلى كانت النجف الأشرف وقبل أكثر من أربعة عقود هل هناك حقائق لم يكشف عنها التيجاني؟!!

التيجاني يقلب مع مجلة نقطة صفحات ذاكرته القديمة ليفتح لقرّاءة مشاهد عاشها مع قطبين من أقطاب الفكر والبحث الإسلامي الأصيل.. يكشف عبر هذا اللقاء عن مواقف السماوي التيجاني مع المرجع السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) والشهيد السيد محمد باقر الصدر(قدس).

ثمة وقفات للتيجاني مع مراجع النجف الأشرف، ابتدأها بالمرجع الكبير الراحل السيد أبو القاسم الخوئي.. ما هي الكلمات التي لم يكتبها التيجاني عن سماحة السيد الخوئي (قدس) في كتابه (ثم اهتديت)؟

قلت له: إن الشيعة كانوا يعبدون عليا! قال لي: أنت أستاذ؟ قلت: نعم.

قال: إذا كان الأساتذة يفكرون بمثل هذا التفكير فلا لوم على عامة الناس، هذا أكبر درس سمعته من احد الشيعة. قال لي: هل قرأت كتابا شيعيا؟ قلت: لا. هل جالست عالما شيعيا؟ قلت: لا. فأجابني: من أين لك هذا؟ فإن كان من احمد أمين.. من هو احمد أمين حتى يكون حجة علينا؟

أنت تحكم علينا بشيء لم نقله، سمعته من أعدائنا وهذا لا يجوز لك، لأن الله يقول: (إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)؟ فهل هذا منطقي!؟

ثم قدم لي درساً ابلغ من ذلك، حيث قال انتم أولى بهذه التهمة، فتقولون إن: جبريل أخطأ بالرسالة؟ قلت: كيف ذلك؟

قال: نحن الشيعة نقول إنهم معصومون عن الخطأ فما بالك برسول الله (ص) وما بالك بجبرائيل (ع) المبلغ عن الله (جل وعلا)، وأنتم تقولون حتى الرسول ليس معصوم! فأنتم أولى بهذه التهمة.

وهنا أعطاني دروسا في علم المنطق جعلني أتراجع في فكري وأجدد هذه المقولات لاستشف منها بعض الذي غاب عني وأرجع أدراجي لأقول لنفسي أنا مخطئ، وهذا هو المصيب هذا أوّل لقاء لي مع السيد الخوئي (قدس).

ثم اكتشفت أن السيد الخوئي رجل فقيه آية الله عالم جليل وله بالأخص كتابه المشهور في علم الرجال وعلوم القرآن الكريم... وإلى غير ذلك، وله من الطلبة والحوزويين الكثر، ويكفيه أن الشهيد محمد باقر الصدر كان من طلبته..

وماذا عن السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس)؟

السيد الصدر في الحقيقة، قد أثّرَ فيّ كثيراً، لأنني عشت معه فترات طويلة، وكنت أسأله عن كل شيء، وكان يجيبني حتى أن بعض الأسئلة التي ترد عليه يجيب عليها ويسمعني الإجابة عليها، وأنا أسمع واستفيد منها، وكان يلاطفني ويمازحني وهو يبتدئني قبل أن أبدأه أنا بالسؤال، وعلمت أيضاً أن هذا الرجل هو عبقري ممن لم يجد الدهر بمثله إلا نادرا فقد حاز على رتبة الاجتهاد وهو ابن (٢٢) عاما! وهو ما زال شاباً، ومن الكتب التي ألفها مثل: اقتصادنا، وفلسفتنا.. أوصلتها إلى تونس في ذلك العهد واستفاد منها كثير من طلبة العلوم في الجامعات وحتى الأساتذة.

وماذا عن سماحة السيد محسن الحكيم (رحمه الله)؟

التقيت مع السيد الحكيم (رحمة الله عليه) في أوّل الأمر كانت زياراتي قصيرة ومفاجأة يعني كانت زيارة تبرك، حتى كان صديقي الذي كان يصاحبني السيد عيسى عبد الرسول أبو شبر كان يقدمني لأتعرف عليهم بأني (أنا أستاذ من تونس) ابحث عن الحقيقة فهذه كانت زياراتي، والسيد محسن الحكيم ما حظيت به إلا لقاءا واحدا وكان لقائي قصيرا، وكان حسب ما علمت من الحوزويين في ذلك العهد أنه عالم كبير وله وجاهة عند السلطة وكانت تهابه السلطة والعشائر العراقية، كما والتقيت مع آية الله أسد حيدر، وباقر شريف القرشي، والسيد الطباطبائي الحكيم.. وكثير من العلماء والمراجع؛ وعندي (١٤) وكالة لعدد من مراجع النجف الأشرف، وقم المقدسة ومشهد المشرفة..

كيف يصف - باختصار - التيجاني مراجعنا العظام؟

إنهم مستقلون عن الحاكم، وإنهم لا يقولون ولا يفتون برأي الحكام، بل يفتون ويقولون بالشريعة الإسلامية ولو عارضت في ذلك الحاكم.. بعكس أخواننا أهل السنة... فهم يميلون إلى الإفتاء بما يرضي الحاكم..!

في حين أن الشيعة.. تتكلم باستقلالية عن السلطان وعن الحاكم، وهذا ما قاله الرسول (ص): (إذا رأيتم العلماء على أبواب السلاطين فبئس العلماء وبئس السلاطين، وإذا رأيتم العكس فنعم العلماء ونعم الحكام) وهذا ما لم يحدث عند السنة وحدث عند الشيعة.

هناك ميزة روحية وبعد أبوي عرف به مراجع الدين العظام، فشع بعطائه إلى جميع المسلمين والشيعة بنحو خاص؛ ما هي كلمة التيجاني التي يوجهها لباقي المسلمين ليعرفهم بما لمسه من مراجع النجف الأشرف؟

أنا كنت أجهلهم، ولا اعرف التضليل وواقع ما يدور الآن وبعد أن اتبعت مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فهو الإسلام المحمدي الأصيل عرفت المراجع بأنهم مستقلون وثقاة وزاهدون وعلماء أجلاء فأقتنعت في تقليد البعض منهم وكذلك مثلت بعضهم في وكالات في شمال أفريقيا، وعلى هذا أقول لأخواني أهل السنة: أن يفتحوا بصرهم وبصيرتهم ويبحثوا في هذا الأمر حتى يعرفوا أن المراجع الحقيقيين للدين الإسلامي هم مراجع الشيعة فقط..

كلمة أخيرة

ميزة النجف الأشرف أنها حوت جثمان أمير المؤمنين (ع) وبجانبها الكوفة التي كانت يرأسها أمير المؤمنين وعلم فيها الكثير من أصحابه وتخرج منها الكثير من العلماء والطلبة وتوزعوا في الأقطار العربية والإسلامية، فهي بالحق النجف منارة العلم ومنارة الثقافة ولما سئلت عن أنها ستكون هي عاصمة الثقافة عام (٢٠١٢م) قلت يجب أن تكون عاصمة الثقافة مدى الحياة لأن الثقافة منها بعثت والعلم منها انفجر فهذا رأيي في النجف.

وأخيرا بودي أن أعبر عن فرحي وابتهاجي وافتخاري لزياراتي المستمرة للنجف ففي كل مرة أستكشف أن هناك تغيرا عمرانيا كبيرا.. كبناء الجسور وتعبيد الطرقات.. والعراق مازال جريحا ويعاني من دمار وتبعات الاستعمار والمنافقين والمخربين والوهابية والانتحاريين الذين دمروا الكثير منه لكن بجهود أبنائه وبجهود المخلصين من الشيعة سيبنى العراق من جديد والنجف الأشرف ستكون هذه الايام بمثابة أيام الازدهار الأوّلى لأن الحوزات العلمية من هنا انبثقت ومن هنا تخرج آلاف العلماء الفطاحل الذين أناروا بفكرهم وبعلومهم كل منارات الإسلام والعالم..

شاعر العقيدة السيد الحميري

للسيد محمد تقي الحكيم

علياء عبد الزهرة مهدي
كلية التربية للبنات

أن يؤلف طبيب كتاباً متميزاً في علم الطب فذاك ليس بالأمر العجيب، وأن يؤلف ناقد كتاباً في نقد الشعر ولغته فذاك هو ميدانه، ولكن أن يتوقف علمٌ من أعلام الفقه ليدرس حياة شاعر ويفصل في شاعريته فذاك أمر يجب التوقف عنده.

وليس غريباً على علمائنا الكرام الغور في قضايا الشعر والأدب وذلك لما عرفوا به من موسوعية معرفية من جهة، وروح أدبية من جهة أخرى ولكن يبقى الأمر ظاهرة ملفتة للنظر،وهذا ما جعلني أتوقف عند كتاب (شاعر العقيدة السيد الحميري) لسماحة آية الله السيد محمد تقي الحكيم (قدس) وأنا أتساءل ترى كيف وصف لنا الفقيهُ الشاعرَ؟ وكيف رسم لنا مشاهد شعره؟

يبدأ الكتاب بمقدمة للدكتور عبد الهادي محمد تقي الحكيم ويذكر في مقدمته أنَّ سماحة السيد كتب هذا الكتاب في العشرينات من عمره استجابة لمتطلبات الحركة الثقافية في النجف الأشرف آنذاك والتي كان السيد أحد أبرز أقطابها.

يبدأ المؤلف كتابه بـ(أضواء) يسلطها على مجموعة من الحقائق التي تتعلق بدراسة التاريخ ويجعلها فاتحة حديثه عن السيد الحميري ذلك الشاعر الذي يرى المؤلف أن (تاريخه المتداول الآن من أكثر التواريخ تناقضاً وغموضاً ومن أشدها اضطراباً والتواءً وبخاصة فيما يتعلق به من أحاديث ربما تمتُّ لعقيدته المذهبية ببعض الصلات).

ثم يوضح المؤلف منهجه في كشف تلك الملابسات التاريخية وذلك عن طريق (التثبت من أسانيد الأحاديث وتحقيق نصوصها والتماس ملابساتها التي تُلقى على بعضها الأضواء في مجال المحاكمات) وقد بين المؤلف أنه في منهجه التحليلي قد استعان (ببعض العلوم المحدثة كعلمي النفس والحياة وكعلم الاجتماع) وما ذلك إلاّ ليقدم للقارئ صورة متكاملة من صور البحث العلمي في الأدب وتاريخه ونقده.

ويقسم المؤلف كتابه على قسمين: القسم الأوّل يتعلق بسيرة الشاعر وحياته والقسم الثاني يتعلق بالناحية الفنية المتمثلة بشعره وأبرز الخصائص والسمات التي ميزته.

يبدأ الحديث عن حياة الشاعر في معالجة قضية اختلاف نسب الشاعر والروايات والآراء التي قيلت في هذا الشأن ويعالج المؤلف الأمر بموضوعية ويخلص إلى أنَّ (انتساب شاعرنا إلى حمير لم نجد في نسابة العرب من يشكك فيه أو يغمزه على كثرة من فيهم من أعدائه ممن يتطلبون له المغامز)، ثم يتحدث عن ولادته والروايات في سنة الولادة ليقرر في ضوء دراسته لمعطيات تلك الروايات وظروفها أن الشاعر (من مواليد سنة١٠٥هـ)، ثم ينتقل للحديث عن نشأة الشاعر في البصرة من أبويين اباضيين يسبان ويشتمان الوصي (ع)، ولكن المفارقة الغريبة تكمن في كون الشاعر لم يتأثر بعقيدة والديه فوجد (نفسه على أبواب عقيدة تختلف عن عقيدة أبويه اختلافاً كبيراً... إلى حد لم يكن يعرف معه من أين جاءه التشيع فقد كان يُسأل بعد ذلك عن مصدر تشيعه فيجيب غاصت علي الرحمة غوصاً).

وهكذا وجد الشاعر حب أمير المؤمنين (ع) في قلبه فكان يفارق أبويه فيبيت في المساجد جائعاً لحبه فراقهما وإيثاره الجوع على سماع سبِّ أمير المؤمنين (ع).

وقارئ الكتاب يجد المؤلف في عرضه لحياة السيد الحميري يتبع المنهج التحليلي الذي يأخذ بمعطيات علم الاجتماع والنفس في إدراك أثر البيئة على الشخصية فنراه يضيف ظلالاً من آرائه القيمة على حياة السيد ونشأته لتكتمل صورة العرض وتتسق بالتحليل الموضوعي للأحداث.

وعلى هذا النهج يستمر المؤلف في استعراض شخصية الشاعر،ومنابع ثقافته وحياته الاجتماعية وعلاقته بالسلطة ثم يدخل إلى العنصر الأبرز في حياة السيد الحميري وهو عقيدته التي كثر الجدل حولها فيخرج بنتيجة مؤداها أن الشاعر بدأ حياته العقدية كيسانياً ثم اهتدى لولاية الصادق (ع) ومذهبه الشريف بعد مناظرة أو لقاء له مع الإمام (ع) أو أحد تلامذته وهو مؤمن الطاق، وعلى أية حال فقد اهتدى الشاعر وأعلن أبياته الشهيرة التي يقول فيها:

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا

وناديتُ باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفرُ

وهكذا يسير بنا المؤلف إلى مرحلة جديدة من حياة الشاعر في ظل عقيدته الجديدة ومع أئمته الجدد، وفي كل تلك المراحل من حياة الشاعر تختلف الروايات فيعمد المؤلف إلى المعادلة والترجيح بين الروايات حتى يصل إلى النتيجة المنطقية المقنعة، ثم يتحدث عن وفاة الشاعر وما فيها من الاختلاف في الروايات وأخيراً يختم حياة الشاعر بالحديث عن بعض الاتهامات التي تعرض لها الشاعر ويرد عليها بروح موضوعية أيضاً.

وفي القسم الثاني من الكتاب رصد المؤلف أبرز القضايا المتعلقة بشعر السيد الحميري وأبرزها أنه عُرف بكثرة شعره وأنه أحد الثلاثة الذين لا يدانيهم أحد في كثرة الشعر:بشار وأبو العتاهية والسيد الحميري، ويعرج على أسباب ضياع شعر السيد وتبعثره ومن تلك الأسباب جرأة الشاعر العقائدية وعرضه في شعره لموضوعات حساسة جعلت الرواة يحجمون عن رواية شعره لما فيه من قدح ببعض الصحابة وتبيين لمقام أمير المؤمنين (ع) بما لا ينسجم والطروحات العقائدية السائدة في عصر الشاعر والتي سيطرت على ذهنية الرواة والنقاد ولهذا تحاشوا رواية شعره على الرغم من إقرارهم بقيمته الفنية العالية وأنه شاعر مطبوع محكم الشعر.

وللمؤلف رأي في سبب ضياع شعر السيد الحميري يقول فيه:(وفي عقيدتي أنَّ هذه الكثرة في شعره وعدم تنوع ما يطرقه من مواضيع غالباً، هي التي أخرت الكثير من الناس عن استقصاء وحفظ كل ما له من شعر).

ثم يوضح المؤلف آراء النقاد في شعره السيد الحميري ويختم بالحديث عن خصائص شعر السيد بعد أن يرصد الدخيل في شعره من خلال موازنة جميلة بين أسلوب الشاعر وما ينسب إليه من أشعار،ثم يوضح المؤلف أن الغنائية والقصصية هي من أبرز سمات شعر السيد.

والكتاب يتميز بمنهجيته الواضحة في تقسيم الموضوعات، ومن خلال قراءة الكتاب تتضح لدى القارئ الشخصية النقدية الفذة التي تمتع بها المؤلف (قدس) سواء في نقده التاريخي أم نقده الأدبي، وتتجلى بوضوح روح الحداثة التي حملها المؤلف والتي انسجمت مع أصالة البحث التي اكتسبها من بيئته الحوزوية فكان في كتابه دقيقاً بروح المغامرة، وأميناً بثوب النقد، ومبدعاً في التحليل والعرض، مع أسلوب تشع منه طاقة الشاب وحكمة الشيخ التي امتزجت مع دقة الوصف ورقة التعبير، فجزى الله عالمنا الكبير خير الجزاء وهو يضع بين يدي الباحثين عصارة بحثه عن حياة هذا الشاعر العقائدي الذي حورب شعره بالتضييع والإهمال لا لشيء إلاّ لأنه عرف بحبه وولائه لأهل البيت (ع) حتى قال فيه ابن المعتز (ما ترك فضيلة من فضائل علي عليه السلام إلاّ وضَمَّنها في شعره).

المنطلق المذهبي لنظام ا

حينما ينظم الاسلام المجتمع على أساس من نظام التكافل البشري... يضع هذا النظام على قاعدة من الشعور الإنساني والمسؤولية والاستقلالية، وينطلق من هذه القاعدة الثلاثية في تخطيط نظام التكافل البشري في المجتمع. ومثل هذا المنطلق المذهبي لتقرير التكافل البشري يوفر العنصر الإنساني في النظام، ويحتفظ بالدوافع الفاضلة والانسانية في نفسية المجتمع، ويحافظ على الشخصية الإنسانية في الحياة الاجتماعية، ويربط النظام بعد ذلك بمسؤولية حقوقية.

وهذا اجمال له تفصيل، وظاهرة لها تعليلها في المذهب الاجتماعي في الإسلام نستوفي جوانبه في هذا الحديث بشيء من التفصيل.

يعتمد الإسلام: قبل كل شيء، في تنفيذ قرار التكافل البشري على العنصر الانساني في المجتمع وينفذ إلى قرار عميق من النفس البشري قبل أن يصدر عن أي مصدر آخر للعمل، ويحاول أن يهز الشعور بالرحمة في النفس البشرية، ويناجي العواطف الخيرة والمشاعر الرقيقة الفاضلة في الانسان قبل أن يبدأ بالعمل من أي قاعدة أخرى.

وفي ضوء من هذا المنطلق حينما يمارس المسلم قرارات التكافل البشري في مجتمع إسلامي لا ينطلق للعمل، كما ينطلق الناس عامة باندفاع سطحي عليه مسحة من الضحالة والسطحية، وإنما ينطلق من الأعماق، ومن كل ما يملك في داخل نفسه من عاطفة إنسانية خيرة.

ويهتز بكل كينونته الانسانية ومن أعماق نفسه حينما يرى منظر إنسان معذب يلوي على نفسه من الألم أو يخطر له ذلك على بال، (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)، (تواصوا وتباروا وتراحموا وكونوا اخوة بررة).

والمسؤولية بعد ذلك هي العنصر الثاني لنظام التكافل البشري في الإسلام؛ ومعنى المسؤولية هنا المسؤولية المتبادلة بين الأمة والحكومة وبين الناس أنفسهم في المجتمع الاسلامي، (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)، (إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق)، (إن لكم في هذا المال حقاً)، ولا نعني من المسؤولية هنا المسؤولية السياسية التي هي مضمون العقد الاجتماعي، فتلك مسؤولية أخرى لا تتصل بمهمتنا في هذه النقطة من البحث.

وإنما نعني من المسؤولية مسؤولية التكافل البشري وقد تشتمل هذه على المسؤولية السياسية فيما تشتمل عليه من جوانب المسؤولية، ولكننا نريد في اطار هذا الحديث أن لا نتجاوز عنوان الحديث الذي اعتذرنا عنه.

ولا تقتصر هذه المسؤولية على الهيئات الحكومية خاصة في المجتمع الإسلامي وإنما تتبادلها الأمة والحكومة في إطار يشملهما جميعاً بشكل واحد.

(من أصبح ولم يهتم بامور المسلمين فليس منهم).

استقلال الشخصية هو العنصر الثالث للنظام التكافلي في الإسلام ونعني بإستقلال الشخصية في ذلك أن يجري النظام التكافلي في المجتمع وداخل الدولة مع المحافظة على استقلالية الشخصية في المجتمع الاسلامي والإبقاء على سمات الشخصية الإنسانية البارزة.

ففي المجتمع الاسلامي عندما يقوم المسلم بتنفيذ قرارات التكافل البشري يشعر بإستقلال كيانه الشخصي عن أي جهاز اجتماعي ويشعر بوضوح أن اندماجه في المجتمع لم يفقده السمات البارزة في شخصيته، وأن إنبعاثه إلى العمل كان من دافع نفسي أصيل وشعور بالمسؤولية عميق.

والحياة الإجتماعية الإسلامية، مهما تماسكت جوانبها وتلاحمت اطرافها وشاع فيها التكافل الاجتماعي والمحبة والتعايش السلمي. فلا يكاد أن تضيع فيها شخصية الفرد نتيجة لهذا الاندماج الإجتماعي، ولا أن يشعر فيها بهذا الضياع من خلال إرتباطه بالإطار الاجتماعي.

ومن هذه القاعدة الثلاثية: الإنسانية والمسؤولية والإستقلالية ينطلق الإسلام لتقرير نظام التكافل البشري في المجتمع.

ومن هذه القاعدة الإسلامية في التكافل البشري نستطيع أن نحاسب المذاهب الاجتماعية الأُخَر على مواقفهم من نظام التكافل البشري ونقارن موقف الإسلام من هذه المذاهب فيما يخص هذا النظام.

فنحاسب أولاً موقف الرأسمالية منه لنعقبه بالحديث عن موقف الاشتراكية من هذا النظام.

ويختلف الحديث في مناقشة الرأسمالية على موقفها من التكافل البشري في الدولة عنها في إطار الأمة.

وعلى الصعيدين جميعاً نحاول أن نناقش موقف الرأسمالية من قضية التكافل البشري.

اما الدولة الرأسمالية فتتبنى مقابل الاشتراكية مبدأ الحرية وتجعل من هذا المبدأ القاعدة الرئيسة التي تنطلق منها في تخطيطها التفصيلي للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وقد تقيد هذه الحرية ببعض المسؤوليات في السياسة والاجتماع والاقتصاد الا ان هذا التقييد لا يتجاوز ان يكون خروجاً على القاعدة الذهبية بحكم الضرورة الاجتماعية.

والفرد يحتفظ في المجتمع الرأسمالي بحريته السياسية والاجتماعية إلا أن هذه الحرية في كثير من الاحوال تتم على حساب المسؤولية السياسية والاجتماعية، ويقطع الفرد نفسه في ظلال الدولة الرأسمالية من أية مسؤولية سياسية أو اجتماعية إلا ما يضطر إليه بحكم الضرورة الاجتماعية.

وفقدان المسؤولية أو ضعف المسؤولية في الدولة الرأسمالية يؤدي إلى تقليص ظلال التكافل في الدولة الرأسمالية، ليلحق الباحث نفسه هذه الحقيقة الاجتماعية في الدولة الرأسمالية أما التكافل البشري في هذه الدول لا يكاد يتجاوز حدود المرافق الاجتماعية العامة كالتثقيف والتطبيب والدفاع والأمن والإدارة وما يتصل بذلك من الشؤون الحياتية العامة.

والدولة لا تحمل مسؤولية الحاجات الفردية بحال من الأحوال ولا تعنى بشأن الأمور التي تخص الافراد كافراد، من (تزويج الفتيان والفتيات واطعام المساكين ومساعدة ابناء السبيل المنقطعين واعداد السكنى للفقراء وما يتصل بذلك من الحاجات الفردية).

وفي الاتجاه المقابل للنظام الرأسمالي نجد أن النظام التكافلي في الاسلام يوفر كافة الامكانات الاجتماعية والمالية لضمانة هذه الحاجات الحياتية في المجتمع الاسلامي وفيما يأتي من هذا الحديث نستعرض جوانب

التكافل البشري في الإسلام

محمد مهدي الآصفي

ذلك بشيء من التفصيل.

وهذه الظاهرة ان كانت تدل على شيء فانما تدل على اهمية موقع المسؤولية في بناء النظام التكافلي في المجتمع.

وقد وجدنا ان المسؤولية تعتبر إحدى العناصر الثلاثة التي تكون القاعدة المذهبية التي ينطلق عنها الاسلام في تقرير التكافل البشري في الحياة.

وإذا كانت الدول الرأسمالية تخضع بحكم الضرورة لبعض القيود والمسؤوليات الاجتماعية، فلا يخضع الافراد في اطار الامة لهذه القيود والمسؤوليات.

والرأسمالية مذهب مادي يعتمد الاصول المادية في السياسة والاقتصاد والادارة وتنطبع حياة الامم الرأسمالية وسلوكها واخلاقها بطابع كثيف من المادية لا يشف عما ورائها في النفس الانسانية من دوافع إنسانية خيرة وبواعث نفسية فاضلة وتمسح المجتمع الرأسمالي في مختلف وجوهه وآفاقه مسحة سوقية رأسمالية يطبعها طابع السوق وطبيعة الجمع والطرح والمعادلات الرياضية الجافة (٢+٢ = ٤ و ٤-٢= ٢) ويقضى في نفوس المجتمع على الدوافع النفسية الفاضلة التي تنبعث عن النفس بمستوى ارفع من مستوى الجمع والطرح.

ويجري التضامن الاجتماعي داخل الامة على قاعدة تجارية (لا إنسانية) في اطار شركات التأمين.

وشركات التأمين مؤسسات تجارية تهدف الى الربح المادي الخالص من التأمين، من دون ان يهمها شأن من شؤون الانسانية ومن غير ان تصدر في اعمالها عن عطف انساني كريم أو دافع نفسي اصيل.

وهذا التحقيق المادي للتضامن الاجتماعي يجفف منابع الاحسان والانسانية في نفوس المجتمع ويقضي على العواطف الانسانية الفاضلة والدوافع النفسية في نفسية الامة. حتى لا تكاد تفكر الامة عند ما تحل نكبة بفرد من الامة أو مؤسسة في المجتمع بغير الرصيد الذي يملك الفرد أو المؤسسة في شركات التأمين.

وقد رأينا فيما تقدم من هذا الحديث ان العنصر الإنساني يعتبر احد العناصر المهمة في تكوين القاعدة المذهبية لنظام التكافل في المجتمع الاسلامي.

والاشتراكية تتبنى مبدأ المسؤولية قبال الرأسمالية التي كانت تتبنى مبدأ الحرية في الحكم.

وتتم المسؤولية السياسية والاقتصادية في الدول الاشتراكية على حساب الحرية وتعتبر القاعدة المذهبية للفكر الاشتراكي.

ولا تفسح الدولة مجالا للحريات الفكرية الا حينما تضطر إلى ذلك بحكم ضرورة اجتماعية.

ويلمس الباحث اليوم اثر ذلك في الدول الاشتراكية للشيوعية حيث تضيق الدولة الخناق على الحريات الفردية وعلى حرية الصحافة والنشر والخطابة والنشاط الحزبي غير الشيوعي بصورة خاصة وتعتبر أي نشاط سياسي أو فكري خارج اطار الحزب الشيوعي اخلالا بأمن الدولة.

والحكومة هي الجهاز الاجتماعي الوحيد التي تقوم بنشاطات سياسية واقتصادية واجتماعية ولا يملك الافراد في ظلال هذه الدولة ان يقوموا بأي لون من النشاط الفكري والعملي بصورة فردية أو جمعية خارج الحدود التي تخططها الحكومة للافراد.

ويدار الافراد ضمن الجهاز الحكومي من غير ان يملكوا من امرهم شيئا كما تدار عجلة صغيرة ضمن جهاز ميكانيكي ضخم.

وقد حققت الاشتراكية التضامن الاجتماعي في المجتمع بصورة واسعة ضمن الجهاز الاشتراكي ووسعت من ابعاد التكافل البشري في المجتمع ولكن على حساب الشخصية الانسانية والكينونة الفردية وعن طريق السيطرة على المرافق الحياتية العامة وابعاد الفرد عن مجالات الحياة العامة حتى أضحى الفرد لا يشعر في ظلال الدولة الاشتراكية بقيمته الفردية واستقلاله الشخصي وكينونته الخاصة.

وعاد لا يشعر من نفسه غير انه جزء صغير من جهاز ضخم يدار من غير ان يملك من امر نفسه شيئا، ومن غير ان يستطيع أن يؤثر في مصيره الخاص بشكل من الاشكال وبهذا الشكل اتيح للاشتراكية ان تحقق التكافل البشري قبال الرأسمالية.

وقد وجدنا فيما تقدم من هذا الحديث ان الاسلام يعتبر عنصر (الاستقلالية) و(الشخصية) اصيلا في تخطيط نظام التكافل في المجتمع الاسلامي.

من مجلة اضواء

تقرير

مكتبة كاشف الغطاء..

خزانة من نوادر الكتب حقائق وقصص

مصطفى القيسي

النجف الأشرف مدينة تتصف بالفكر والبحث والأدب مع ذكر اسمها ترتسم صور عن مرقد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومسجد الكوفة والحوزة العلمية والمكتبات العلمية، وصور لرجال نذروا أنفسهم من أجل الأمة وحفظ تراثها المستمد من تراث وفكر أهل البيت (ع)، ومما يميز مكتبات النجف الأشرف أن لكل منها حكاية وقصة وعالم اقترن تاريخها بتاريخه وسيرته بسيرة تأسيسها؛ ومنها مكتبة كاشف الغطاء لمؤسسها المؤرخ الكبير الشيخ علي صاحب (الحصون المنيعة) الذي عرف بترحاله بحثاً عن الكتب النادرة والمصادر المعتمدة في البحث والتأليف.. مجلة نقطة زارت المكتبة والتقت بمتوليها وأمينها الشيخ شريف كاشف الغطاء ليفيض عبر صفحات المجلة اشراقات من ماضي هذه المكتبة العريقة.

مكتبة الشيخ علي صاحب (الحصون المنيعة)

يقول الشيخ شريف كاشف الغطاء أمين المكتبة: من هذا المكان انتهل عدد كبير من المؤلفين والباحثين علوماً جمة لنشر الكثير من الموسوعات العلمية والأدبية والتاريخية ففي سنة (١٣٥٥هـ - ١٩٣٤م) شيد المرحوم والدي الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء مكتبة والده الكبير المجاهد الشيخ صاحب (الحصون المنيعة) إذ كانت له مكتبة فريدة نادرة الوجود بما حوته من مطبوعات في غاية الأهمية من الناحية العلمية من لندن، وباريس، وايطاليا، وبولاق، والهند، واسطنبول..وغيرها وغير ذلك، هذا إذا ما عرفنا باحتوائها على كنوز المخطوطات والتي جمعها الشيخ علي (رحمه الله) في أسفاره الطويلة والشاقة إلى بلدان العالم من اسلامبول، والهند، والحجاز، وإيران، ومكث فيها سنوات عديدة وكان الباعث لهذه الأسفار والتي لا يتحملها إلا من وهبه الله قوة الصبر على تحمل تلك المصاعب، وكان لا بد أن يكون هناك من قصد آخر أن يجمع ما يمكن الحصول عليه من بعض المخطوطات منها شراء أو نسخ الكتب الخطية النادرة، وكان (رحمه الله) يدأب في الليل والنهار على نسخ النوادر من المخطوطات التي يجدها في المكتبات العامة والخاصة، كما كان يتتبع تراجم وسير رجال الشيعة الإمامية على مدى ثلاثة عشر قرناً من مختلف الطبقات من علماء وأدباء وحكماء ووزراء.. وغير ذلك، فيكتب عن حياتهم وتراجمهم وكان حصيلة ذلك لنصف قرن أن يكتب تسعة مجلدات من التراجم لطبقات الشيعة فكانت أكبر موسوعة كتبت عن الشيعة منذ القرن الأول حتى سنة وفاته (١٣٥٠هـ -١٩٣١م)، كما أنه نسخ الكثير من الكتب الخطية النادرة والتي لم تطبع في حينها ولا يوجد لها مثيل في المكتبات الخاصة والعامة، وألف كتباً كثيرة مهمة منها موسوعة كبيرة أسماها بـ(سمير الحاضر وأنيس المسافر) تقع في خمسة مجلدات تحوي الكثير من المطالب العامة، وألف كتاباً آخر اسماه (نهج الصواب في أدب الكاتب والكتاب) وهو قيم في موضوعه، وقد سرق البعض من مؤلفاته.

موقع المكتبة: في محلة العمارة ملاصقة لمدرسة الإمام كاشف الغطاء الدينية ومقبرة آل كاشف الغطاء ومسجدهم.

مكتبات آل كاشف الغطاء

ويكمل الشيخ شريف كاشف الغطاء حديثه فيقول: إن لآل كاشف الغطاء ثلاث مكتبات ذكرها جدي الشيخ صاحب (الحصون المنيعة). في كتابه (نهج الصواب في الكاتب والكتابة والكتاب).

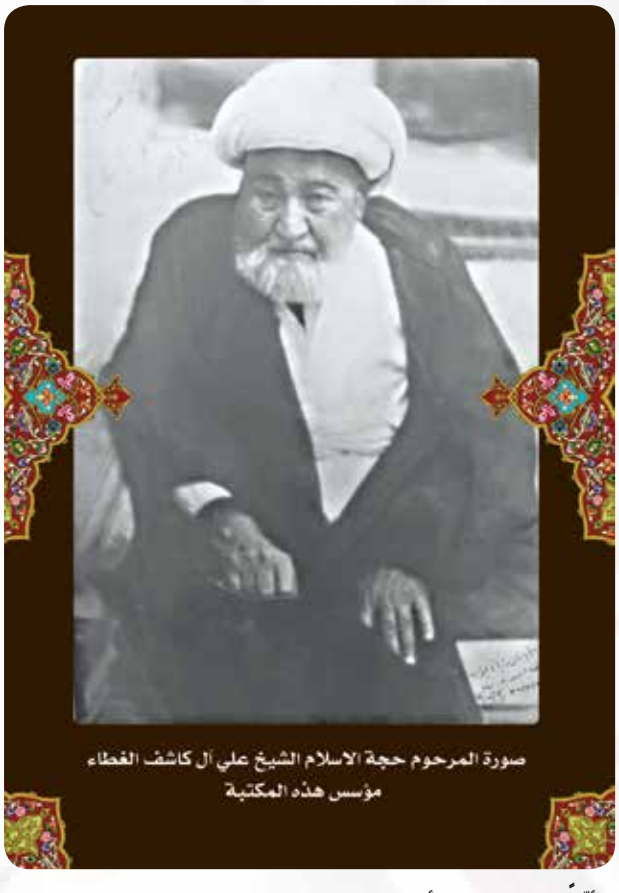

صورة المرحوم حجة الاسلام الشيخ علي آل كاشف الغطاء
مؤسس هذه المكتبة

أوّلاً: مكتبة جدنا الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء (قده) (المتوفى سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م) قال ما نصه: (ومنها مكتبة جدي الأعلى المرحوم الشيخ جعفر صاحب كتاب (كشف الغطاء) فإنها قد احتوت على ألوف من الكتب النفيسة الجيدة الخط الحسنة القرطاس المذهبة، وكلها قلمية لعدم رواج الطبع في زمانه وهو أواسط المائة الثانية عشرة، وبعض المائة الثالثة عشرة...

هذه المكتبة لم يبق لها اثر ولا عين ومازالت بعض مخطوطاتها في خزانة المكتبة التي نحن بصدد التعريف بها.

ثانيا: مكتبة صاحب (الحصون المنيعة) المتوفى سنة (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) والذي قال عن نفسه ما نصه: (ومنهم المؤلف لهذا الكتاب علي بن محمد رضا بن موسى بن جعفر النجفي الغروي فانه ممن أعتنى بجمعها واقتنائها وبذل الأموال الخطيرة في تحصيلها وشرائها وجلبها من سائر البلدان.

الحاج شريف كاشف الغطاء أمين المكتبة

❖ أكبر مكتبة في النجف الأشرف ولا أغالي لو قلت هي أنفس مكتبة في العراق...

فإني منذ عزمت نفسي ونظرت إلى أمتعة الدنيا ونفائسها لم ترغب نفسي بشيء سوى تحصيل الكتب وضبطها.

ثالثا: مكتبة آية العظمى الشيخ هادي آل كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٣٦١هـ/١٩٤٢م). قال صاحب (الحصون المنيعة) ما نصه: (ومنها مكتبة ابن عمنا جناب العالم الفاضل الشيخ هادي سبط المرحوم الشيخ علي صاحب (الخيارات) فإنها قد بلغت المئات من الكتب القلمية الجيدة النفيسة المذهبة القديمة الخط).

هذه المكتبة هي في مدرسة المهدية الواقعة خلف جامع الطوسي.

مؤسس المكتبة

المؤسس لهذه المكتبة هو الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى (المصلح بين الدولتين) بن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء (قده).

عرف عن الشيخ منذ صباه بولعه وحبه للعلم، واقتناء الكتب النفيسة والنادرة من حيث خط المؤلف وفهم الناسخ وجودة الخط، لا من حيث الزخرفة كما عرف عن بعض من المخطوطات المستنسخة وفيها اغلاط كثيرة تتم عن عدم علم ومعرفة.

قال العلامة الشيخ الطهراني في طبقات الشيعة ج٦: ١٤٣٨ ما نصه: (سافر المترجم له إلى الأستانة فبقي فيها زمنا، ثم هبط الحجاز، فسوريا، فالهند، وقد استغرقت هذه السفرة نحو أربع سنين عاد بعدها بثروة طائلة من الآثار والمآثر، فقد ألف عدة مجاميع في مختلف الفنون والآداب خلال التجوال، والتعرف على البلاد والرجال، واشترى كثيراً من الكتب المخطوطة والمطبوعة، كما كتب بخطه ما أعجبه من الآثار والأسفار مما لم يوجد في مكتبات العراق، وأنكب ينظم مجاميعه ويرتب تآليفه ويقيد كل شاردة وواردة وبلغ في التصدي لتدوين التاريخ وكتابة التراجم وجمع الشعر وفرائد الأدب أبعد الحدود، فقد كان يقضي معظم وقته ليلاً ونهاراً، وقد وفق لإخراج آثار قيمة ومؤلفات جليلة، كما بلغ به الحرص على توسيع مكتبته وجلب المصادر المهمة والأسفار النادرة إليها أنه نسخ بخطه من الكتب عدداً كبيراً بين صغير وكبير، ولم يفتر عن ذلك حتى بعد أن كبرت سنه وأصابت الرعشة يده...)

كتب ومخطوطات نادرة وفريدة

نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها مؤسسو هذه المكتبة الكبيرة في جمع هذه المخطوطات النادرة التي قد يعتبر بعضها فريدة في العالم الإسلامي ففيها عشرات المخطوطات الرائعة للقرآن الكريم مع زخارف فنية ثمينة وبينها قطعة من القرآن بالخط الكوفي على رق الغزال كتبت في أواخر القرن الثاني هجري.

وأصغر مخطوطة للقرآن وأقدم مخطوطة في المكتبة هي "المعرفة في أصول الحديث" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥ هـ)، وأقدم مطبوع في المكتبة هو "القانون في الطب" لابن سينا، وقد طبع في روما بالنحت على الحروف الخشبية سنة ١٥٩٣م، وفي المكتبة مخطوطة لشرح "نهج البلاغة" لقطب الدين القاشاني تعود الى القرن السادس الهجري، و (اعلام نهج البلاغة) لناصر الدين السرخسي تأريخها سنة (٧٠١ هـ)، وكتاب "انوار اليقين" للملك اليماني احمد بن الحسن المنصور بالله بخط يده سنة (١١٣١ هـ). وأنفس النسخ المخطوطة لقاموس الفيروز آبادي. و(تحليل أصول الهندسة) لاقليدس بخطوط بديعة ورسوم هندسية رائعة. ومخطوطة نادرة من كتاب "المنطق" للفارابي.

كما إطلعنا على نوادر أُخريات من الكتب، مطبوعة في الأقطار العربية، وعلى نوادر من الكتب طبعت بالعربية وخلال فترات مختلفة في فرنسا ولندن والهند والمانيا وايطاليا وفرنسا وسنغافورا ومالطا ودول أخرى، بينها ديوان "المتنبي" طبعة ألمانيا عام ١٨٦١م، و"رسائل أبي العلاء المعري" طبعة أكسفورد عام (١٨٩٨م).

وصفوا المكتبة

يقول الشيخ علي اليعقوبي (رحمه الله) في أحد كتبه وهو يتحدث عن المكتبات في النجف الاشرف عندما يصل إلى مكتبة صاحب (الحصون المنيعة): وهي مقسمة ومرتبة مواضيعها ولها فهارس عامة اشتغل صاحبها بجمعها وجاب أطراف البلاد والعواصم الإسلامية وسبر غور الكتب، لا يذخر في ذلك وسعا بين ابتياع واستنساخ ورحلة للتنقيب عن نوادر الكتب، يبذل الوقت والمال في هذا السبيل، ... ومن محتوياتها كتاب (مقاييس اللغة)، و(الطراز) للسيد علي خان، و(الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة) للسيد علي المذكور، و(المجمل) لابن فارس، وديوان مهيار.

وهي أكبر مكتبة في النجف الأشرف ولا أغالي لو قلت هي أنفس مكتبة في العراق ولها علينا الفضل الأكبر والأيادي التي لا تنكر في تأليف تأريخنا هذا، فقد كان عليها معوّلنا ومنها موردنا ومصدرنا ولقد أضاف إليها في الأخير كثيراً من الكتب الحديثة ولده العلامة الأستاذ حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين (دام ظله).

وقال الشيخ محمد حرز الدين في معارف الرجال: (وكانت له مكتبة مهمة فيها من نفائس المخطوطات، وكتبَ بخطه كثيراً من الكتب في المجاميع الأدبية، وكان سريع الكتابة، مولعاً باقتناء الكتب وقد أوقف مكتبته على طلاب العلوم

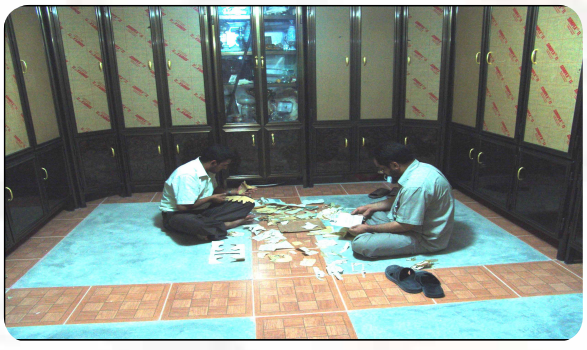

نموذج من مراحل عمل أرشفة الوثائق في خزانة المخطوطات.

❖ مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة، وضمت مئات من الكتب النادرة

الدينية في النجف الأشرف، ومرض قبل وفاته بسنة واعتراه الضعف بحيث لا يمسك القلم للكتابة، وحدثني بعض أهل المعرفة بالطب من الثقاة أنه زاره قبل وفاته بيومين وكان على صحة من سمعه وبصره واستحضار مسموعاته ومحفوظاته، أفاد المحدث أنه أنس بعيادتي له ثم قال: ويخشى عليه من مفاجأة الموت بهذا الوقت فأسرعت من مجلسي وقمت...).

وصف الأديب الصحفي جعفر الخليلي المكتبة فقال: مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة، وضمت مئات من الكتب النادرة التي بذل الشيء الكثير للحصول عليها، وكانت تعتبر المكتبة الأولى في الشرق من حيث جمعها للنادر والمفقود من الكتب، ... جمعها بشق الأنفس كما يقولون.

البحث عن الكتب ونسخها

يذكر الشيخ محمد رضا الشبيبي عن مؤسس المكتبة صاحب (الحصون المنيعة) وجهده الكبير في البحث عن الكتب النادرة في العالم ونسخها فيقول: ولم يبق فيها بيت من بيوت الكتب إلا زاره وأفاد منه، وكان إذا أعجبه كتاب لم يكبر عليه نسخه واكتتابه وأن كبر كما فعل يوم كان في الأستانة فإنه انتسخ فيها لنفسه بنفسه أسفاراً جمة منها كتاب (شرح أبي تمام على مهاجاة جرير والأخطل)، وقد وجده منتسخاً بالخط المغربي القديم وهو خط معمى يجهل المشارقة تهجئته، فعكف أياماً على تفهمه ومحاكاته بقلمه حتى أتقنه فلم يصعب عليه بعد ذلك انتساخ الكتاب ونسخ أيضاً ديواني (مهيار)، (وكشاجم) ولم يكونا يومئذ مطبوعين وبفضله طبع الأخير على نسخته التي انتسخها لنفسه، وهمته في الصبر على الكتابة مشهودة حتى أنه تناول كتاب (أمالي القالي) قبل طبعه وعكف على نسخه في عدة أسابيع وكان الوباء منتشراً حيث أقام فلم يعقه ذلك عن مقصده، ومما نسخه لنفسه كتاب (نسمة السحر فيمن تشيع وشعر) وهو كتاب نادر الوجود قل من سمع، به ونسخ كتاب (رسائل ابن العميد) الكاتب المعروف وهو يقع في مجلد ضخم، ونسخ غير ما رأيته بهمة غريبة وجد متواصل حتى أنه لو اقتصر على ما ورقه بيده لحصل على خزانة كتب حافلة، لكنه لم يقتصر على ذلك وأخذ يتطلب بيده الكتب النادرة ويبتاعها وساعده على نجاح قصده تجواله في البلاد فاشترى من الاستانة وغيرها من البلاد التي عرج عليها كتبا نفيسة مخطوطة ومطبوعة، فاجتمعت له خزانة كتب لا تزال من أمهات خزائن الكتب العربية وفيها المخطوطات الكثيرة في كثير من الفنون وبعض نسخها قل أن يعرف لها ثان مثل ديوان الشاعر المشهور (الحسين بن الحجاج) العراقي صاحب الدعابة والمجون، ومثل كتاب (الطراز) في اللغة للسيد علي خان الأديب المعروف صاحب (سلافة العصر، وأنوار الربيع)، وديوان (مهيار) الديلمي تاماً أو قريباً من التمام وديوان السيد الشريف المرتضى، وعشرات من أسفار العلم والأدب الشاذة التي سلف ذكر بعضها.

وللشيخ علي الشرقي وصف جميل للمؤسس (قدس) ومكتبته فقال: ولعشاق الكتب نوادر كثيرة في وادي غرامهم هذا منها إني دخلتُ على أحد هؤلاء الغلاة في هذا المذهب وهو الشيخ علي آل كاشف الغطاء في مكتبته ... على ما ورقه بيده ونسخ بخطه فوجدته جالساً على الأرض وأمامه طاولة صغيرة عليها كتاب مفتوح ومحبرة وقد شدّ على عضده مساطر خفيفة من الخشب شداً محكماً يمنع الرعشة التي في يده؛ لأنه شيخ وهنت قواه وقد شارف على التسعين من عمره وكان لابساً ثوباً سميكاً خصص للكتابة تراه مخططاً بألوان وألوان من مسح القلم ورذاذه وكان في يده قلم من الخيزران القوي، وكان مشغولاً بالنسخ فسألته عن عمر ذلك الثوب؟ قال: بإن عمره يناهز السبعين عاماً وهو عندي أطيب من الغلالة التي يصفها الشاعر بقوله:

كأذيال خود أقبلت في غلالة مصبغة والبعض أقصر من بعض

المكتبة في ثوبها الجديد برعاية سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله)

جدد بنائها عام ١٤٢٨ هـ بأمر من سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في

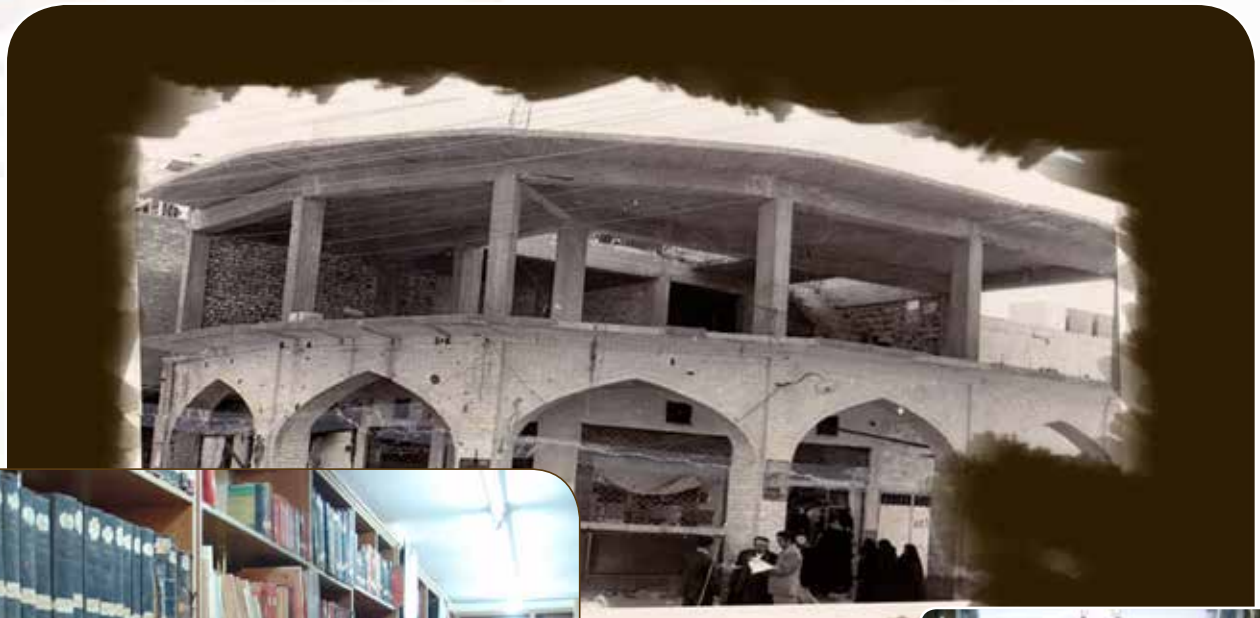

حلة قشيبة وبطرز حديثة في خمسة طوابق تعلوها قبة زرقاء.

كما فتحت اقسام عديدة في المكتبة منها:

قسم المخطوطات المهداة إلى المكتبة

من الاقسام المهمة والمتميزة في المكتبة هو قسم المخطوطات والذي يضم مجموعة من المكتبات المهداة اليها من علماء الحوزة ورجال الفكر والمعرفة في النجف الاشرف ومن ابرز هذه المكتبات المهداة هي مكتبة الفقيه الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٣٤٣هـ)، ومكتبة نجله الأستاذ عباس آل كاشف الغطاء من مؤسسي جامعة الكوفة. مع جملة من الوثائق النادرة، ومخطوطات آية الله العظمى الشهيد الشيخ مرتضى البروجردي (قده)، ومخطوطات آية الله الشيخ هادي شليلة البغدادي، وبعض من مخطوطات ومطبوعات آية الله العظمى المرحوم الشيخ محمد الفاضل القائيني النجفي (قده) المتوفى سنة (١٤٠٥هـ)، أهداها نجله سماحة الشيخ علي، وتوجد في المكتبة مخطوطات مكتبة آية الله العظمى السيد حسين البروجردي (قده) وهي بعض ما أنقذه الشيخ شريف آل كاشف الغطاء (جزاه الله خيرا).

قسم الجرائد والمجلات

يعتبر هذا القسم هو الآخر من الأقسام المهمة في المكتبة والذي ضم أمهات الجرائد والمجلات النادرة وقد نشر بعض صورها في جريدة النجف عاصمة الثقافة الإسلامية، ومجلة الينابيع، وطبعت مكتبة الروضة الحيدرية بعضها على نسخنا المحفوظة في المكتبة، مثل مجلة العلم، ومجلة الاعتدال، ومجلة العدل الإسلامي، ومجلة النشاط الثقافي، وغيرها من مجلة الغري، والنجف ليوسف رجيب، ومن المجلات والجرائد النادرة التي في هذا القسم: مجلة المقتطف بإعدادها، مجلة العرفان، وجريدة جبل عامل سنة (١٩١٠م)، والبلاغ، وجريدة الجامعة الإسلامية (١٩٣٣م)، وهي جريدة مهمة ونفيسة تصدر في فلسطين منعت من صدروها اسرائيل بسبب ما كانت تهتكه من أفعالهم الوحشية، وجريدة الجامعة العربية لمفتي القدس الكبير محمد أمين الحسيني، وغيرها من المجلات التي كانت تصدر في مصر، وسوريا، والجزائر وأكثر بلدان العالم.

قسم التحقيق

بعد التعرف على المكتبة وما احتوت على كنوز وذخائر من التراث الإسلامي قامت المكتبة بفتح قسم التحقيق، مع وجود كادر فني متخصص يقوم بتنضيد بعض المخطوطات الموجودة في المكتبة، وحفظها الكترونياً وهو على قسمين:

١. التحقيق المباشر: الذي تقوم به المكتبة وقد تم بفضل الله تعالى تحقيق كتاب (عقود حياتي) وهو كمدخل إلى موسوعة الإمام كاشف الغطاء، وغيرها من الإصدارات.

والعمل بتحقيق كتاب نهج الصواب في الكاتب والكتابة والكتاب للشيخ علي آل كاشف الغطاء صاحب (الحصون المنيعة) وهو كتاب نادر ونفيس سرق من المكتبة وابتعته، وجملة من خزانتي المخطوطات والمطبوعات.

الأنساب المشجرة، وغيرها.

٢. التحقيق غير المباشر: فتحت المكتبة بابا لنشر كنوزها بالتعاون مع مؤسسات ذات خبرة عالية، من محققين خبراء وقد مارست هذه المؤسسات سنين عديدة في نشر الفكر الإسلامي ونشرت الكثير منه كان منها: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث فرع قم المقدسة والنجف الأشرف تحقيق كتاب الحصون المنيعة في طبقات الشيعة للشيخ علي صاحب (الحصون المنيعة) ومكتبة ودار مخطوطات الروضة العباسية، والمركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية في قم المقدسة: تعاون هذا في إحياء أضخم موسوعة عظمى للشيخ محمد الحسين آل

كاشف الغطاء وكل اعتمادهم من مخطوط ومطبوع على مكتبتنا العامة حيث زودناهم بجملة من مؤلفات الإمام كاشف الغطاء، ويعتبر هذا العمل من الأعمال البارزة والخالدة، كما سينشر تقرير خاص بهذا العمل، والخزانة المفتوحة للمخطوطات: عند زيارة الأستاذ الفاضل السيد الدكتور صادق الخرازي (حفظه الله) مع الأستاذ السيد علي الموجاني، برفقة الأخ المحقق الأستاذ أحمد الحلي، وإطلاعهم على خزائن المكتبة وما فيها من كتوز وذخائر، تم الاتفاق على طبع كتاب (الأنساب المشجرة) الذي يقع في خمسة مجلدات وهو كتاب نادر ونفيس ومن موقوفات الشيخ الشريف على مكتبة والده، مؤسسة نور للمخطوطات في الهند: للسيد الخوجة مهدي بيري.. وغيرها من المؤسسات والمراكز العلمية.

٣. وغيرها من الأقسام ك(قسم التصوير، قسم معرض ومتحف المكتبة، قسم الأرشفة والوثائق، ...)

روابط المكتبة

امتدت جذور المكتبة في تأصيل روابطها العلمية إلى أقصى بلاد العالم الإسلامي وغير الإسلامي ونشر جملة من خزائنها النفيسة التي لا يوجد لها نظير في الشرق الأوسط، وما قامت هذه الروابط إلا على ركيزتين أساسيتين: الشيخ علي آل كاشف الغطاء وسفراته وتنقلاته في جملة من البلدان كما مرّ. ونجله الشيخ أحمد وشهرة مرجعيته وأن كانت فترة قصيرة. والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الذي ملأ صيته جميع البقاع والأصقاع حتى أقصى البلاد النائية، فصارت الروابط بينه وبين هذه المؤسسات العريقة، من المؤلفات، والطبعات النادرة، وجملة من الرسائل المتبادلة بينه وبين العلماء والأدباء والملوك والسلاطين تتوافد على مكتبتهم العامة.

ومنها: قبل أكثر من نصف قرن تقريباً: (جامعة طهران، مجلس الشورى، مكتبة آستان قدس، جامعة برنستون ومكتبة الكونغرس الأميركي، المكتبة المحسنية، مكتبة الخانجي في مصر، مكتبة حسين ملك في طهران، معهد المخطوطات العربية، المجمع العلمي في العراق ودمشق ومصر.. وغيرها الكثير) ومازالت بعض هذه الروابط قائمة حتى اليوم.

بعد أكثر من نصف قرن في عصرنا الحاضر: (مكتبة الروضة الحيدرية، مكتبة ودار مخطوطات الروضة العباسية، معهد النور في الهند، مؤسسة تراث الشيعة لسماحة الشيخ رضا مختاري، وقسم من المكتبات التي ذكرت حدود عقد اتفاق في التواصل المعرفي معها، وغيرها من المؤسسات والمراكز العلمية في العراق وخارجه).

بعض مفقودات الخزانة

فقد من المكتبة الكثير من المخطوطات النادرة والنفيسة، وقد عثرنا على بعضها فيما بقي القسم الآخر محفوظاً في المكتبات العالمية، ومن المفقودات ما عثرنا على بعض الوثائق التي تبين بعض المخطوطات ومنها: صورة عقد اتفاق بين الخانجي وكاشف الغطاء على طبع بعض هذه الكتب فما أن خرجت من المكتبة حتى فقدت وجاء في نص الوثيقة: قد استلمت من جناب الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء النجفي كتاب مجموعة رسائل الحكماء خط قديم صفحاته عدد (٦٢٤)، وعدد رسائله (٢٣)، وتأريخ خطه سنة (٦٧٧) هجرية، ومؤلفوها المعلم الأول أرسطو، والمعلم الثاني، أبو نصر، والرئيس ابن سينا.. وغيرهم من الحكماء وقد أخذناها من الأمناء، والتزمنا باعادتها إليه بعد شهرين أو ثلاثة محفوظة خالصة الأجرة، وقد دفعنا له مائتين وخمسين روبية أيضاً بصفة الأمانة، فإذا أرجعنا الكتاب المزبور نسترجع المبلغ ونستحقه عليه والزمنا له إزاء ذلك أيضاً أن ندفع له برسم الهدية كتاب مسند أحمد بن حنبل، والأم للإمام الشافعي، والمسالك والممالك المطبوع منه للعمري، والأحكام لابن حزم، وفهرست المكتبة الخديوية تماماً، وكتاب الأخلاق تعريب لطفي السيد جزان، والأخلاق لصموئيل، نرسل إليه هذه الكتب في البريد خالصة الأجرة أو بطريق معتمد، والتزمنا له أن كل كتاب نطبعة في مطبعتنا أو يطبع كتاب على حساب

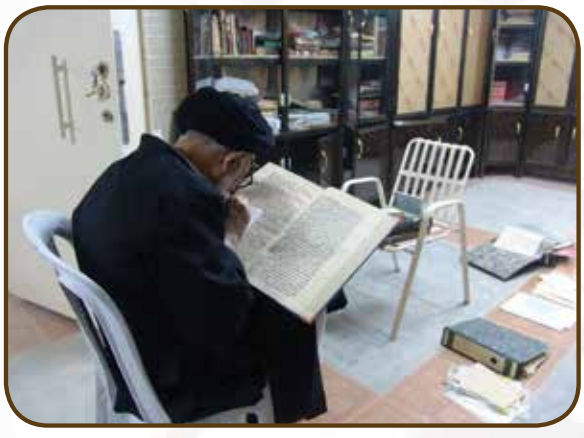

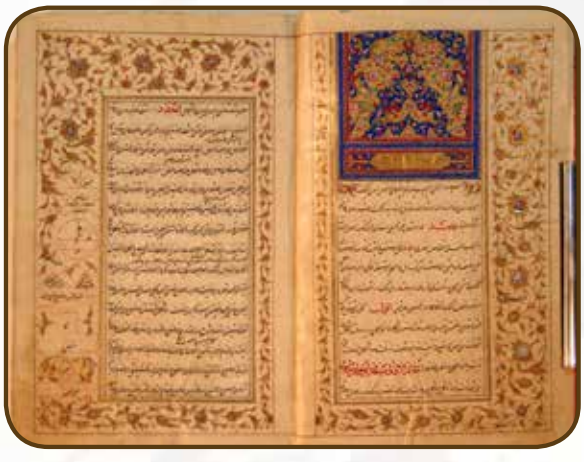

المكتبة الخديوية من الكتب التي أخذناها منه أو من غير ذلك نرسل له نسخة هدية إلى مكتبته، أما المسند فهو على حسب الجهد تحصيل ثمنه من المكتبة الخديوية، وقد أعطيناه هذه الورقة مستمسكاً في يده لوقت الحاجة بتأريخ (٢١ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٨هـ) والتزمنا له بإرسال نسخة فوتوغرافية على الجزء من ديوان الحسين بن الحجاج طبق الأصل الذي أخذناه منه، ونسخة كذلك من المجلي لابن جمهور والمجمل لابن فارس. ...

وقد أخذنا منه أيضاً نسخة خط المقاييس لأبن فارس ونسخة الخصائص لابن جني، والمجمل لابن فارس، والتزمنا له بطبع هذه النسخ الثلاث، وأن نرسل له من كل نسخة خمس نسخ هدية من كل واحد والتزمنا له أنه إذا لم تطبع الكتب المزبورة إلى سنتين نعيد أعيان تلك الكتب إليه ونسترجع أثمانها إذا لم تطبع ولم نأخذ صورتها بالتصوير الفوتغرافي على هذا صح الالتزام وأمضينا ذلك بذلك التأريخ.

أيضاً مما ذكرته الوثائق الموجودة في المكتبة هناك فقد فقدت مخطوطات بتأريخ (٣٠) شهر ذي القعدة الحرام وجاء وفقا للوثيقة: اشتريت هذا المجلد

مع مجلد آخر من الكتاب نفسه مع كتب أخرى بيعت بالهرج لحساب ورثة الشيخ ناصر حسب الساعدي، وقد حصلت عندي شبهة بل أقوى منها أن ما اشتريته من مخطوطات وبعض المطبوعات كان بمكتبة المرحوم الإمام كاشف الغطاء لذلك أعدتها إليها حرصاً على بقائها في محلها الأول وقد دفع أثمانها الشيخ شريف كاشف الغطاء (سلمه الله). والكتب التي أعدتها من المخطوطات هي: براهين العقول وهو هذا المجلد. براهين العقول وهو المجلد الرابع، والدرر النجفية للسيد صادق الفحام، وشرح الفرائض السراجية للشريف الجرجاني، وشرح شواهد شذور الذهب، وديوان السيد أحمد العطار، ومجموعة تضم تعليقة الشيخ جعفر على بيع القواعد والفوائد الأصولية لبحر العلوم، وحاشية العالم الوحيد البهبهاني، ويتيمة الدهر بخط يشبه خط المرحوم الشيخ كاشف الغطاء.

نماذج من انطباعات رواد المكتبة

العلامة الكبير آية الله الشيخ الطهراني، في طبقات الشيعة قال ما نصه: (وتوطدت العلاقة بمر الزمان ولاسيما بعد أن اتجهت هذا الاتجاه وشرعت بتأليف الذريعة في سنة (١٣٢٩هـ) فقد كنتُ أزوره في مكتبته ويطلعني على ما تضمه من مخطوطات مما هو بخطه وخط غيره ويرشدني إلى مظان وجودها...).

المرحومان العالمان الشيخ هادي والشيخ باقر القرشي كثيرا ما كتب وألف في المكتبة.

آية الله العظمى المفكر الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، سكن في المدرسة لفترة زمنية وجيزة، مستعينا بمكتبه حيث طلب من المتولي (الشيخ شريف)، مفتاحها لكي يرتادها في أي وقت شاء.

سماحة السيد محمد مهدي الخرسان (دام ظله) جاء في كتاب مقدمات تراثية ما نصه: (وأنا لا أملك كتاباً سوى بعض كتب الدرس، فكنتُ أطوف سعياً بين مكتبة المغفور له الشيخ كاشف الغطاء وبين مكتبة الحسينية الشوشترية، وهما اللتان تفتح أبوابها للمطالعين حينما يتسنى للقائمين عليها فرصة الحضور لفتح أبواب المكتبة).

الشيخ عبد الحسين الأميني (رحمه الله) كتاب (الغدير) كان يأتي

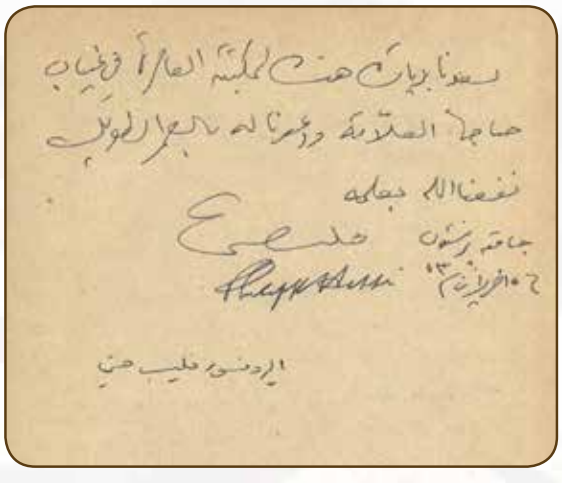

ويطالع إلى أوقات متأخرة، وربما يحتاج إلى وقت أكثر من ذلك فكان يستأذن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (قده) في استعارة الكتاب خارج المكتبة، فيأخذه إلى بيته. وكان بيته قريب من المدرسة والمكتبة بضع أمتار، ثم يرجعه في اليوم الثاني وهكذا.

السيد محمد حسن الطالقاني ذكر في تحقيقه لكتب ديوان السيد موسى الطالقاني قال: (فقد طلبت منه إيقافي عليه فأمر ولده الأستاذ الشيخ عبد الحليم بذلك، وفسح لي المجال عدة ليال وأيام، فكنتُ ألمّ بالمكتبة في غير أوقات المراجعة، وأقضي فيها الأوقات الطويلة منقباً ومستفيداً من هذا الكتاب وغيره من مؤلفات المترجم له، كـ(سمير الحاضر وأنيس المسافر) الذي يقع في خمسة مجلدات ضخمة أيضاً، فقد استفدت من هذين الكتابين كثيراً، ولذا فأنا أسجل شكري للأب الروحي الإمام الخالد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وهو بطيات الثرى....).

يقول الدكتور حسن عيسى الحكيم

أنا مدين لهذه المكتبة بشكل كبير وأقولها للواقع وللحقيقة... إن سماحة الشيخ شريف كاشف الغطاء وأنا أعد رسالتي للشيخ الطوسي كان يفتح لي هذه المكتبة، ويغلقها عليّ يحبسني فيها من الصباح حتى أذان الظهر يعود ثانية ويفتح المكتبة ويطلق سراحي يومياً، في الوقت الذي كانت هذه المكتبة مغلقة وعليها إشكالات كثيرة وهذا من باب الوفاء حينما أقول هذا الجانب.

وهذه المكتبة تحتوي على انفرادات وعلى نوادر وأشارت بعض المصادر إلى يتيمات المصنفات. تحت هذا المصطلح. حتى كان المرحوم الشيخ علي كاشف الغطاء مغالياً إذا قلنا في هذا الجانب بجمع الكتب وجمع النفائس من خلال تجواله في الأمصار العربية والإسلامية... .

نهاية جُملة

رهاب الفشل

بدا كل شيء من حوله فوضوي، ملابسه، سريره، منضدة دراسته، حتى كتبه مبعثرة في أرجاء الغرفة، كل شيء من حوله غير نظامي، لأنه فشل، فقرر الانعزال عن الحياة..

هذه صورة أو مشهد أخذ يتكرر كثيراً في مجتمعاتنا الإسلامية خصوصاً في العراق، بعد كبوة ما أو فشل يواجه فردا يرى أن المستقبل قد إسودَّ بوجهه وفقد أي أمل في النهوض لمواصلة الطريق في الحياة.

هذا الاستسلام جاء نتيجة صراعات يعيشها الفرد مرة مع نفسه وثانية يعيشها مع أفراد أسرته وأخرى يعيشها في مجتمعه.. وحقيقة أن هذه الصراعات قاسية وشديدة لتبدل المفاهيم في المجتمع فبعضها أخذت تقترن ببعض الشكليات كالشهادة والاختصاص، والوظيفة ودرجتها، والرصيد المالي الذي يمتلكه ذلك الفرد وما يمتلكه من علاقات تؤهله للارتقاء بسلم ـ النجاح ـ وإن كان غير مشروع، لذا يعيش هذا الفرد كل هذه الصراعات المتداخلة في مسيرته.

يقول احد المفكرين: (إن بداخل كل فرد من البشر كنزا من القدرات التي وضعها الله سبحانه وتعالى بداخله) وينقل قصة طريفة في هذا المجال اختصارها أن عالماً ياباني مختصاً في الجيولوجي شارك مع فريق علماء أوربيين في جولة إلى إفريقيا الهدف منها البحث عن الألماس والأحجار الكريمة وبعد عمل استمر أسبوعين لم يجد العالم شيئاً فقرر العودة وقبيل السفر شاهد شابا يحمل حجراً لامعاً لم يرَ مثيلا له في الحجم فقايضه بطعام وأخذه، يقول العالم الياباني إن هذا الشاب لم يكن يدرك ما يحمله بيده من كنز فقيمة هذا الحجر يعادل عشرات الملايين من الدولارات كان بالإمكان أن تحدث تغيراً ليس في أسرة ذلك الشاب بل في حيه ومدينته. يعلق ذلك المفكر على هذه القصة فيقول: (إن كثيراً من الناس لا يعرف حقيقة قدراته اللا محدودة التي وهبها الله (عزوجل) فيضيع وقته وحياته ونفسه.. تماماً مثل ذلك الشاب الذي لم يعرف حقيقة ما كان بين يديه) لذا عندما ندرك قدرات الإنسان غير المحدودة وندرك أننا لو استخدمناها كما يجب أن تستخدم فإننا نستطيع أن نحقق أهداف حياتنا وأن نعيش أحلامنا، وتكون رحلة حياتنا مليئة بالسعادة وراحة البال.

ويروى أن رجلاً جاء إلى النبي (ص) فشكا إليه الفاقة، فقال له(ص): انطلق حتى تجد شيئاً قال فانطلق فجاء بحلس وقدح، فقال: يا رسول الله هذا الحلس كانوا يفترشون بعضه ويلبسون بعضه وهذا القدح كانوا يشربون فيه، فباعهما (ص) بدرهمين فقال لذلك الرجل اشتر بدرهم فأساً وبالآخر طعاماً لأهلك وقال له النبي (ص): انطلق إلى هذا الوادي فلا تدع شوكاً ولا حطباً ولا تأتني خمسة عشر يوماً.. فانطلق ذلك الرجل وجمع الحطب وباعه فأصاب عشرة دراهم ثم عاد، فقال(ص) له: فانطلق فاشتر بخمسة طعاماً لأهلك، فقال الرجل: يا رسول الله لقد بارك الله لي فيما أمرتني، فقال(ص): هذا خير من أن تجئ يوم القيامة وفي وجهك نكتة المسألة.

في هذه الرواية نقطة مهمة من مجموعة نقاط يمكن الإفادة منها وهي أن الرسول (ص) أراد من الرجل أن يسعى إلى التكسب، والعمل، والمبادرة، بدلاً من الوقوف والمراوحة في نقطة وقوفه والاستعانة بغيره في حياته فالطاقة التي في داخل هذا الرجل برمجها الرسول (ص) إلى برنامج عملي اخرجه من حالة الفشل والإحباط إلى حالة النجاح والفوز.

ويجب أن نلاحظ أن (الإنسان تنطبع بداخله الصورة التي يرسمها لنفسه فلو اعتقد إنسان أنه فاشل فإن هذا الشعور والإحساس يتملكه ويتسع وينتشر لديه حتى يسيطر عليه تماماً فيفشل بالفعل) وبالتالي فإن زيادة هكذا أفراد في المجتمع يعني أنه سيتسبب لنا بمشكلة ويتحول المجتمع إلى مجتمع سلبي انهزامي لا يبادر إلى النجاح.

المجتمع يمتلك أفرادا لهم من الطاقات الكبيرة التي تستطيع أن تجري تغييراً واضحاً في الواقع وتحدث تصحيحاً للكثير من الأخطاء وإن أخطأوا مرة هذا لا يعني أنهم فاشلون بل إنهم اكتشفوا أن هذه الخطوة لا تؤدي إلى الهدف المطلوب.

صدر التحرير

أنتم سادة

للشاعر فارس حرّام

يا نؤوماً.. مدثّراً.. يا بلادي * * * دهستكَ الحروبُ والحفلاتُ
راكداً، والشعوب يعصرها العَصْرُ، وحيداً .... تُحيطك الوقَفاتُ
خرقَتْك الأيامُ للجانبِ المقفرِ من حبّي، إنّ حبي فَلاةُ
قد تعبنا في الشكّ فيك فقلنا * * * ربما أنت للضياع أداةُ
ربما لستَ غيرَ حبٍّ صراعٍ * * * تشتهيه مع الحصاةِ الحصاةُ
ربما أنتَ فكرةٌ أوجدتها * * * لتسمّي أسماءها النكراتُ
ربما أنتَ نزهةٌ نتمشاها بحُلْمٍ، وموقظونا مَوَاتُ

قد وُلِدْنا فيكَ اعتقاداً بأنَّا - رغم ما فيك - حالمون بُناةُ
وتشظّى بجيلِنا شغَفُ السلْمِ، ومادَتْ من تحتِنا الأمنياتُ
إنَّ آلامَنا العريقةَ تُنسى * * * في بيوتٍ تحنو بها الشُّرُفاتُ
أهلُنا غربةٌ، وموتٌ مُعَادٌ، * * * وتشظّي تراجعٍ، والتفاتُ
الأشقّاءُ حفرةٌ نتّقيها، * * * والشكوكُ: الخالاتُ والعمّاتُ

قيل (كونوا).. كنا، فقيل (تمشوا).. فمشينا، قيل (احتموا: طلقاتُ)
فحفرنا خنادقاً وقَتَلْنا * * * وقُتِلْنا وديستِ الأمّهاتُ
ثم عُدْنا من الحروبِ ثُمالى * * * وبنا من ضياعِنا سَكَرَاتُ
نتخطّى وجودَنا حيثُ نخطو.. * * * ونعيدُ الخرابَ حيثُ الحياةُ
ووجدنا من مُضْحِكاتِ زوالِ الأرضِ منا أنْ أهلُنا العَثَرَاتُ

وسيبقى الانتظار..

عدد الأمل

خصص هذا العدد من مجلة (نقطة) ليكون بين أيدي جميع الشرائح، على أن لا يقتصر على شريحة دون أخرى بغية نشر الوعي الثقافي، ليتسنى للقارئ أن يقطف من كل بستان زهرة، كما أُعدَّ ملف في هذا العدد عن الحوزة العلمية في النجف الاشرف ودورها في كثير من المجالات ودور علمائها ومفكريها، ليعطي لمحات وشذرات عن هذا الكيان الخالد في تأريخ الإنسانية بنحو عام، وجغرافيا العراق ومدينة النجف الأشرف بنحو خاص.

بدأ العدد بكلمة هيأة التحرير والتي تناولت كيفية تطور المواضيع في هذا العدد في مجالات العلوم المتنوعة مع أهمية الحفاظ على النهج الديني فيها وانسجام هذه المواضيع مع هذا النهج، بعدها مقالة للسيد صلاح الحلو تحدث فيها عن أهمية نشر الثقافة والحفاظ عليها، تلاها بحث في القانون مبيناً أهمية عقوبة الإعدام.. وواقع القبول للباحث وسام الحجاج تناول فيه أهمية القانون بالنسبة للمواطن العراقي، وتحت عنوان (أبو ذر الغفاري رجل النزاهة في عصر صدر الإسلام) كان هنالك تحقيق عن سيرة وحياة وجهاد هذه الشخصية الإسلامية العظيمة وما لها من نفحات، كما ضم العدد بحثاً للمحامي مهدي كربول عن عقوبة الإعدام والغاية منها سبر فيها غور إشكاليات هذا الحكم، ليأتي بعد ذلك لقاء مع العالم النووي العراقي البروفيسور بهجت محيي الدين، الذي قدم نظرية كمومية جديدة في مجال العلوم النووية (الكيمياء و الفيزياء النووية) تضمنت أكثر من خمسة عشر قانوناً ومبدأ ومفهوماً نووياً جديداً، تلاه لقاء مع احد المختصين في عالم السيارات إذ تناول اللقاء الأعداد الهائلة التي دخلت من المركبات بعد سقوط النظام المقبور ونوعية الزيوت المستخدمة فيها وقيادتها بين المخاطر والامتلاك، ومن بين المواضيع المتنوعة التي ضمها هذا العدد هو الحوار الذي اجري مع طبيبة صيدلانية حول نبات الكركم وأهميته في علاج الأمراض، وللأطفال حصة في هذا العدد حيث اجري استطلاع عن الرسوم المتحركة وآثارها في الأطفال ودور الفضائيات الخاصة ببرامج الأطفال في أفكارهم وعقيدتهم، كما أن هنالك بحثاً يناقش مأزومية الأفكار من خلال التأثير في المحيط من قبل الأفراد، فالمُحيط الاجتماعي والفكري والسلوكي بل وحتى السياسي بوجهه السلبي، وطرح البحث نشوء وانتشار الفكر والسلوك المأزوم والضال.

وحول آثار تناول المخدرات أُعِّدت دراسة تحليلية استقرأت النصوص الإسلامية ونتج عنها بحث ضمه هذا العدد، فيما كان بحث الدكتور هلال الشبلي عن المشكلات التربوية وطريقة حلها في ضوء تجربته الشخصية، كما أعدّ عمار الطريحي بحثاً عن أربعينية الإمام الحسين وتكرارها مرتين في عام واحد! وللدكتور محمود البستاني ومشروع اسلمة العلوم الإنسانية مكان في مجلتنا تناولنا فيه اللغة العربية من حيث الرؤية القرآنية، ومن المواضيع الطبية بحث بعنوان فوق العلاج أو ما وراءيات الطب، وضم العدد ـ أيضاً ـ دراسة عن عالم التصوير الفوتوغرافي قديماً وحديثاً والتقنيات الحديثة عن الصورة ومميزاتها، فيما أُجري استطلاع عن الجاليات الإسلامية في البرازيل وتمتعهم بحقوقهم هناك وأهمية المرجعية الدينية لديهم، ليأتي خضير الوائلي بطرح بلاغة وكلام وفصاحة السيدة الزهراء (عليها السلام) وكونها رائدة الكلام، وللتقنيات الحديثة كالحاسبات والانترنت باب في هذا العدد في إطار رؤية المرجعية الدينية إليها.

هذا وافتتح رئيس التحرير ملف العدد بمقالة بيّن فيها خطر ظهور الحركات الهدامة للدين وضرورة إتباع الحوزة العلمية للوقاية من تلك الحركات، أعقبتها كلمة الملف لتعطي تصوراً عن النجف وعلمائها ومراجعها من خلال تنوعها، بعدها تأتي آخر وصايا العلامة والمفكر الإسلامي القرشي (قد) قُبيل رحيله، كما تضمن العدد بحثاً عن البعد الروحي والمنهجي لحوزة النجف الاشرف، ولمحات عن أصناف الرواة لأصحاب الإمام المهدي (ع) وضعه الشيخ قاسم الكعبي، ولمركز الأبحاث العقائدية بحث في الاجتهاد والتقليد، أما علي الوردي أستاذ علم الاجتماع وموقفه من علماء الشيعة فكانت للشيخ خالد البغدادي وقفة معه في هذا المجال حددت لمحات القراءة الواقعية والمنطقية تجاه المتطفلين على الدين، وللتيجاني السماوي مذكرات خص بها مجلة (نقطة)، لنقف بعدها عند أعتاب شاعر العقيدة السيد الحميري.. مع عدد من البحوث ودور الحوزة العلمية في تنمية المجتمع و عن أثرها في جيوبولوتيك السياسة الداخلية والخارجية والصحافة النجفية واللغة العربية، لنقترب أكثر في عمق المدارس النجفية الدينية حيث المدرسة الشبرية أنموذجاً له تأريخه وعراقته، لتأتي مكتبات النجف الأشرف وتحديداً مكتبة كاشف الغطاء ونفائسها ومخطوطاتها في صفحات بمجلتنا لنقرب تلك القرون من زماننا مع عدد من البحوث والمقالات وأبواب المجلة الثابتة.